رحلات في أمريكا الوسطى

مشاهدات في المكسيك وكولومبيا وبنما وكوستاريكا

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

رحلات في أمريكا الوسطى

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الاولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود المعظم

ملك المملكة العربية السعودية

الإهداء

إلى الحضرة صاحب الجلالة الملكي المعظم فهد بن عبد العزيز
آل سعود حفظه الله ورعاه ...

يا صاحب الجلالة :

بأمر منكم كريم سافر مؤلف هذا الكتاب لتفقد أحوال المسلمين أو لإيصال البر العظيم الذي كرمتم بإيصاله إليهم رحمة بأعدادهم وفي أقطارهم فتمكن المؤلف من كتابة هذا الكتاب وبتشجيع منكم كريم للكتابة الأولى في الرحلات وأصل إصدار كتب له مماثلة فالفضل بعد الله لجلالتكم في هذا الأمر مما جعل الكتاب حقيقاً أن يقدم بين يديكم هدية متواضعة أرجو أن تنال القبول ..

حفظكم الله وتولاكم بعنايته وسدد على طريق الخير خطاكم إنه سميع قريب.

الداعي لجلالتكم
محمد بن ناصر العبودي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد : فإن هذا كتاب يتضمن الحديث عن رحلات في أربعة أقطار واقعة في أمريكا الوسطى التي هي بين الأمريكتين الشمالية والجنوبية .

بدأت برحلة إلى المكسيك ذات العاصمة التي هي أكبر عواصم العالم. وثنت بكلومبيا بعدها بنما ثم كوستاريكا تلك الدولة التي ليس لها جيش .

ولم تكن الرحلة الأولى متصلة بالثانية وإنما كان بينهما حوالي ستة أشهر. أما الرحلات الباقيات فكانت متصلة غير منفصلة .

ولقد كنت في الأولى وحدي أما الثانية فكان رفيقي فيها صديقي الرائد عبد الله بن عبد الرحمن العريني .

لقد كتبت خلال الرحلة في هذه الأقطار مذكرات يومية تضمنت المشاهدات والإنطباعات عما رأيته فيها جرياً على عادتي في رحلاتي في أنحاء العالم .

وإن هذا الكتاب يمكن اعتباره حلقة، في سلسلة من الكتب التي ألفتها في الرحلات والتي شملت قارات العالم الست وأقطاراً أخرى ليست معدودة جغرافياً في أية قارة من القارات وان تكن قد ألحقت ببعضها إلحاقاً مثل مدغشقر وموريشيس وجزر القمر وزنجبار وجزر فيجي ونيوزيلندا فضلاً عن جزر البحر الكاريبي، وبعض جزر المحيط

الهادئ الأخرى وان الحافز إلى كتابة هذه الكتب هو إيجاد مجموعة من كتب الرحلات الحديثة في لغتنا العربية التي تعتبر من أفقر اللغات الحية الراقية في العالم في كتب الرحلات الحديثة التي كتبها أبناؤها بلغتهم العربية وبوحي من توخي الحقيقة ، ومحاولة نقل الصورة الكاملة عن بلدان الشعوب المعاصرة من دون تعصب أو تأثر بغير الحقيقة .

وليس كما عليه الحال بالنسبة إلى بعض كتب الرحلات التي نقلها بنو قومنا عن الأوروبيين والأمريكيين فجاء النقل غير الأصل ، وكان الأصل ينظر إلى غير ما ننظر إليه فكانت أحكامه وانطباعاته غير سليمة من الميل ، ولا مبرأة من العيب .

وقد يقول قائل: ولكن كتبك في الرحلات ومنها هذا الكتاب ليست من كتب البحث العلمي ولا هي مدعمة بالأرقام، أو مؤيدة بالمراجع والمصادر كما هي عليه كتب بعض الغربيين .

وأجيبه بأنها كتب رحلات توخت إغناء زاوية الكتب التي تبحث في الرحلات والمشاهدات في المكتبة العربية وحاولت إحياء فن عربي قديم في أدب الرحلات تقاعس العرب المحدَثون عن إحيائه بعد أن كان أسلافهم هم أربابه وأصحابه .

فهي إذاً من أدب الرحلات لا من كتب الأرقام والإحصاءآت، إن كان يصح أن يسمى ذلك أدباً، وفرق بين الحالتين .

ولقد حاولت في كل كتبي أن أقدم إلى القارىء العربي صورة صادقة عما شاهدته أو لمسته أو انطبع في ذهني عن تلك الأقطار وحرصت على أن تكون هذه الصورة كاملة الألوان، شاملة حتى للخطوط الصغيرة التي تعتني بالظلال كما تعتني بالوضوح من دون أن أضيف إليها من عندي شيئاً لم أشاهده أو خبراً لم أعاينه، أو فصلاً من كتاب، أو حتى قولاً في خطاب .

عسى أن أكون بذلك قد خدمت لغتي العربية الكريمة وأمتي العربية الأصيلة وقبل هذا وذاك أكون قد خدمت الحقيقة الجميلة ، والله من وراء القصد .

الرياض : ١٤٠٣/٣/٣ هـ

المؤلف
محمد بن ناصر العبودي

أميركا الوسطى والمكسيك

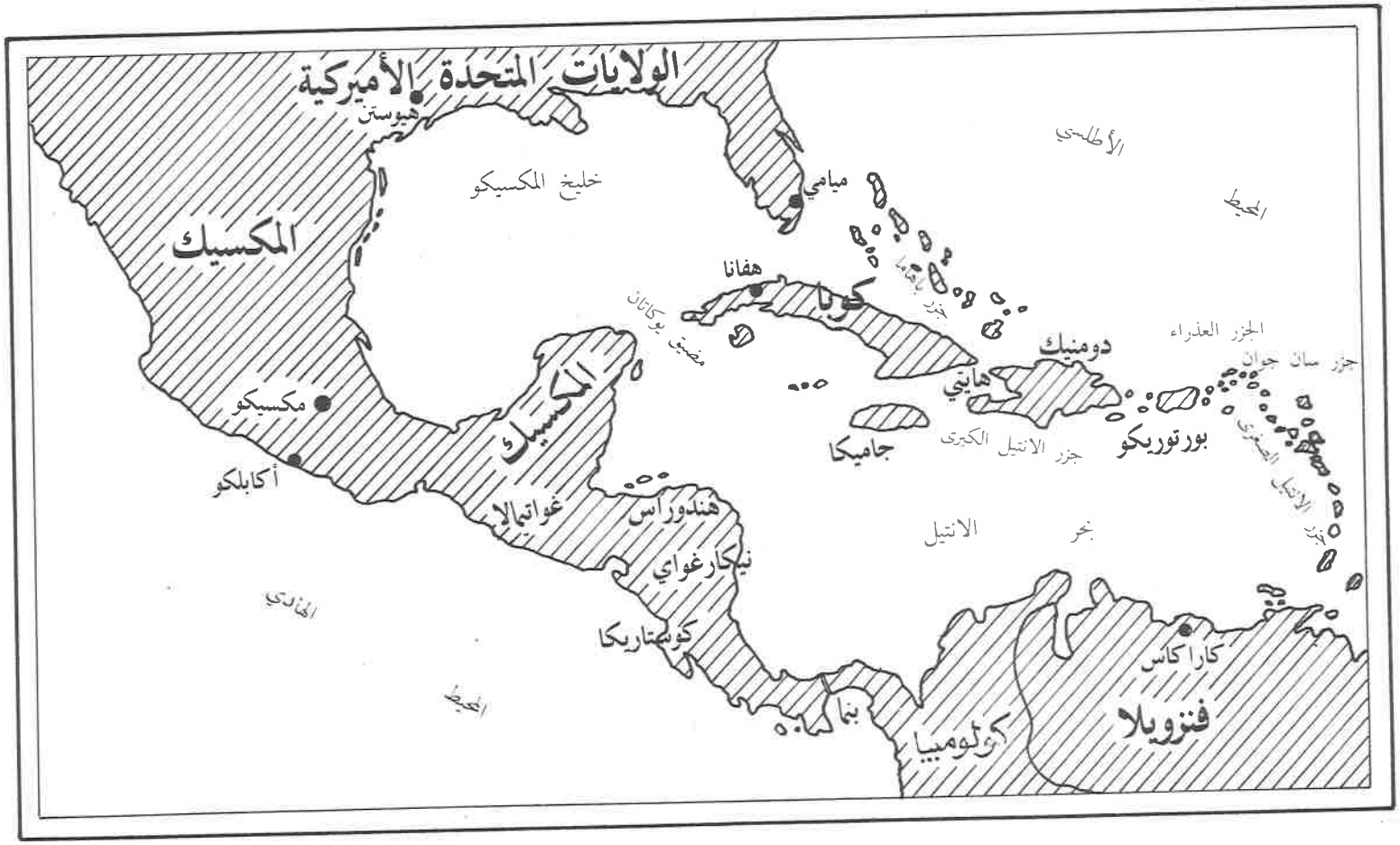

يوم السبت ١٤٠١/١١/٢١هـ - ١٩٨١/٩/٢٠م :

قدمنا من جامايكا إلى ميامي فنزلنا في مطار ميامي في ولاية فلوريدا الأمريكية ويصح أن يقال إننا نزلنا في مطارات ميامي فهو مطار واحد بالاسم ولكنه في الحقيقة، عدة مطارات مجتمعة ولو قسم إلى عشرة أقسام لكان كل قسم منها يعتبر مطاراً كبيراً وليس ذلك بسبب كثرة أبنيته وكثرة الطائرات فيه فحسب وإنما ذلك أيضاً بسبب كثرة المسافرين منه والنازلين فيه .

وتكاد وأنت تنظر إلى عدد الطائرات الهائلة الجاثمة فيه تحكم بأن الأمر فيه إسراف وتظاهر بتجميع الطائرات في مكان واحد أو ما يسمى واحداً ولكن الحقيقة أن العمل يقتضي هذا فالدخول إلى الولايات المتحدة والخروج منها أمر يقوم به الملايين من الناس من مواطنين أمريكيين ومن غيرهم باستمرار .

وقفت الطائرة أمام دهليز متحرك دخلنا منه إلى قاعة واسعة اخترقناها إلى حيث قطار كهربائي يسير آلياً فركبه من في الطائرة كلهم فنقلنا عبر فراغ من الأرض إلى البناية الرئيسية في المطار وكان ذلك فوق مستوى الأرض فنزلنا مع درج كهربائي إلى ممرات متعرجة قصد بها ذلك إلى أن وصلنا إلى مكاتب الجوازات وهي عديدة وعليها صفوف من الناس وبعضها مخصص للأمريكيين، ولكن عدد الأجانب أكثر منهم.

وذكرت بهذه المناسبة مكاتب الجوازات في بلادنا التي خصصت مكتباً للسعوديين القادمين من الخارج ومكاتب أخرى للأجانب فكانت مكاتب الأجانب دائما هي المزدحمة على كثرة سفر السعوديين، ولكن البلاد المزدهرة اقتصادياً التي فيها فرص كبيرة للعمل مثل بلادنا يكون قدوم الأجانب إليها كثيفاً في العادة.

وقلت للضابط الذي رأى جوازي: إن فيه تأشيرة إلى (لوس أنجلوس) وأنا أحتاجها بعد المكسيك ولن أقيم في مطار ميامي هذا إلا أقل من ثلاث ساعات فهل يمكنني أن أوفر هذه التأشيرة وأكون عابراً لا أتجاوز قاعة العابرين ؟ فقال هذا لا يمكن لأنك يمكن أن تبقى أكثر من ذلك في أمريكا .

فقلت : إنني لا أريد أن أبقى، فقال : المهم أنك دخلت إلى الولايات المتحدة وتأشيرتك لسفرة واحدة . ثم ختم عليها .

وانصرفت إلى حيث تسلم الحقائب وبعدها الجمرك وكانوا يحرصون على ملىء الاستمارات المتعلقة بالجمارك حرصاً شديداً وفيها معلومات كاملة عن الشخص وجواز سفره والتأشيرة التي حصل عليها لدخول الولايات المتحدة الأمريكية .

فأخذت حقيبتي، وقلت لضابط أظنه رئيس المفتشين في (الجمرك) : إن جوازي سياسي فهل يعفيني من فتح الحقائب؟

فقال : بكل تأكيد ، اذهب من هنا خارج منطقة التفتيش ، ورأيت المفتشين يشددون على القادمين ويفتحون لهم كل حقائبهم ، وربما كان ذلك من أجل منع دخول المخدرات أو أشياء أخرى .

مدينة المطار :

خرجت أسحب أمتعتي وأسأل عن مكاتب الترحيل وعن مكتب شركة (إيرومكسيكو) التي سأسافر معها إلى مدينة مكسيكو فكان المطار على كثرة

اللافتات والإرشادات فيه مضيعة للناس لا لإهمال من القائمين عليه. ولكن لسعته وتعدد مرافقه، ولو كان الأمر مقتصراً عليَّ وحدي في هذا الشعور لكان لي عذر في كوني أصله أول مرة وإنما رأيت أناساً من أهل البلاد يسألون جماعة من المرشدين والعاملين في المطار الذي يستدل عليهم بالشعار المعلق على صدورهم .

وكان لا بد لي من أن أهجر هذا الطابق وأصعد في المصعد إلى طابق آخر ثم أمضي أسأل حتى وجدت مكتب الشركة .

وقد جاملني الموظف فيه مجاملة كبيرة بعد أن كان قد كلمني بالأسبانية ظناً منه أنني من أهل أمريكا الجنوبية فلما لم أعرف الأسبانية ونظر إلى جوازي تغيرت ملامح وجهه إلى الاستغراب والترحيب لأن عدد المسافرين السعوديين معهم نادر أو لا يكون أصلاً .

وقال لي: إننا لم نعرف حتى الآن رقم البوابة ولك أن تعود إلينا في الخامسة هنا لنخبرك، وكانت الساعة هي الرابعة والربع ظهراً فانتهزت هذه الفرصة وأمضيت المدة كلها أتفرج برؤية مكاتب الطيران التي أكثرها في هذه الناحية شركات من أمريكا الجنوبية وبحر الكاريبي وبعضها لم نسمع به في بلادنا ، ولم أجد أية شركة فيه من الشرق الأوسط أو إفريقية.

وكان العجب في سعة أبنية المطار وامتدادها ، وامتداد المقاعد الوثيرة فوق السجاد الثمين في طول هذه المسافة الممتدة ، وكثرة الجالسين والماشين والمهرولين والناعسين في مقاعدهم مع إحاطة الجانب الخارجي من المطار بحوانيت البيع والشراء لبضائع مختلفة وبعضها مكتوب عليه أنه معفى من الضرائب الجمركية وأنه معد لمن يسافرون إلى الخارج .

وإن المرء ليعجب من بلاد تقدس الدولار . بل أن يكون ذلك التقديس هو أساس الأعمال الإدارية كلها أن تكون المرافق العامة فيها بهذه المثابة من

الضخامة والعظمة والاتقان .

ولكن الواقع أن الأمر لو كان مادياً بحتاً لما وصلت الأمور فيها إلى ما هي عليه الآن من الرقي في الإدارة ، والإتقان في سير الأعمال ، وإنما كان هنالك مع ذلك رقابة من الشعب ، ومحاسبة للمسئولين، ورأي عام متعلم يقول للمخطىء : أخطأت ويحاسبه على خطئه ، ويقول للمصيب : أصبت ويثيبه على صوابه .

السفر إلى المكسيك :

رجعت إلى مكتب الشركة المكسيكية فأخبروني أن رقم البوابة هو حرف «أ» رقم ٣٥ فالبوابات في هذا المطار لكثرتها قد قسمت على الحروف الأبجدية ثم تحت كل حرف عدة من البوابات التي قد تصل إلى أربعين أو خمسين وأمام كل بوابة تقف طائرة تجهز للترحيل .

فصعدت مع الصاعدين مع درج كهربائي إلى طابق أعلى ثم سرنا قليلاً فوجدنا مكاتب تفتيش الحقائب اليدوية، من أجل الأمن. وبعد ذلك ركبنا قطاراً كهربائياً آلي الحركة وقف عند قاعة ضخمة جداً مفروشة بأثاث فاخر ثمين وفق ذوق سليم وتتناثر فيها النباتات التي تعيش في الظل في تنسيق ظاهر .

وتحيط بهذه القاعة أعداد من البوابات منها البوابة (٣٥) التي سنركب منها الطائرة المكسيكية.

وقبل الخروج إلى الطائرة تمشيت في هذا الركن من مطار (ميامي) فوجدت أنه قد اجتمع فيه البذخ والإسراف مع الفائدة وسهولة الانتفاع، وكيف يكون ذلك ؟

خذ مثالاً على ذلك أن دورة المياه قد كسيت جدرانها بالسجاد الموحد (الموكيت) الفاخر ووضعت عليه ألواح من الخشب لتثبيته ومن أجل الزينة. أما أرضيتها فهي كأرضية هذا الركن مفروشة بالسجاد الثمين .

إلى المكسيك :

اجتمع الركاب كلهم عند البوابة المذكورة وليس فيهم أسود واحد بل ولا من يقرب لونه إلى لون السود ولكن عدد البيض الذين هم الأوربيون الخالصون الذين لم يعيشوا في بلاد حارة قليل بل كلهم مثل ذوي اللون العربي الشمالي كاللبنانيين ، وفيهم من هم في مثل لوني كثير .

وفي الساعة السابعة مساءً بتوقيت (ميامي) كانت الطائرة المكسيكية من طراز د،س،٩ تغادر المطار وقد بقي على غروب الشمس قليل من الوقت .

ولذلك عندما ارتفعت الطائرة وظهرت الشمس أكثر انعكست أشعتها على جبال من السحب كانت فوق المنطقة فأضاءت بنور رائع قليل المثيل .

وقد استمرت الشمس معنا مدة لأننا كنا نطير في اتجاه الجنوب الغربي .

وكانت جميع مقاعد الطائرة مشغولة والمضيفون والمضيفات كلهم من المكسيكيين الذين يتحلون بأدب جم ، وبمعاملة جيدة وكانت ضيافتهم عشاءً فاخراً ذكرني بأكلنا في بلادنا العربية إذ له رائحة جذابة ، ويشتمل على أكثر ما يكون في الوجبة الكاملة .

وتعشيت عشاءً هنيئاً فوق هذا الركن القصي من العالم عن أرضنا العربية ، وكان جاري في المقعد إسبانياً قد زار تركيا وقال : إنه نزل في مطار بيروت الدولي ذاهباً إلى الهند في مهمة للأمم المتحدة تتعلق بمساعدة الدول المتخلفة فكان يحدثني طول الوقت ويمتعني بحديثه العميق عن هذه المنطقة التي يعرفها وإن كان من أهل إسبانيا .

كما تناول الحديث معه ماضي العرب في إسبانيا وكون كريستوفر كولومبس قد اصطحب معه بعض العرب في إحدى رحلاته لاكتشاف العالم الجديد وقال : إن السبب في ذلك أن العرب متعلمون ويحسنون الكتابة والحساب أكثر من غيرهم في ذلك الوقت.

وكانت مضيفة الطائرة قد تكلمت بالإسبانية ثم بإنكليزية صعبة الفهم لأنها تخرج كلماتها من مخارج الحروف الإسبانية فلا تكاد تفهم أن الطائرة ستنزل في مدينة (مريدا) الإسبانية قبل النزول إلى مدينة مكسيكو وأن الطيران إليها سيستمر ساعة ونصفاً .

في مطار مريـدا :

قال لي جاري الإسباني : إن هذه مدينة هامة من أقدم المدن الإسبانية وأنه كان فيها قوم من السكان الأصليين المشهورين وأنها ربما كانت المدينة الثانية في المكسيك من حيث عدد السكان، ولم أستطع رؤية شيء من معالمها بسبب حلول الظلام .

وأما الأضواء فيها فإنها لا تدل على ما ذكره .

وصلت الطائرة إلى مطار مدينة (مريدا) في الثامنة والنصف أي : بعد طيران دام ساعة ونصفاً وطلبوا من العابرين إلى مدينة (مكسيكو) مثلنا أن ينزلوا إلى المطار للمرور بالجوازات .

المطار متوسط السعة ومن أبرز ما فيه أن جميع أرضه في القاعات والممرات الطويلة مبلطة بآجر أحمر صغير على هيئة ما كانت تبلط به المدن القديمة فليس فيه بلاط معتاد ولا فيه فراش كما أنه ليس فيما مررنا به منه سلالم كهربائية وإنما هي درج معتادة .

ووقفت عند ضابط الجوازات وأنا أحمل في جوازي تأشيرة دخول سياسية من سفارة المكسيك في جدة فأسرع يختم الجواز ويطلب مني أن أعود من حيث أتيت للخروج إلى الطائرة مرة ثانية .

إلى مدينة مكسيكو :

قامت الطائرة نفسها في التاسعة والربع ، وقد استغرق الطيران إليها ساعة وثلثاً بانت بعدها مدينة مكسيكو تسبح في الأضواء وتمتد لمسافات شاسعة .

أكبر مدينة في العالم :

كنت قد قرأت قبل شهور أن مدينة المكسيك هذه ستكون بعد سنوات قليلة أكبر مدينة في العالم . ذلك بأن سكانها يبلغون في الوقت الحاضر أكثر من خمسة عشر مليون نسمة وتحيط بها مدن عدة تتسع العمارة فيها كما تتسع في مدينة (مكسيكو) نفسها ولذلك ينتظر أنه لن يمضي وقت طويل حتى تلتقي العمارة فيها جميعاً فتصبح كلها مدينة واحدة ضخمة هي أضخم مدينة في العالم كله من حيث عدد السكان .

إذ يقال : إن سكانها سيكونون حوالي ثلاثين مليون نسمة مع العلم بأن سكان المكسيك كلهم في الوقت الحاضر في حدود سبعين مليون نسمة .

وقد شاهدت الأضواء في هذا الليل البهيم في عدد من المدن المذكورة منفصلة عن مدينة مكسيكو ولكنها ليست ببعيدة عنها .

وعند الاقتراب منها اتضحت أضواؤها ساطعة يكاد يحكم المرء عليها بالإسراف في إضاءة الكهرباء.

وأخذت الطائرة تطير على ارتفاع منخفض فوق جزء من المدينة في طريقها إلى المطار الذي هو في عمارة متصلة بالمدينة فإذا بها ذات شوارع واسعة وأنوار كثيرة وسيارات تزدحم بها الشوارع أينما قلبت بصرك حتى في الشوارع الفرعية التي كان المرء يراها بسبب إضاءتها إضاءة جيدة.

في مطار مدينة مكسيكو :

أعلنت المضيفة والطائرة تهم بالنزول أن درجة الحرارة في مدينة مكسيكو هي (١٦) درجة مئوية، وهذا شيء مفرح جداً بالنسبة إليَّ فقد تألمت من الأجواء الاستوائية الرطبة التي كنت فيها منذ وصلت إلى ترينداد في البحر الكاريبي .

وبخاصة أن مدينة مكسيكو تقع على ارتفاع يزيد على ألفي متر عن سطح البحر وهذا هو سبب برودتها وإلا فإن موقعها من خط العرض لا يؤهلها لهذا البرد ولا لما يقرب منه لأنها واقعة على خط عرض يقرب من عشرين درجة شمال خط الاستواء .

اعتبرت الرحلة داخلية لأنها من مدينة (مريدا) إلى العاصمة لذلك لم يعترض طريقنا أي مكتب يكون له شيء من الاجراءات وإنما نزلنا مع ممرات طويلة مبلطة بلبن الآجر الأحمر حتى نزلنا مع درج معتاد إلى حيث الحقائب .

ومن هناك رحت أبحث عن (بنك) لصرف بعض الدولارات وعن مكتب للحجز في الفنادق لأنني لم أحصل على اسم فندق معين .

فرحت أسير طويلاً في ممر طويل في المطار فيه مكاتب شركات الطيران من الداخل وفيه البوابات ومكاتب تجارية وحوانيت تجارية من الخارج وقد ازدحم بجمهور غفير من الناس . حتى وجدت محل صرف العملات فصرف لي موظف فيه مائة دولار أمريكي من الشيكات السياحية من دون أن يطلب أن يرى جوازي أو أن يحتاج إلى السؤال عن رقمه وأعطاني بها (٢٤٤٦) بيزه أي : أن الدولار الواحد يزيد عن (٢٤) بيزه أو بيزيتا بقليل .

وفي مكتب وكالة الفنادق حجز لي الموظف في فندق قال : إنه من فنادق الدرجة الأولى وأنه في وسط البلدة حسب رغبتي فأخذ ما يعادل اثنين وثلاثين دولاراً أمريكياً لليلة واحدة ولكنه أخذها مقدماً على خلاف المعتاد من أن يكون دفع المبلغ في الفندق .

وذهبت بعده إلى مكتب خارج إحدى البوابات لنقل الركاب فأخذوا مني (٦٠) بيزة للوصول إلى فندقي على حافلة صغيرة لم يكن فيها معي الا ثلاثة أشخاص .

في مدينة مكسيكو :

سارت الحافلة الصغيرة في شوارع حافلة بالسيارات رغم أن اليوم هو مساء السبت وهي شوارع واسعة تنزل في أكثر الأحيان إلى أنفاق تحت الأرض تمر فوقها السيارات التي تقطع عرض الطرق .

والسائق يسارع إشارات المرور الكثيرة في وسط المدينة فيحرك سيارته قبل أن يصبح النور أخضر إذا تأكد من أنه لا توجد سيارة قادمة من الاتجاه المعاكس .

حتى دخل قلب المدينة ذات العمارات الشاهقة والشوارع الواسعة بل الهائلة الاتساع فاستمر يسير فترة من الوقت حتى وصل إلى الفندق الذي نقصده وهو (فندق دي كارلو) .

استقبلني فيه موظف يشبه السمر من اللبنانيين ولم يطلب مني أكثر من كتابة اسمي ورقم الجواز والعنوان في بلادي دون أن يطلب مشاهدة الجواز .

وكانت غرفة متوسطة بالنسبة إلى السعر الذي أخذوه وهو اثنان وثلاثون دولاراً ولكنه بهذا السعر خير من فندق (بوقاساس) في جامايكا الذي تقاضى عن الغرفة في ليلتين مع وجبتين فقط من الأكل مائة وسبعين دولاراً وقالوا : إن أصل السعر هو ٦٦ دولاراً والبقية أكل وضريبة .

وعندما فرغت من الصلاة وتهيأت للنوم كانت الساعة هي الواحدة بعد منتصف الليل بتوقيت ميامي وما قبلها من الأقطار التي زرتها في البحر الكاريبي ويساوي ذلك الساعة الحادية عشرة بتوقيت مدينة مكسيكو .

ومعنى ذلك أن توقيت المكسيك يتأخر عن توقيت المملكة بتسع ساعات لأن توقيت ميامي متأخر عن توقيت المملكة بسبع ساعات .

يوم الأحد ١٤٠١/١١/٢٢هـ ـ ١٩٨١/٩/٢٠م :

صحوت مبكراً فأزحت ستارة النافذة في غرفتي التي تقع في الطابق الخامس فأبصرت منظراً رائعاً ذلك بأن الفندق يقع على ميدان واسع فسيح قد نسق تنسيقاً بديعاً ، وفي وسطه قوس ضخم يشبه قوس النصر في شارع الشانزليزيه في باريس في ارتفاعه وفي وجود بعض التماثيل فيه، إلا أن هذا المكسيكي في أسفله شلالات دائمة الجريان .

ويتفرع من هذا الميدان عدة شوارع مثل بقية الشوارع في هذه المدينة العظيمة واسعة منسقة تحيط بها الأبنية العالية، ويدل على العناية البالغة في هذه المدينة الكبيرة التي لا يعرف عنها قومنا في البلاد العربية إلا القليل .

وعندما حان وقت الإفطار نزلت إلى مطعم في الفندق غير واسع ومع ذلك فيه آلات موسيقية معدة للعزف .

وجاء خادم الفندق بالقائمة فإذا هي بالإسبانية ثم أحضر أخرى فيها الإنكليزية إلى جانب الإسبانية .

ولما فرغت من تناول الإفطار ووقعت على قائمة الثمن قال لي : أين الحلوان أي (البقشيش) فأخرجت نقوداً معدنية من عملتهم لا أدري قيمتها وقلت : هل تكفي ؟ فأجاب : لا ، لا بد من عشر بيزات ويساوي ذلك أقل قليلاً من نصف دولار .

وهذا غريب من الأمر أن يسأل الخادم الحلوان ويتقاضاه .

تغيير الفندق :

كان سائق سيارة الأجرة الذي أوصلني إلى الفندق الليلة البارحة قد سألني عن أجرة فندق (دي كارلو) فأخبرته أنها اثنان وثلاثون دولاراً فقال : أنا أعرف

فندقاً ليس بعيداً منه في الموقع أي : في قلب المدينة وهو في مستواه وأجرته عشرون دولاراً فقط وسوف أريك إياه عندما نمر به .

ولما كانت المكسيك مثل أوروبا والبلاد العربية يجد فيها المرء فنادق في مستويات مختلفة وكلها مناسبة وليست كإفريقية التي لا يجد فيها مثلى إلا فندقاً من الدرجة الأولى ، أما دونه فلا يصلح .

فقد ذهبت إلى ذلك الفندق الذي ذكره وهو فندق (مايالاند) وهو منسوب إلى شعب (المايا) أحد الشعوب المكسيكية العريقة التي خلفت حضارة مكسيكية خاصة نشأت بمعزل عن حضارة العالم القديم وكانت مزدهرة قبل وصول الأوروبيين إلى أمريكا .

ولما دخلته وجدته أحدث من الذي أنا فيه وأرخص كثيراً إذ قالت امرأة وحيدة في معرفة الإنكليزية جالسة في الاستقبال : إنها مع الضريبة ١٧ دولاراً . فحجزت فيه على أن آتي إليه في الثانية عشرة مع أنهم هنا في الفنادق التي رأيتها يجعلون آخر اليوم للنزيل في الساعة الثانية بعد الظهر وليس في الثانية عشرة كما هي الحال في أكثر البلدان الغربية .

ثم ذهبت أتمشى في هذه المدينة الضخمة بعد أن اخذت معي عنوان فندقي الأول والثاني وسرت على قدمي وأنا في غاية المتعة لأن هذه المدينة القصية عن بلادنا قد أتيحت لي فرصة رؤيتها والتجول فيها وهي أمنية لي قديمة بل كانت حلماً من الأحلام .

أول انطبـاع :

وكان أول انطباع عن هذه المدينة أنها مدينة عظيمة بشوارعها الواسعة المنسقة التي لا تقتصر سعتها على كونها ميسرة لمرور السيارات بل الشارع الرئيسي فيها هو عدة شوارع مجتمعة متلاصقة قبلها مساران للذاهب يميناً ومثلها

للذاهب يساراً وبينهما أرصفة منسقة واسعة ثم تأتي حدائق بعدها ممرات واسعة للمشاة على هيئة شوارع لا مجال لاقتراب السيارات منها .

ولذلك تجد السيارات تسرع حتى في داخل المدينة لعدم وجود عوائق تعترضها ما عدا الإشارات الضوئية إلا أن هذه المدينة قديمة التنظيم وتقل الجسور والأنفاق في وسطها التجاري .

هذا بالنسبة إلى الشوارع الرئيسية وأما بالنسبة إلى الفرعية فانها واسعة أيضاً ومنظمة والمرور في أكثرها في اتجاه واحد .

ومدينة مكسيكو هذه من أول انطباع عنها هي مدينة غنية ثرية في المظهر حتى قبل اكتشاف النفط في خليج المكسيك وانهمار العوائد المالية على خزينة الدولة منه فهي بلاد زراعية وفيها صناعة وهي ذات اقتصاد حر ، وفيها رؤوس أموال أجنبية كثيرة .

وكل ما تراه فيها يوحي إليك بالوفرة في النقود. والحرية في حركتها .

وأول انطباع عن الشعب فيها هو أنه شعب وديع خالٍ من العقد التاريخية تجاه الأجانب ما عدا الأمريكيين الشماليين ويخيل إليك أنه شعب بسيط غير عميق التفكير .

والانطباع العام عن أشكال الناس وألوانهم ونظافة هندامهم هو أن النظافة والجمال هما الطابع الأعم في هذه المدينة .

واليوم هو الأحد العطلة الأسبوعية لذلك كانت حركة السيارات بل والناس في هذه الشوارع قليلة والمتاجر مغلقة .

وقررت أن أمنح نفسي عطلة في هذا اليوم مثل هذا الشعب وكما قررت أن أثأر من غلاء فندق جامايكا بالسكن في هذا الفندق المكسيكي الذي هو بالنسبة إليَّ أكثر راحة من فندق جامايكا رغم كون الأخير أكبر وأغلى قررت

أيضاً أن أثار من الأيام التي لم أذق فيها راحة في تلك الأجواء الرطبة. بالتعطيل هذا اليوم في هذا الجو المنعش اللطيف الذي يستطيع المرء أن يلبس فيه بدلة خفيفة فلا يتضايق ولا يشعر ببرد أو حر.

ومن مظاهر استمتاعهم بقضاء العطلة الأسبوعية أن أعداداً كبيرة منهم كانت تقف في طابور طويل أمام شباك التذاكر في (سينما) غير بعيدة من الفندق. وأكثرهم من الشبان وممن هم في مستقبل العمر مما لم أَرَ له مثيلاً في كثرته إلا أمام دور السينما في شارع الشانزليزيه في باريس.

والواقع أن المرء عندما يكون مثلي هذا اليوم متجولاً في هذه المدينة الكبيرة فانه يرى أنه لا فرق بينه وبين ذلك الجزء الحديث من باريس إلا أن الذوق الفني في باريس لا يجارى أما العمارات فيها فهي دون هذه العمارات في هذه المدينة المكسيكية التي تشبه بعض أحياء المدن الأمريكية الكبيرة.

وعند الساعة الثانية عشرة كنت أحاسب فندق (دي كارلو) ثم أركب مع سيارة أجرة إلى فندق (مايالاند) غير أن الموظف قال: إنه ليس لديه إلا غرفة بسريرين اثنين وأنه يأسف لذلك ويعدني أن ينقلني غداً إلى غرفة ذات سرير واحد فلما رأيت غرفته وجدتها مثل غرف فنادق الدرجة الأولى وأنها ذات نافذة بعرض الجدار كلها من الألمنيوم الأصفر والزجاج تغطيها ستارة سهلة الإزاحة. وهذا أفضل شيء أريده لأنني أحب أن أكتب وأنا في مكان منير يسافر فيه البصر.

وقال: إن أجرتها أربعمائة وعشرون بيزة أي حوالي ١٩ دولاراً فقلت له: لا أريد غيرها فقال: هذا غير مناسب لماذا ضياع مائة بيزة؟ والمائة بيزة تساوي أربعة دولارات أمريكية أو أربعة عشر ريالاً سعودياً.

ورأيت من الزحام على هذا الفندق الشيء الكثير، وذلك أنه من الفنادق السياحية التي جرى العرف في أوروبا على كونها للسياح محدودي الدخل

وليست لرجال المال والأعمال القادرين على دفع المبالغ الطائلة في فنادق الدرجة الأولى أو الفاخرة التي تتوفر فيها خدمات الإتصال والحراسة على الأشخاص والأموال .

ودخلت مطعماً فاخراً قريباً من الفندق فطلبت شواء من لحم البقر (ستيك) مع شربة وكأسًا من عصير البرتقال فجاؤا بالطعام وافر الكم لذيذ الطعم ، وكانت قيمته مائتين وعشرة بيزات ويساوي ذلك عشرة دولارات إلا قليلاً .

وقد تبين بعد ذلك أن المطاعم الأصغر هي أرخص كثيراً وأن وجبتهم ليست كما في بعض البلدان المستوردة للحوم والأغذية قليلة نزرة ، بل هي كثيرة وافرة .

يوم الاثنين: ١٤٠١/١١/٢٣هـ - ١٩٨١/٩/٢١م.

الجنسَ العجيـب :

في فندقنا خادمات قصيرات القامة بشكل عجيب جدًا فهن أقصر من التايلانديات ، ولما سألت مدير الفندق عما يسمون به مثل أولئك القوم قال : إنهم من المكسيكيين القدماء الذين يسمون بالهنود هنود المكسيك يريد أنهم مثل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية في التسمية وإلا فإنهم ليسوا مثلهم في الأجسام ولا في الألوان .

وكنت قد رأيت عدداً قليلاً منهم في الشوارع وهم سمر الألوان سمرة خفيفة . ورأيت جنساً آخر منهم بيض الألوان إلا أنهم قصار القامات بشكل ملفت للنظر والعجيب فيهم ليس في هذا وإنما هو في أنه قد اجتمع فيهم مع قصر القامة كبر الرأس بحيث إذا رأيت رأس الواحد منهم وهو جالس وجسمه مختف خيل إليك أن هذا الرأس هو لجسم بالغ في الطول بحيث يكون طوله مائة وثمانين سنتيمتراً حتى إذا قام رأيته لا يزيد على مائة وخمسين سنتيمتراً .

وليس هذا هو العجب الوحيد في مثل هذا الجنس ولكن العجب الآخر قصر رقابهم بل يخيل إليك إذا رأيت الشخص الواحد منهم أنه ليس له رقبة أصلاً وإنما يبدو رأسه متصلاً بكتفيه .

وهناك شيء آخر ملفت للنظر في هؤلاء القوم وهو أنهم رغم كونهم بعيدين كل البعد عن البانتو أو من يسمون الزنوج من الإفريقيين سواء في الألوان أو التقاطيع فإن هناك شبهاً بهم في شيء واحد هو أن الظهر يكون قصيراً والأرجل طويلة رغم قصر الأبدان بصفة عامة .

وجنس آخر يشبهون المغول غير أنهم أكثر سمرة وعيونهم أوسع قليلاً من عيون المغوليين حتى إنهم يذكرونني أحياناً بقوم رأيتهم في نيبال في جبال

الهملايا رغم البعد الشاسع بين البلدين وهذا على وجه القلة والا فإن عامة الشعب هم جنس أخذ يكتسب صفات ظاهرة فيه وهو أنه جنس مختلط ما بين الإسبانيين على وجه الخصوص والأوروبيين على وجه العموم بالسكان الأصليين من البيض سكان المرتفعات فصار هذا الجنس وهو الأغلب الذي يراه المرء في هذه العاصمة مكسيكو جنساً جميلاً يشبه سكان الشرق الأوسط في الألوان ويخالفهم في تقاسيم الوجوه في أكثر الأشياء .

فأكثرهم في لون السوريين واللبنانيين وبعضهم في لون المصريين وعرب الجزيرة العربية إلا أن الصفة الغالبة عليهم هو امتلاء الوجوه على وجه الخصوص ، وامتلاء الأجسام من غير ترهل على وجه العموم .

في السفارة الأميركية :

أعلنت الولايات المتحدة منذ مدة أن هناك أجانب يقيمون في أراضيها بصفة غير مشروعة وأن عددهم يبلغ خمسة ملايين شخص وأغلبهم من المكسيكيين وعندما انتخب الرئيس الحالي رونالد ريغان قال إنه سوف ينظر في أمر هؤلاء ، بحيث تكون إقامتهم في أمريكا بصفة مشروعة .

ولهذا السبب كان الحصول على تأشيرة من السفارة الأمريكية في مكسيكو هذه أمراً صعباً نظراً لكثرة طلاب الحصول على التأشيرة وحذراً من أن يقيم الشخص الذي يمنح التأشيرة في الولايات المتحدة بصفة دائمة .

ولذلك عندما وصلت إلى مقر السفارة وجدتها محروسة بصفة مشددة ولدى الباب رجل عسكري لا يسمح لأحد بالدخول إلا بعد أن يتعرف على شخصه ثم هناك بعد الدخول مباشرة مكتب كتب عليه أنه للاستقبال والاستعلامات فيه امرأة لا بد من أن يحمل أي داخل للسفارة إذناً منها ويريه حارسين في ممر الدخول وقد فصلوا بين الداخلين والخارجين بسياج قوي .

فأريت المرأة جوازي وأنني أريد تأشيرة فكلمت مكتباً في الداخل بشأنه فأذنوا لي فأعطتني أذناً مكتوباً ووصفت لي الطريق ثم رآه الحارسان بعدها وتركاني أدخل فرأيت طوابير من الناس أمام مكتب لا أدري ما هو ولكنني أظنه للتأشيرات المعتادة .

ثم وجدت مصعداً في النهاية نزلت منه إلى طابق أرضي وكان في ورقة الإذن رقم المكتب وقد كتبت عليه لافتة بأنه للتأشيرات السياسية (الدبلوماسية) .

فوجدت فيه امرأة أعطتني استمارة طويلة فيها ٤١ حقلاً أكثرها أسئلة دقيقة عن الغرض من الدخول وعن الأقارب وعن السوابق في طلب التأشيرة الخ مما لم أر له مثيلاً في الطول والتعقيد من قبل .

فلما ملأتها أخذتها مني إلى مكتب داخلي خرج منه بعد قليل رجل صارم القسمات، فصار يسألني ويحدثني ومن أهم ما قال :

لماذا لم تأخذ التأشيرة من جدة ؟ فقلت : لأنني لم أكن أريد دخول الولايات المتحدة إلا عابراً . ولم أعرف أن العابر يحتاج إلى تأشيرة إلّا الآن .

وبعد أسئلة كثيرة قال : ستأخذها غداً بين الساعة الثانية والنصف والثالثة والنصف ظهراً ولكني أنصحك بعد ذلك أن تأخذ التأشيرة من السفارة الأميركية في جدة .

فقلت : هذا صحيح .

وقد أخذتها بالفعل بعد أن منحوني التأشيرة ولم يقابلني القنصل ولا كبير مسئول إلا أن يكون ذلك الرجل ولكنه لم يذكر لي رتبته ولم تكن المجاملة متوفرة في المقابلة كما كانت عند نائبة القنصل الأمريكي في جزيرة (كورساو) .

هذا وقد لاحظت في الذهاب والإياب كما لاحظت في أول هذا النهار

الذي هو يوم الإثنين يوم عمل كثرة السيارات في شوارع المدينة بشكل ملفت للنظر بخلاف يوم أمس الأحد .

كما هالني ضخامة مباني البنوك والشركات من الداخل بالإضافة إلى كثرتها وتعددها .

الرحلـة الليليـة :

لقد عزمت اليوم على القيام بجولة في مدينة مكسيكو مع إحدى شركات السياحة التي تنظم مثل هذه الجولات وفي فندقنا مكتب لمثل هذا فأخبرني أنه ليس هناك رحلة مناسبة إلا رحلة ليلية تبدأ من الثامنة والنصف وتنتهي في الواحدة صباحاً وأنها تشتمل على جولة في أماكن ما يسمى بالفلكلور الشعبي .

وهذا أمر مهم للسائح أن يطلع عليه. وأنها تشتمل على تناول العشاء في مكان مشهور في هذه العاصمة . فكان ذلك .

وكان ابتداؤها في الثامنة والنصف مساءً حيث مر علينا دليل معه سيارة صغيرة (فولكس فاجن) وفيها رجل أمريكي في الستين من عمره من أهل كاليفورنيا .

فقال الدليل: إن هذه السيارة مخصصة لتنقلاتنا وإنني وسائقها في خدمتكم مدة هذه الجولة أو الرحلة كما يسمونها .

رقصة الهياكل العظمية أو البداءة بالرعب:

مرّ الدليل بفندق أخذ منه بسيارة أخرى صغيرة أمريكية عجوزين أمريكيتين ورجلاً يابانياً وامرأتين إحداهما إسبانية والأخرى أمريكية .

وسار هذا الموكب حتى وصلنا إلى مكان كالبيت القديم موصد الباب مظلماً فطلب من أحدنا أن يقرع الباب بمقرعة حديدية مثبتة فيه فأطل رجل

كريه المنظر من كوة في الباب ثم فتحه فلما دخلنا إذا بالذي تقع عليه رجل الداخل أول ما يدل فيه غطاء حديدي فوق حفرة صغيرة تهوي فيها رجله فيفزع خوفاً من التدهور .

ثم قاد الدليل الجميع إلى مكان مظلم لا يبصر المرء فيه شيئاً وليس فيه من النور إلا ضوء مصباح يدوي صغير حتى أجلس الجميع على موائد في هذا الظلام. والموسيقى تقرع أنغاماً غريبة وقال: يمكن كل شخص أن يطلب كأساً من الشراب غير المسكر مجاناً.

والمكان نفسه موحش لأنه مظلم ما عدا أنواراً كهربائية خافتة ملونة بأزرق ورمادي وغامق في أشكال غريبة.

وجاء رجل عليه ملابس بيض غير منسجمة بل هي تحكي الكفن أو تشابهه؛ فأرى القوم تمثالاً لهيكل عظمي بشع المنظر وقال: هذا تقليد مكسيكي قديم وحوله يدور كل ما في هذا المكان.

وبعد قليل بدأ العرض : بدأت الموسيقى ودخل رجال عليهم لباس أسود ، وهم في هذا الظلام لا يراهم المرء إلّا إذا أمعن النظر فيهم فإنه يراهم كالأشباح ومع الواحد منهم هيكل عظمي يحركه بحركات غريبة منها حركات الرقص يفعل به كما يفعل صاحب (الأراجوز) ثم يسرع به، وأخيراً يجعله يرقص ، ويطلق من عينيه في بعض الأحيان أنواراً مخيفة ولقد داعب أحدهم إحدى النساء بأن قرب هذا الهيكل العظمي منها ففزعت علماً بأن لون الهيكل أبيض يبين في الظلام عدا الرأس بخلاف الذي يحركه .

وكان أحياناً يجعل بعض أعضاء هذا الهيكل ترتخي وتكاد تنفصل عنه ثم تلتئم .

وانتهى رقص الهياكل العظمية حين بدأت فقرة أخرى فيها مشاهد من تعارف هيكل عظمي لرجل بهيكل عظمي لامرأة .

ثم مشاهد أخرى آخرها مشهد معركة حربية تتصارع فيها هذه الهياكل العظمية الموحشة .

وانتهت هذه المشاهد التي ليس فيها من المتعة إلا الغرابة والتفنن في عرضها بأن أخرجوا رجلاً على هيئة غوريلا سوداء ضخمة في ظلام غير خافت وهو يطلق أصواتاً مرعبة مع موسيقى مناسبة له ففزع بعض من كان قد حضر.

وكان في المكان عدد من الناس غيرنا جاؤا من تلقاء أنفسهم وليس بواسطة شركة السياحة ثم قادنا الدليل خارجين من مكان الفن المرعب هذا وان كان طريفاً في عرضه وفي كونه مستوحى من فن شعبي مكسيكي قديم .

الفن الشعبي :

ومن هناك انتقل الموكب ـ إن صح التعبير ـ إلى مكان آخر قطعنا إليه عدة شوارع .

وكان مكاناً منيراً بهيجاً على عكس ما سبقه فهو مطعم فيه مكان عال لعرض الفن الشعبي وفيه أناس جالسون إلى موائد يشربون.

فكانت أولى فقراته فقرة الرقص المكسيكي الذي لا يبعد كثيراً عن الرقص الأسباني الذي يقوم به الرجال عادة والذي يعتمد على حركات الأقدام والعنف وفق فن له أصول قائمة بذاتها فكان هناك راقصان من الرجال ومعهما امرأة تتمايل وتحرك طرف ثوب عليها طويل بينما الراقصان يحجلان ويدوران ويضربان خشبة المسرح بأرجلهما فيحدث ذلك صوتاً عالياً ولكنه متناسق.

وانتهت هذه الفقرة التي صفق لها الجمهور فتبعتها فقرة أخرى وهي غناء صاخب لم نستمتع به.

ثم الفقرة الثالثة صعود فتاة شابة قوية الجسم والعضلات في حدود العشرين من العمر وكان كل ما قدمته وهي منفردة على المسرح أن أخذت

حبلاً معها كالذي يستعمله رعاة البقر الأمريكيون للإمساك بالبقرة فهي تلعب به بيديها مكونة دوائر فنية وهو لا ينثني أو يخذلها فلا يطاوعها ثم أخذت تلعب به اللعبة الصعبة وهي أنها تكون منه دوائر تدخل داخل الدائرة تقفز فيها وهي ضيقة ولا تتعثر فصفق لها الجمهور كثيراً.

وآخر الفقرات أن تقدم رجل أجش الصوت قوي الجسم فغنى غناء عالي الطبقة أيضاً رددته جنبات المسرح من دون أن يكون ممتعاً لي.

ثم انتهى القوم من هذا المكان وغادروه إلى:

فـن آخـر:

وهذا مطعم كبير واسع يعج بالناس ولولا أنهم كانوا قد حجزوا مائدة للمشتركين في هذه الجولة لما وجدوا مائدة خالية.

وكان من ضمن الجولة تناول طعام العشاء فيه كما تناولنا مشروباً خفيفاً من المحلين السابقين.

فكان خادم المائدة يتردد بالطعام وموسيقاهم تصدح بالأنغام وهي موسيقى جميلة الوقع في الأذن قريبة من الذوق العربي شجية النغمات وان كان غناؤهم لا يمتعنا بقدر هذه الدرجة.

وقد بدأ البرنامج برقصات شعبيات مكسيكية مصحوبة بالغناء. وتلا ذلك إلقاء نكت بالإسبانية من رجلين ظريفين، ثم تغيرت الرقصات ولم تتغير الراقصات وتبع ذلك غناء من فرقة مؤلفة من ثمانية أشخاص يغنون غناء جماعياً وانفرادياً كالأوبرا ولكن غناؤهم بصوت عالٍ يصدع الرؤوس.

وقد لاحظت أن القوم ليس عندهم شيء من آداب السماع وإنما هم كبعض المصريين الذين يصرخون عند الاستحسان ويقترحون أغاني معينة بصوت عالٍ أو يقترحون ترديد المقطع.

وانتهى ذلك في الواحدة صباحاً.

يوم الثلاثاء: ١٤٠١/١١/٢٤هـ ـ ١٩٨١/٩/٢٢م.

مرة أخرى منعني موعد السفارة الأمريكية لأخذ الجواز من الجولة السياحية في نهار هذا اليوم فحجزت لذلك غداً.

وأخذت أتجول على قدمي فيما حول الفندق وقد سرت حتى عييت وأعتقد أنني كنت أسير عدة كيلومترات فالمشي في شوارع هذه المدينة ممتع جداً لأن القوم لديهم آداب جيدة في الطريق فهم مثل الأوروبيين في عدم معاكسة الماشي فإذا ضاق الطريق ـ مثلاً ـ بك وبمن يسايرك فانهم في الغالب يتأخرون ليفسحوا الطريق لك.

وأذكر أنه حتى في مرور السيارات إذْ حدث مرة أن كانت الإشارة خضراء ولما صرت في منتصف الشارع انقلبت إلى حمراء فأردت أن أعود لأفسح الطريق لمرور سيارة واقفة غير أن صاحب السيارة لم يمر وإنما أصر عدة مرات على أن يقف بسيارته حتى أمر أنا قبله.

فهم في هذا الأمر أخذوا عدم التشاحن في المرور وعدم التراكض ومضايقة بعضهم بعضاً وزادوا عليه شيئاً ليس عند الأوروبيين هو بساطة في التعامل مع الآخرين الذين لا يعرفونهم والرغبة في مساعدتهم مما قد يعتبره بعض الأوروبيين فضولاً من الفضول وما هو عندهم بذاك.

فلقد وجدت القوم أبعد الناس عن الفضول حتى إنني لا أذكر أن أحداً منهم سألني من أي بلد أكون إلا نادراً وممن لهم صلة بي كبعض أهل الفندق.

وعلى ذكر الفندق يجدر بي أن أقول : إن أكبر الأشخاص الإداريين فيه رجل إسباني القسمات إذ هو طويل الوجه خلاف أكثر الناس الذين وجوههم مستديرة في الأغلب أو تميل إلى الاستدارة. وكان هو الذي أنزلني فلم يسألني عن شيء وإنما أعطاني بطاقة التسجيل فقط لأكتب فيها اسمي العائلي وجنسيتي

وعنواني في بلدي من دون أن يسأل عن رقم الجواز أو يطلع على شيء من ذلك فكتبته كله. ولكنه بعد يومين وبعد أن تعارفنا وتحدثت معه كثيراً سألني عن جنسيتي ؟

فقلت له: إنها كما كتبتها لك في البطاقة : السعودية في بلاد العرب. فقال لي: ما هي لغتكم؟

فقلت له: العربية.

فقال: ما كنت أظن أنكم في تلك البلاد تتكلمون اللغة العربية وحدها.

لا يعرفون عن العرب شيئاً :

وهذا الذي قاله مدير هذا الفندق السياحي الكبير هو مثل واحد على مئات الأمثلة التي تبين لي منها أنهم لا يعرفون عن بلاد العرب شيئاً فضلاً عن أن يعرفوا عن قضاياهم السياسية أو حياتهم الاجتماعية شيئاً ذا أهمية .

وأذكر أن شخصاً منهم كان يعرف الانكليزية ويفتخر بأنه يفهمها جيداً لأنه عاش في الولايات المتحدة الأمريكية فترة قال لي: إنه التقى هناك بالعرب فسألته عن الأقطار التي ينتمي إليها العرب الذين التقى بهم فقال: لبنان وليبيا وإيران. فقلت له: إن إيران ليست من البلدان العربية. فلم يقتنع بذلك.

وكان يكفيهم للتعريف بي عندما أتبسط في الحديث معهم ويكتشفون أنني أجنبي لكوني لا أعرف اللغة الإسبانية أن أقول: إنني عربي أو من بلاد العرب فيهزون رؤوسهم، علامة على أنهم قد عرفوني حقاً وهم لا يعرفون عدد الأقطار العربية ولا الفروق القائمة بين بعض الناس فيها.

ومن المؤسف أن اليهود تفردوا بهذه البلاد وما كان عنها جنوباً من البلاد الصغيرة في أمريكا الوسطى والبحر الكاريبي فعملوا فيها على تشويه سمعة

العرب، وعلى تحسين صورتهم وحدهم فكان عدة أشخاص في جامايكا يسألونني هل أنت من إسرائيل؟

وقال لي الدليل السياحي هنا : هل أنت من إسرائيل؟

مع أنه توجد سفارات لبعض الدول العربية ومنها السفارة المصرية والسفارة السورية ولكن يظهر أنهما مشغولتان بأشياء أبعد ما تكون عن المصلحة العربية العامة بل هما أحياناً تكون السلبية وعدم المبالاة هي الغالبة على تصرفات المسئولين فيهما.

ولو أن العرب أوتوا رشدهم وعملوا لما ينفعهم لتقاسموا العالم كله بزواياه المجهولة والبعيدة ولم يبقوا بلداً واحداً ليس فيه سفارة عربية على أن تكون تلك السفارة العربية ممثلة لجميع العرب من ناحية الدفاع عن رعايا العرب ومصالحهم أياً كانوا من الأقطار العربية، وان تكون عينا لبقية العرب فيما يمس مصالحهم العليا ويؤثر على مكانتهم القومية العامة.

بدلاً من أن تكون السفارات العربية في الوقت الحاضر متكدسة في بعض البلدان ومتخلية كلها أو أكثرها عن بلدان أخرى.

والموجود منها في تلك البلاد ينكمش داخل قوقعة المصلحة الوطنية الخاصة لدولته وأكثر السفارات لا تقوم بالواجب حتى للدولة التي تنفق عليها.

ونعود إلى الحديث عن عدم معرفة المكسيكين بالعرب إلى حد أن بعضهم لا يعرفون أن في بلادهم قوماً من العرب هم اللبنانيون فهم إما أن يعرفوا اللبنانيين ولكنهم لا يدركون أنهم من الأقطار العربية أو أنهم لا يعرفونهم أصلاً.

وذلك بسبب انعدام الدعاية العربية، ولأن عاصمتهم كبيرة يبلغ عدد سكانها كما قدمت خمسة عشر مليون نسمة.

هل القوم ساذجون؟

قد يتساءل الزائر مثلي عما إذا كانت السذاجة والبساطة في التفكير هي الغالبة على طباع هؤلاء المكسيكيين وليس ذلك من واقع عدم معرفتهم بالبلاد العربية ولكن من واقع حديثهم وتصرفاتهم.

فحديثهم هادىء ولكنه ليس عميقاً كحديث الإنكليز، وضحكاتهم حاضرة كضحكات المصريين ولكن بدون أصوات مجلجلة. ونفوسهم طبيعية بمعنى أنك لا تشعر أنهم يظنون بك ظناً سيئاً، ولا تشعر بأنهم يأخذون حذرهم منك أو يخافون أن تخدعهم بشيء أو تغلبهم على شيء.

وهم حاضرون للمساعدة إذا طلبتها منهم فيما يساعد فيه الشخص عادة شخصاً آخر من أمور بسيطة. ولا تكاد تسمع مخاصمات أو ملاحاة في الكلام يظهر منها الغضب على الوجوه، وطبيعي أن هذا الكلام كله على الأغلب الأعم وليس على الكل.

اللغـــة :

ولا يسمع المرء مع الإسبانية لغة أخرى ولا يرى من اللافتات أو الجرائد أو الكتب شيئاً مكتوباً بغير الإسبانية.

والمتحدثون بالإنكليزية منهم قليل، والمتقنون لها منهم أقل، والذين يخرجون الكلمات الإنكليزية من مخارجها الصحيحة في النطق أقل من ذلك بكثير.

فمثلاً لا تكاد تجد في الفندق إلا واحداً في النهار وواحداً في الليل تكون معرفته في الغالب محدودة ومقتصرة على الضروري جداً لعمله من الإنكليزية.

حتى الكلمات الشائعة في الإنكليزية مثل قود بمعنى جيد وييس، بمعنى نعم فإن عامتهم لا يعرفونها..

وهي في اللغة الإسبانية عكس ييس فهي بالإسبانية (سي) على لفظ مقلوب (يس) الإنكليزية .

وذلك بأن الأسبانية لغة واسعة فهي لغة أمريكا الوسطى والجنوبية كلها ما عدا البرازيل التي تتكلم البرتغالية إضافة إلى إسبانيا نفسها، وإلى قسم من جنوب الولايات الأمريكية المتحدة مثل تكساس وجنوب كليفورنيا ونيو مكسيكو حيث تعتبر الإسبانية شائعة هناك.

إضافة إلى أنها لغة ثقافية ولغة معترف بها في هيئة الأمم المتحدة، أي: انها إحدى اللغات الرسمية هناك.

مما يجعل المتكلمين الذين لا يحتاجون إلى السفر خارج بلادهم يكتفون بها عن اللغة الإنكليزية، أو أية لغة حية رئيسية أخرى.

الأمن في المدينـة :

والأمن في شوارع (مكسيكو) هذه مستتب دائماً للماشي على قدميه سواء أكان السير في الليل أو النهار بخلاف المدن الأمريكية التي يعتبر المشي فيها على الأقدام في الليل مخاطرة غير محمودة العاقبة فلا تسمع هنا من يقول لك: إحذر حينما تمشي في الليل، أو احترس من النشالين مثلاً. ومثل هذا يقال في الفنادق فليس هناك تحذيرات من فقد الأشياء الثمينة أو مزاليج قوية تغلق الغرفة من الداخل في الليل.

والشعور بالأمن فيها مما يجعل للسير فيها أيضاً متعة أخرى.

إضافة إلى أن من يكونون في مثل لوني لا يعتبرون غرباء في اللون عن أهل البلاد فلولا اللحية التي هي غير شائعة كثيراً فيهم لما ظن أحد منهم أنني أجنبي عندما يراني على البعد.

هذا إلى جانب ما شعرت به من أنني وسط شعب وديع مسالم مأمون

الجانب حسبما استقر في ذهني.

وهو إلى ذلك حسبما رأيته شعب نظيف لا يكاد يصدم عينك فيه قذى في الأبدان أو قذر في الثياب أو حتى في الأرصفة من فضلات الكلاب ونجوها كالذي يوجد بكثرة في أرصفة المدن الأوروبية وبخاصة في الصباح لا يكاد يوجد هنا لأن اتخاذهم للكلاب قليل بالنسبة إلى الأوروبيين.

المرأة المكسيكيــة :

والمكسيكية هنا: نسبة إلى المرأة في مدينة مكسيكو هذه التي رأيتها وليس بالنسبة إلى المرأة في بلاد المكسيك كلها لأنني لم أرها كلها ولذلك أشعر بأن هناك بعض الأجناس من السكان في مواضع من البلاد يختلفون عن سكان العاصمة.

ولمناسبة الحديث عن الشعب الذي نسير في شوارع عاصمته الكبيرة لا بد من التطرق إلى الحديث عن المرأة المكسيكية التي هي هنا في الأسواق والمتاجر والمكاتب كالرجل مثلها في ذلك مثل المرأة الأوروبية بل إنه ليخيل إليك أحياناً أن النساء في شوارع هذه المدينة ربما يكن أكثر من الرجال.

المرأة في هذه المدينة جميلة في نظر السائح العربي فهي بيضاء ولكن بياضها ليس شقرة كشقرة الأوروبيات وهي ندية الوجه ليس بينها من يكن قد تجعدت وجوههن قبل أن يصلن إلى سن الشيخوخة كما في أكثر الأمريكيات.

وهي تتأنق في لباسها وأجسامهن ممتلئة من غير ترهل فقل أن تجد فيهن نحيلة ولكنك قل أن ترى بينهن من هي ثقيلة كثقل بعض المصريات أو الهنديات.

كما أنهن يستعملن الأصباغ الملونة للبشرة والشعر ولكن ذلك على قلة لأن لأكثرهن من الصبغة المحببة التي خلقها الله ما يغنيهن عن ذلك.

وأما الشعور فإنها سوداء ولكنها ليست داكنة كسواد الشعور في الهند بل هي كشعور السوريات واللبنانيات سوداء تميل إلى لون الذهب.

وفيهن من يخيل إليك إذا رأيتهن أنك ترى نساء باريس وربما كان أولئك من نسل الأوروبيين الذين لم يختلطوا بالمكسيكيين الأصليين.

وأما عمل المرأة فإنه كعمل الرجل، ولكنها أكثر بساطة من نساء الأوروبيين فواحدة منهن تعمل في مكتب السفريات في الفندق حدثت عن نفسها أنها غير متزوجة ولكن لها صديق وسارعت إلى القول بأنه رجل وليس امرأة.

وظاهرة عدم الزواج في النساء العاملات منهم بارزة في عدم وجود أختام الزواج في أيديهن. وهذا سببه بلا شك ما حصل للأوروبيات والأمريكيات الشماليات من الإختلاط، وإعطاء المرأة حريتها في الخروج والدخول.

وهنا ترى عندهم مظاهر الحب في الحدائق والمحلات العامة الهامة بل وفي بعض الشوارع مثل أن ترى عاشقين قد التفّ خداهما على حد قول أبي نواس. وهما لا يباليان بالناس والناس لا يبالون بهما.

فكأنك إذا رأيت أمثال أولئك تشاهد الناس في لندن أو في باريس.

وأما عابر السبيل في الطريق فانه لا يرى من المرأة نظرات إلى الرجال فيها الريبة أو التطلع إلى أشياء غير مناسبة.

وإن كان لا يعرف ما هو وراء ذلك.

المطاعم والمشارب :

إذا أعييت من السير على قدمي وقد كنت كذلك من كثرة ما مشيت فإن أماكن الراحة كثيرة ومتعددة بشكل ملفت للنظر مما يدل على أن المدينة كبيرة

مكسيكية من أصل أوروبي

يضطر من يعملون في جانب منها وبيوتهم في جانب آخر أن يأكلوا ويشربوا في محلات عامة.

فأنت تجد في كل جزء أو ركن منها مطاعم ومقاصف ومقاهي تقدم أنواعاً مختلفة من الطعام والشراب من الوجبات الكبيرة المعتادة إلى الوجبات الخفيفة.

وطعامهم سخي وافر الكم، طيب النوع والطعم، ويقدمون الخبز والبسكويت المالح والزبد مجاناً بمعنى أنهم لا يدرجونه في القائمة ولا يأخذون على ما تأكله منه ثمناً.

وإذا طلبت مثلي عصير البرتقال وكثيراً ما كنت أطلبه فانهم يأتونك بكأس مترعة من عصير طبيعي غالباً ما يكون طازجاً لذيذاً.

والوجبة المعتادة ثمنها مائتا بيزة، أي ما يقل قليلاً عن ثمانية دولارات أمريكية، أو سبعة وعشرين ريالاً سعودياً.

وأما القهوة أو الشاي فإنها في حدود ريالين سعوديين في المحلات المعتادة.

ورغم كثرة المطاعم والمشارب فيها وقد دخلت منها عدة من باب الإطلاع والتغيير فإنني لم أر فيها مكاناً واحداً قذراً أو مكاناً يرى المرء أنه محتاج إلى المزيد من النظافة بل المحلات كلها نظيفة وبعضها بالغ النظافة.

ولكن المشكلة لمثلي تكمن في اللغة فالذين في المطاعم والمشارب حتى الكبيرة منها لا يعرفون الإنكليزية كما سبق. وقوائم الطعام باللغة الإسبانية وحدها إلا ما كان من أمر الفنادق الكبيرة.

ولم يتعودوا على نطق الأجانب بغير لغتهم فمثلاً طلبت أكثر من مرة شاياً بلفظه الإنكليزي (تي) فكانوا يأتون إليّ بشيء شبيه بالنعناع نستعمله في بلادنا في مكة المكرمة والمدينة المنورة نصنعه مثلما نصنع الشاي.

ولما سألت صاحب الفندق عن اسم الشاي بالإسبانية قال :إنه (تاي) مقصورة الألف أي: مثل ما ينطق بها الفرنسيون فهي غير بعيدة من كلمة (تى) بمعنى شاي الإنكليزية. وأما القهوة فإنهم يلفظونها كالفرنسية (كافي) بإمالة كسرة الفاء.

وكلمة سينيور بمعنى سيد للرجل ، وكلمة سينيورا بمعنى سيدة أو سينوريتا بمعنى آنسة للمرأة هي الشائعة ولكنهم لا يستعملونها هنا بالكثرة التي يستعملها بها الفرنسيون والانكليز وإنما هم مثلنا نحن العرب نستعملها عند اللزوم.

يوم الأربعاء: ١٤٠١/١١/٢٥هـ - ١٩٨١/٩/٢٣م:

جولة في مدينة مكسيكو:

المدينة كبيرة كما تقدم القول في ذلك إذ يبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليون نسمة وليست مدينة مجتمعة مكومة بل هي ممتدة متسعة في داخلها حدائق وميادين هائلة الاتساع إلى جانب الشوارع الواسعة مما يجعل الجولة عليها حتى في السيارة في وقت قصير أمراً غير متيسر. ولذلك كانت الجولات فيها أنواعاً واخترت هذه التي تناسبني في الوقت. إذ تبدأ في العاشرة وتنتهي في الثالثة من بعد الظهر أي تستمر خمس ساعات.

وكان ذلك بالفعل، والمألوف أن تكون مثل هذه الجولات أو الرحلات كما يسمونها في حافلات كبيرة ويسمونها (باص تورست). أي: حافلات السياح غير أنهم في مكسيكو أخذونا إلى الجولة الليلية وإلى هذه النهارية بسيارات صغيرة.

مرت عليَّ السيارة الصغيرة الأمريكية الصنع يقودها رجل هو السائق والدليل وهو مكسيكي أصلاً وفصلاً إذ هو ذو وجه مستدير ممتلىء ورقبة قصيرة، وجسم أبعد ما يكون عن الرشاقة واسمه سينيور كاسترو كما قال.

وهو إلى ذلك بسيط ومتواضع يجيد الإنكليزية وهذا ما يهمني أنا بالذات من دون سائر الذين معي في السيارة مع أن عددهم قليل إذ هم رجل أعمال هولندي يعرف الإسبانية لأنه عاش أربع عشرة سنة في جزر الأنتيل الهولندية وبالذات في كورساو التي تركتها قبل أيام وزوجان يتكلمان الإسبانية وهما ايطاليا الأصل، والإسبانية قريبة من الإيطالية تجمع بينهما الرابطة اللاتينية التي هي الأم لعدد من اللغات وهي الأسبانية والبرتغالية والإيطالية ولغة رومانيا.

لذلك كان السائق يتكلم بالإنكليزية مع الإسبانية من أجلي أنا.

انطلقت السيارة في شوارع مدينة المكسيك الواسعة وسط زحام منتظم من السيارات التي أغلبها كبير من صنع أمريكي.

دار السائق عدة دورات في هذا القسم الفخم من المدينة الذي سبق لي أن جلت فيه على قدمي ربما أكثر من مرة بميادينه الواسعة وأحياناً بنوافيره وتماثيله وزهوره المختلفة الألوان.

وقد اعترضت تلك الشوارع والميادين على سعتها شرائط من الأقمشة البهيجة البراقة قد علقوها في سماء الشوارع تزييناً لها بمناسبة عيد استقلال المكسيك في اليوم السادس عشر من سبتمبر أي قبل وصولي بثلاثة أيام.

في حديقة تشابل تابك:

اجتزنا نفقاً خرجنا منه إلى حديقة هائلة الاتساع اسمها (تشابل تابك) وهي تستحق أن تزار لما بها من التنسيق والتشجير فمن أغرب ما رأينا فيها شجر ضخم من أشجار الموز ذو جذوع كبيرة ولكن السائق قال: إنه موز لا يثمر. فلما أبديت له استغرابي لذلك قال: ليست هذه الشجرة هي الوحيدة التي لا تثمر، وإنما لدينا مثلاً شجر نخل لا يطلع ثمراً، انظر إلى هذه وكنا نمر مصادفة بنخلة واحدة هي نخلتنا العربية بجذعها وفرعها، إلّا أنها قد عقمت في هذه البلاد فلا تنتج تمراً، بل ولا بُسْرًا، وربما كان ذلك لكونها غريبة في بلاد قوم أغراب، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تستغرب بنات عمها اللاتي استوطنّ الأرض الأمريكية الشمالية القريبة في الولايات المتحدة فقد جدن بالتمر حتى فقن جودهن به في بلاد العرب أو على الأصح (تأمرك) تمرها حتى نسي العروبة وأرضها.

ولو كنت مثل هذه النخلة العربية وحيداً في هذه البلاد المكسيكية لما شعرت بالغربة لأنني واجد بلا شك في هذه البلاد الودود من يكون صديقاً بل أكثر من صديق.

وفي هذه الحديقة أشجار غريبة ولكن هذا طبيعي بالنظر إلى أن نباتات القارتين الأمريكيتين كان بعضها غير معروف في العالم القديم ومن أشهر ما دخل إلى العالم القديم من أشجار الأمريكتين شجرة الدخان الخبيثة وشجرة البندورة أو الطماطم.

المتحف الوطني التأريخي :

في وسط ركن من أركان هذه الحديقة الواسعة تقع تلة جبلية عالية قد بني فوقها قصر لطيف المساحة، جميل الطراز يمكن القول بأنه الطراز الروماني المطعم بالطراز العربي الأندلسي الذي أحضره الإسبانيون معهم من الأندلس إلى هذه البلاد الأمريكية.

وكان جندي واقف عند باب الحديقة قد منع سيارتنا من الدخول فنزلنا نتمشى في الحديقة ثم صعدنا مع طريق ازفلتي يأخذ في لحف الجبل ثم يصعد بين أشجار عالية، وكلما زاد الصعود زاد إشراف الطريق على هذه الحديقة البديعة.

والجو جميل فهو هواء جبلي لطيف خفيف ليس فيه من الرطوبة شيء وما ظنك بالهواء على ارتفاع يزيد على ألفي متر عن سطح البحر وهو معتدل وليس بارداً برودة زائدة.

عندما وصلنا المتحف الوطني كان أغرب ما وجدته أنهم لم يكتبوا عليه حرفاً واحداً من الإيضاح باللغة الانكليزية بل كل الكتابات الموجودة في لافتاته هي بالإسبانية فقط حتى اللوحة الخارجية بالإسبانية وحدها، ولذلك لم أستفد من قراءة اللافتات إلا من سياق الكلام ومن المعنى العام لأن بعض الكلمات الإسبانية موجودة عل هيئة أخرى في الإنكليزية مثل كلمات الوطني (نازونال) والتاريخي (هستير).

ومع ذلك كان لا بد من سؤال الدليل عن كل شيء يهمني فكان يتكلم للمرافقين بالإسبانية ثم يعود يشرح لي ذلك بالإنكليزية وأحياناً كان يؤثرني بأكثر وقته لأن أولئك يستطيعون أن يقرءوا الإيضاحات المكتوبة بالإسبانية وقد لمست منه ذلك فنفحته في نهاية الجولة حلواناً (بقشيشا) لم يكن يتوقعه فشكر وربما ذكر بعد ذلك لأنني لم أر الذين معي قد أعطوه شيئاً.

والمتحف ليس كبيراً فهو قصر ليس مفرط السعة كان لامبراطور مكسيكي في القرن التاسع عشر.

رأينا في جدرانه لوحات تمثل الحرب بين المكسيكيين الوطنيين وبين الإسبانيين وكيف هزموا الإسبانيين وحصلوا على الاستقلال منهم . وفيه صور لما بعد الاستقلال في القرن التاسع عشر ومنظر لطيف بديع لمدينة مكسيكو في القرن الثامن عشر.

زعيم استقلال المكسيك كما صوروه في المتحف الوطني

ويذكر هنا أن مدينة المكسيك تعتبر قديمة بين مدن الأمريكتين كلتيهما بل هي أول عاصمة في أمريكا كلها.

ثم معروضات من المخلفات الإسبانية في هذه البلاد وليست قديمة بل هي من القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادية وتشتمل على أوان وأوعية وعلى بعض الأثاث الخشبي ومن ذلك خزانة خشبية من الخشب المحفور يرى العربي فيها تأثير الفن العربي المغربي واضحاً فالزوايا فيها متناسقة والأبعاد متساوية مستقيمة.

وهذا ليس بعجيب عند من يعرف التأثير العربي الإسلامي في إسبانيا بل في أوروبا إبان ازدهار المدنية العربية في الأندلس.

ومن اللوحات التي أعجبتني ووقفت عندها طويلاً لوحة تمثل وسط مدينة المكسيك وأسواقها التجارية في القرن الثامن عشر وأهم ما يلاحظه المشاهد العربي مثلي هو طراز البيوت المسطحة السقوف الذي هو طراز البيوت في العالم العربي، رغم أن الأمطار هنا كثيرة قد تجعل الأفضل للبيوت أن تكون مسنمة السقوف حتى تنزلق عنها الأمطار.

وفي المتحف مدافع من القرن السابع عشر، وأغلبها بالغ الكبر.

قاعة الاستقـلال :

من أهم ما في هذا المتحف من الناحية التاريخية هذه القاعة التي تسمى قاعة الاستقلال ففيها رسموا صورة (سواريز) أول زعيم استقلالي عندهم.

واستقلالهم مبكر إذْ حركة الاستقلال بدأت في عام ١٨١٠م وفي هذه القاعة سيوف وبنادق وصور معارك حربية مما حصل في ذلك الزمن. كما تحتوي على أعلام ونقود وميداليات من ذلك الوقت أيضاً.

والحقيقة أنها فقيرة في المعروضات على أهميتها. بل إن المتحف لا يعتبر متحفاً غنياً بالمعروضات وربما كان السبب في ذلك هو وجود متاحف أخرى في العاصمة متخصصة بعرض فنون أخرى وهذا مخصص للتاريخ السياسي الحديث نسبياً.

وفي مكان آخر رأينا جثة محنطة وهذا غريب إذْ التحنيط مما اشتهر به الفراعنة المصريون فهل كانت لهم علاقة قديمة بهؤلاء بمعنى أن بعض المصريين أو من تأثروا بحضارتهم كانوا قد سافروا إلى المكسيك وعاشوا فيه في أزمان سحيقة؟

أم أن الأمر كله مصادفة ، على أن الصور الموجودة للمكسيكيين القدماء ليس فيها شبه بالمصريين من ناحية أشكال الناس وتقاسيم وجوههم وان كان اللباس ليس بعيداً غير أن المصريين القدماء كان لباسهم أكثر احتشاماً من هؤلاء القدامى في المكسيك.

ولقد رأيت بعض أطفال المدارس معهم معلماتهم قد أحضرنهم إلى المتحف لمشاهدته، رغم صغر الأطفال وعدم وجود ما يغري الأطفال في المتحف وربما كان ذلك ليعودوهم على مشاهدة الأشياء المفيدة أو ليغرسوا في نفوسهم محبة الاطلاع على تاريخ بلادهم.

هذا والأطفال في حالة جيدة جداً من نظافة الأبدان واللباس ومن الصحة الجيدة وكذلك مدرساتهم.

وفي غرفة أخرى كانت هناك لوحة تمثل معركة حربية وقعت بين المكسيكيين والفرنسيين .

وهناك عدة عربات من التي كانت تجرها الخيول ومنها واحدة كانت لإمبراطور مكسيكي في القرن التاسع عشر.

ثم تجولنا في الباحات المكشوفة للمتحف الذي كان قصراً أو في البلاطات كما كان العرب القدماء يسمونها وهي بالفعل ساحات مبلطة ليس بالبلاط وإنما بحجارة سوداء منقوشة نقشت من الحجارة نفسها أفاريز الطرق وحافات برك فيها نافورات.

ومنها يشرف المرء على مدينة مكسيكو ويرى عمارات القسم التجاري في وسط المدينة أو الداون تاون كما يسميه الأمريكيون عالياً فخماً ولكنه منسق غير مكوم تكويماً كما تكون العمارات الشاهقة في بعض الدولة المتخلفة.

وقد نحتوا تماثيل على جانب هذه البلاطات تشرف على المدينة لجنود صغار السن من الذين قاتلوا الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر وكانت المكسيك هي المنهزمة في تلك الحرب وضاعت منهم أراضي هي الآن من أهم الأراضي الأميركية ومنها كليفورنيا ونيومكسيكو ولذلك تجد المكسيكيين يكنون للأمريكيين كراهية موروثة.

وقد وضعوا في هذه البلاطات على عادتهم في حدائقهم العامة وأرصفة الشوارع في الحدائق مقاعد نظيفة الطلاء، في حالة جيدة.

والرواد هنا كثيرون رغم أن اليوم ليس يوم عطلة ولكن ربما كانوا هنا ممن جاؤا من خارج العاصمة.

ويذكر أن الدخول إلى المتحف ليس مجانياً ولكن الشركة قطعت التذاكر بالنسبة إلينا لذلك لا ندري مقدار قيمتها.

ومن المظاهر المكسيكية المميزة هنا منظر القبعات المكسيكية الواسعة المشهورة على رؤوس الفتيات والمشاهدات مما لا تراه كثيراً في وسط المدينة التجاري حيث أصبح ذلك تقليداً قديماً لا يحرص عليه الكثيرون.

منزل الامبراطـور :

تركوا غرف مسكن الامبراطور مفتوحة ولكنهم وضعوا في أبوابها حبالاً إشارة إلى عدم الأذن بدخولها لئلا يؤثر ذلك في المدى الطويل على أثاثها.

فبدت قاعة الاستقبال غير واسعة ولكنها مؤثثة ومرتبة وفق ذوق جميل على الطراز الفرنسي يغلب على الأثاث فيها اللون الذهبي والوردي، وكذلك القول في غرف النوم، وباقي المنزل، وفيها لوحات فنية في غير إسراف.

المدينة الخضراء :

من التلة العالية نزلنا مع طريق آخر هو درج طويل ينحدر إلى أرض الحديقة تحيط به الأشجار وأحياناً الزهور وبين كل درج وآخر موقع منبسط بمثابة الاستراحة.

فركبنا السيارة إلى جولة أخرى على الأماكن الخضراء في هذه المدينة التي نستحسن أن تسمى الخضراء لأنه إذا كان المكان فيها خالياً من خضرة النبات فإنه لا يكون خالياً من خضرة القلوب، وإذا كان خالياً من الورود فإن ورود القدود قد تكون عوضاً عن ذلك وإن لم تكن بمثابة الحوض المورود.

فقد رأيت عشاقاً في أماكن في هذه الحديقة وكأنهم من عشقهم في عالم آخر بل هم في عالم آخر بالفعل لا يلتفتون إلى الناس ولا يلتفت الناس إليهم.

وهناك في الحديقة أناس ممن يكونون في الحدائق من آكلين وشاربين وجالسين جلسة المسترخين بل إن فيها نائمين ومستلقين ممن هم في نومهم يغطون.

وسارت السيارة وسط عالم أخضر إذ هذه الحديقة واسعة لايزال للسيارة فيها مجال للسير وأي مجال ومنها إلى أماكن أخرى خضراء ذات شوارع وبيوت ودارات كلها بدون استثناء غارقة في الخضرة حتى أسوارها مكسوة كلها بالأعشاب الخضراء المتسلقة المنسقة.

وقسم آخر أخضر يشبه حديقة هايدبارك في لندن لأنه ليس في أكثره إلا الثيل أي: العشب بين الأشجار الكبيرة.

ومن مظاهر محبة القوم للزهور سوق رأيته خاصاً بالزهور ليس فيه ما يباع غيرها وترى الناس يقبلون على الشراء منه بكثرة ملفتة للنظر.

قصر فرساي في مكسيكو:

ثم مررنا بقسم آخر منسق فيه صف من النافورات التي تتراقص مياهها فوق برك متصلة هائلة الطول ذكرتني بالبرك في حديقة قصر فرساي قرب باريس وفي وسط ذلك الصف الطويل من النافورات بركة عظيمة الاتساع مرتفعة منقوشة جدرانها الخارجية بنقوش بديعة تنحدر منها شلالات كثيرة هي التي تمد مياه تلك النوافير.

وفي هذا القسم الأخضر آلاف من المقاعد النظيفة البراقة الطلاء لمن يريدون الاستراحة. وقال الدليل السائق: إن لدينا في مدينة مكسيكو الكثير من المساحات الخضراء مما لا يمكننا التجول فيه كله لضيق الوقت.

والواقع أنني عندما رأيت هذه الأماكن البديعة المنسقة في هذه المدينة إلى جانب ما كنت رأيته فيها في الوسط التجاري عرفت أنها مدينة ليست لها دعاية كبيرة في العالم.

وذكرت كيف أن بعض بني قومنا لو كان عندهم في عواصم بلادهم عشر معشار ما عند هؤلاء المكسيكيين لملئوا الدنيا ضجيجاً دعائياً، ولفاخروا به وأكثروا من المفاخرة.

وفي أحد شوارع المدينة قال الدليل: انظروا إلى أيمانكم تروا الملعب الرياضي فإذا به ملعب كبير مدور الشكل مرتفع فخم البناء ربما كان أكبر ملعب من نوعه رأيته بعد ملعب رايته في مدينة ريو دي جانيرو في البرازيل.

ملعب أفريك بالمكسيك يسع ٤٠ ألف متفرج

ولا زال السائق يمر بنا في ساحات وميادين مشجرة ومررنا بحديقة فيها تماثيل مجسمة لأشياء وشخصيات من التراث الشعبي المكسيكي وألعاب من ألعاب التسلية.

كما مررنا بميدان في وسطه حديقة صغيرة فيها تمثال كبير على قاعدة مرتفعة، فسألت السائق عن اسمه، وقلت له: ما اسم هذا الميدان؟

فقال: إنه ليس ميداناً إننا لا نعتبره ميداناً بل هو مجرد فراغ لا يصل إلى حد أن يسمى ميداناً. فقلت في نفسي: لو كان هذا في بعض البلاد التي يكثر أهلها من الفخر ببلادهم لذكروه فأطنبوا في ذكره.

ميدان الاستقلال :

وعندما وصلنا إلى ميدان كبير قد نصبت وسطه التماثيل حولها الزهور وقد زينت سماءه بشرائط القماش الملون البهيجة الألوان. قال : إن هذا هو ميدان الاستقلال الذي تم في ١٦ سبتمبر عام ١٨١٠ م حينما استقلت المكسيك عن إسبانيا التي كانت تستعمرها.

ميدان كريستوفر كولومبس :

ومَنْ أحق من مكتشف العالم الجديد وأول رجل نجحت بعثته في الوصول إلى أرض في هذا العالم وهي جزر البحر الكاريبي من أن يكون له تمثال ملحوظ في ميدان هام من قلب مدينة هي أول عاصمة في العالم الجديد من مكتشف ذلك العالَمْ وهو كريستوفر كلومبس الذي كان إيطالي الأب إسباني الأم ؟ .

وقد نحتوا في قاعدة التمثال نفسه تماثيل لبعض رجال كولومبس.

ثم تركنا ميدان كريستوفر كولومبس وتمثاله إلى السير في شوارع هذه المدينة التي إذا أمعن الشخص النظر في تاريخها القديم وجد أنها ثمرة من ثمار جهود ذلك الرجل لأنه باكتشافه الأول فتح الطريق إلى اكتشاف المكسيك وغيرها من بلاد الأمريكتين.

وكانت كلها واسعة فخمة تفصل بينها في مواقع متعددة ميادين وحدائق صغيرة في وسط المدينة.

ساحة الدستـور :

وهذه الساحة التي يسمونها بالإسبانية (بلازا) هي أهم ساحة في القسم التاريخي من المدينة واسمها ساحة الدستور يشرف عليها بناء يقولون إنه من القرن

السادس عشر، وآخر على هيئة القصر الفخم إلا أنه على طراز قريب من الأندلسي أو هو مختلط بينه وبين الفن الروماني قالوا: إنه من قصور الملوك وإنه بني في القرن الثامن عشر.

وتشرف عليه أيضاً من جهة الشمال كنيسة كبيرة مشرفة البناء، إلى جانب أبنية أخرى هامة وهي تاريخية في نظرهم لأن بعضها يرجع إلى القرن السادس عشر أي مضى عليه حوالي أربعمائة سنة وذلك تاريخ قديم بالنسبة إلى هذه البلاد الحديثة العهد بالمدنية، بل بوصول الرجل المتمدن المتعلم إليها.

وقد رفعوا في وسط هذه الساحة علماً وطنياً كبيراً، وقالوا: إن الاحتفالات الرسمية تكون في هذه الساحة وإنها تمتلىء بالناس على سعتها، وهذا صحيح لأنه ليس فيها حشائش وإنما هي مبلطة لتكون صالحة لهذا الغرض.

وأوقف السائق سيارته وقال: سوف أترككم في هذا المكان لمدة نصف ساعة تتمكنون فيها من الدخول إلى القصر الوطني هذا المطل على الساحة ومن رؤية هذه الكنيسة التاريخية الكبيرة. وتعج أطراف هذه الساحة بأفواج من المواطنين لأنها قلب المدينة التاريخية القديمة، وفي أطرافها باعة للمرطبات والأشياء الخفيفة.

ومن هنا يلاحظ المرء أفواج الشعب وهم يغدون ويروحون فيجد أنهم شعب نظيف كما قدمت. إلا أن ملابسهم تكاد تكون لا طابع لها بل هي مثل الملابس الأوروبية الحديثة وإن كان الناس أنفسهم مختلفين عن الأوروبيين كثيراً. إلا أن نسبة اللائي يلبسن القبعات الواسعة أكثر من نسبتهن في الأوروبيات.

ورغم كثرة السيارات التي تمر مع هذه الساحة فإن الأبواق المزعجة تكاد تكون معدومة، ومضايقات السيارات بعضها لبعض لا يلاحظها الغريب.

إلا أن الملاحظ أن شرطة المرور حاضرون في كل مكان منها سواء منهم الراجلون وراكبو السيارات الخاصة بالشرطة الذين تسمعهم على البعد من مكبرات الصوت يوجهون السيارات كما هو عليه الحال في البلاد النامية وليس كما في بلاد أوروبا وأمريكا حيث لا تكاد تسمع لمكبرات سيارات الشرطة صوتاً إلا فيما ندر.

في القصر الوطني :

مدخل القصر الوطني

وهو أحد الأبنية الهامة المطلة على هذه الساحة كان لأحد الملوك ويسمونه الآن القصر الوطني فهو أشبه بالمتحف وهو ذو ساحة واسعة في الوسط تحيط بها الأروقة من كل الجهات كما هو الطراز الأندلسي في القصور إلا أن بناءه ليس على الطراز الأندلسي الخالص.

من أهم ما فيه لوحات هائلة الحجم أولها صورة اسمها (البلاد والحرية) وهي أكبر صورة رأيتها في حياتي ربما بلغ طولها أربعين متراً، وتمثل وقائع حربية بالسيوف والرماح والدفاع بالدروع.

إحدى اللوحات المرسومة على الجدران الداخلية في القصر الوطني

ثم لوحة أخرى تمثل ملابس النساء في القديم وبعضهن من ذوات الوجوه المستطيلة بخلاف وجوه عامة النساء اللائي رأيتهن في هذه المدينة التي هي وجوه مستديرة ممتلئة.

ثم لوحة أخرى تبين كيفية العمل عند الرجال في ذلك الزمن القديم.

وكل هذه اللوحات مرسومة على حوائط هذا القصر داخل الأروقة.

صحن القصر الوطني الشبيه بالأندلسي

واجهة الكنسية التاريخية المطلة على ساحة الدستور

الأهرام المكسيكية :

بنى المكسيكيون القدماء في بلادهم ما يشبه الأهرامات وان لم تكن على تلك الطريقة نفسها ، ولا بالشكل نفسه.

وقد رسموا لوحة رائعة كبيرة على الحائط تمثل ذلك العصر القديم وقد جلس الناس حول ذلك الهرم وهم بلباسهم القديم الذي لا يبعد كثيراً عن ملابس الفراعنة القدماء.

وأما أشكال الناس فإنها مختلفة كل الاختلاف عن أشكال الفراعنة وعن عامة المكسيكيين الذين تراهم في هذه المدينة في الوقت الحاضر فوجوههم مستطيلة وأنوفهم طويلة أيضاً طولاً ملفتاً للنظر وان لم تكن مرتفعة ، وشفاههم بارزة بروزاً ظاهراً وأجسامهم سمر بين أهل جنوب الجزيرة العربية وسمرة الأحباش.

وزاد الأمر وضوحاً بالنسبة إلى أشكال هؤلاء القوم وطرق معيشتهم صورة واضحة كبيرة تمثل نساء يضعن الخبز على حجارة يعجنه بحجارة مستطيلة بأيديهن كما هو موجود إلى ما قبل الآن في عسير في جنوب المملكة. ولكن النساء ليس عليهن من اللباس إلا ما يستر العورتين وأما النصف الأعلى فإنه عار تماماً مثلما هو عليه الأمر الآن في بعض البلاد الإفريقية في القرى والأرياف.

وأما الرجال فإنه ليس على الواحد منهم إلا كيس صغير فيه عورته الأمامية وحبل يستر عورته الخلفية فهم في هذا الأمر مثل البوشمن الذين هم القوم البدائيون الذين كانوا يسكنون في جنوب إفريقية في حالة بدائية عندما وصل إليها الأوربيون ولاتزال لهم بقية تعيش حتى الآن في صحراء كالهاري في بتسوانا.

وعند مدخل غرفة الاستقبال الملكية كانت هناك فتاة على مكتب فيه دفتر كبير يسجل فيه الزائرون أسماءهم وجنسياتهم.

ومن هذه القاعة كانت رؤية قاعة الجلوس الملكية وهي ذات هندسة جميلة ولكنها غريبة بالنسبة إلى ما أعرفه من طراز الأبنية فلها قبة كالخيمة المسترخية الحبال نوعاً ما وداخلها شرفات دائرة مع استدارتها. وأقرب هندسة لها هي الهندسة الرومانية.

وفي قاعة خارجية وثائق وصور للرجال الذين ساهموا في العمل على وضع دستور البلاد الذي سميت الساحة باسمه (ساحة الدستور) وفيه أول نسخة صدرت من دستور البلاد باللغة الإسبانية بطبيعة الحال.

ثم تفرجنا برؤية هذه الكنيسة التاريخية من الداخل وهي فخمة البناء معقدة من الخارج أما من الداخل فإنها بسيطة وتتقدمها ساحة خارجية مكشوفة مفروشة بالحجارة الرمادية اللون وفيها حمام رمادي اللون أيضاً كبير يلتقط حباً كان قد وضعه الناس له من قبل.

وعندما دخلت إلى الكنيسة كانت رائحة بخور المستكى يعبق بها المكان، وكان في القاعة أناس جلوس على كراسٍ أمام منصة الكاهن ومن دخل من أهل البلاد ركع بمعنى جلس على ركبتيه وجعل يصلي صلاة المسيحيين.

والكنيسة مؤلفة من قاعة واحدة كبيرة عليها قبة قوطية الطراز، والغالب عليها صور القديسين المسيحيين بصورة كبيرة ملفتة للنظر ما بين مجسمة ومرسومة رسماً ومنها صورة المسيح عليه السلام وهو مصلوب بزعمهم. ومنها أركان تشبه المحاريب إلا أنها ليست عميقة الدخول في الجدران وفي كل واحد منها صورة لأحد القديسين والقديسات عند المسيحيين.

مركز المصنوعات الوطنية :

من هذه الكنيسة وساحة الدستور التي تقع فيها أخذنا السائق الذي جاء في الموعد الذي حدده بالضبط إلى أمكنة أخرى في مدينة مكسيكو فمر بميدان قال: إن اسمه ميدان الكرنفال ثم استقر الموقف أمام بناء فيه المصنوعات الوطنية من التحف والهدايا فدخلنا جميعاً فوجدناه حافلاً بما هو جديد مستحدث وما هو مستوحى من التقاليد القديمة وهو مصنوع من مواد مختلفة منها المرمر والنحاس والحديد والخشب وغير ذلك.

وكان أكثره يغري بالشراء غير أن ثقل الحمل والمسافة الطويلة منعتني من ذلك إلا من قليل من التحف الخشبية التذكارية الخفيفة.

ومع ذلك لم أر فيه إناساً كثيرين، ولذلك وجدت موظفة في محاسبة الفندق فرصة لتحثني على الشراء وهي تضحك فقلت لها : إن الحمل هو المشكلة لأن بلادي بعيدة فقالت: أين هي؟ قلت: في بلاد العرب.

فرحبت وقالت: إن في المدينة التي تسكن فيها والدتي بعض العرب من لبنان.

ثم قالت: أأعجبتك المكسيك؟

قلت: نعم أعجبني حسن المعاملة من أهل المكسيك للغرباء.

فقالت: أهذه أول مرة تزور فيها هذه البلاد؟

قلت: نعم.

قالت: أرجو أن لا تكون الأخيرة.

ثم قالت ممازحة، وفي المرة القادمة أرجو أن تتزوج زوجة مكسيكية.

ولما سألتها عن أصلها لأن مظهرها مظهر الأوروبيات ومزحها ومرحها مرح الشرقيات قالت: إنني مكسيكية ولا أعرف أصلي والناس لا يلقون للأصل هنا بالاً.

وانتهت هذه الجولة في الساعة الثالثة ظهراً.

يوم الخميس ١٤٠١/١١/٢٦هـ - ١٩٨١/٩/٢٤م :

وداعاً يا مكسيكو :

تركت الفندق قبل الساعة السادسة بقليل وكان الوقت لايزال فجراً إذ الشمس لا تطلع إلا في السابعة وذلك على سيارة أجرة أخبرني صاحب الفندق أن أجرتها مائتا بيزة أي: ثمانية دولارات أمريكية على وجه التقريب.

وكانت السيارات كثيرة حتى في هذه الساعة المبكرة فقد رأيت أن السيارات تكون موجودة في الشوارع في مكسيكو حتى في الليل.

وكانت السيارة تمعن في الذهاب إلى المطار الذي لا يزيد بعده على أربعة عشر كيلومتراً من الفندق وأنا أودع في نفسي هذه المدينة الكبيرة ذات الشعب الودود آسفاً على فراقها.

ومررت سريعاً بإجراءات المطار وهي سهلة ومنظمة وفي الساعة الثامنة كنا ندخل إلى طائرة شركة الخطوط الغربية (ويسترن ايرلاين) الكبيرة من طراز دي سي ١٠ التي تحمل ثلثمائة راكب ولكن ركابها لم يكونوا إلا بقدر نصف مقاعدها.

واستمرت واقفة فترة نصف ساعة قبل أن تتحرك .

إلى لوس أنجلوس :

في الثامنة والنصف صباحاً، وقد أعلنت المضيفة أن الطيران إلى مدينة لوس أنجلوس الأمريكية الغربية سيستغرق ثلاث ساعات وأربعين دقيقة. وأن الركاب يجب أن يعرفوا كيفية ارتداء اللباس اللازم للنزول الاضطراري في

البحر .

وعندما ارتفعت الطائرة عن الأرض بدت مدينة مكسيكو كبيرة واسعة الأركان ممتدة الجوانب، منسقة الشوارع. إلا أنه توجد جهة الجنوب منها مستنقعات فيها مياه خضراء لا أدري ما هي وحولها حقول ليست فيها أشجار كبيرة . ثم عطفت الطائرة إلى اليسار جهة الشمال لتتخذ الاتجاه الطبيعي إلى مدينة لوس أنجلوس وهو الشمال المائل إلى الغرب فطارت فوق أجزاء من هذه المدينة الكبيرة ممتدة أيضاً رغم أنه توجد جهة الشمال الشرقي من المدينة تلال خضر تقف لعلوها في وجه العمارة ولذلك كانت المنازل قد بنيت في سفحها ولحفها وليس عليها نفسها. والمنطقة هذه مزروعة زراعة حقلية منوعة.

ثم صارت الطائرة تطير فوق تلال خضر حجبها بعد ذلك سحاب أبيض يشعر بالبرد . ثم أخذت المضيفات الأمريكيات في الطائرة قبل طعام الإفطار يهيئن الشاشة في الطائرة لعرض شريط سينمائي يقطع به الركاب رحلتهم هذه الطويلة. ولذلك عندما وضعن طعام الإفطار وفرغ سرعان الناس منه طلبوا من الركاب إغلاق النوافذ ليمكن الاستمتاع بمشاهدة السينما.

وكان إفطارهم سخياً طيباً ولا عجب في ذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية قد أعطاها الله من نعمه ما فاض على الآخرين.

واستمر العرض السينمائي إلى ما قبل الوصول بحوالي أربعين دقيقة وعند انتهائه فتحت النافذة فرأيت المنظر من تحت الطائرة جبالاً جرداء كأنها جبال الصحراء عندنا.

وقبل الوصول إلى لوس أنجلوس بقليل كان السحاب مطبقاً عليها فاخترقته الطائرة وجعلت تطير وسطه في لجة بيضاء بانت بعدها هذه المدينة الأمريكية الواسعة الأرجاء (لوس أنجلوس) . ولبثت في مدينة لوس انجلوس ثلاثة أيام لعدم وجود طيران قبلها إلى جزر فيجي في المحيط الهادئ وكانت رحلة الخميس هذا اليوم قد فارقت المطار قبل وصولي ولي حاجة في قنصلية نيوزلندا في المدينة

لأخذ التأشيرة منها لدخول نيوزلندا.

وللحديث عن أمريكا والمدن الأمريكية مقام غير هذا المقام. في كتاب: «وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية» الذي لايزال مخطوطاً.

نبذة عن المكسيك :

لا بد من كلمة قصيرة عن المكسيك بعامة وعن عاصمتها (مكسيكو ستي) أو مدينة المكسيك بصفة خاصة.

تعتبر مدينة المكسيك أقدم عاصمة في القارة الأمريكية ، أما دولة المكسيك فقد وصفها بعضهم بأنها ليست دولة واحدة بل عدة دول متداخلة.

تقع العاصمة على ارتفاع ألف وستمائة وخمسين متراً من سطح البحر في الهضبة الوسطى كما يصل ارتفاع فوهات بعض البراكين إلى ١٧ و١٨ ألف قدم في أنحاء أخرى من البلاد.

ومناخ دولة المكسيك متقلب فهنالك الأدغال التي تغمرها مياه الأمطار والصحراء المتعطشة للماء. ومعظم أراضيها معرضة على الدوام للهزات الأرضية بسبب البراكين.

كان المكسيكيون القدامى قبل وصول الأوروبيين قد أقاموا المباني المرتفعة ودرسوا علم الفلك وعملوا تقويماً للسنة.

والشائع أن الهنود الأمريكيين الذي كانوا يسكنون البلاد قبل وصول الأوروبيين إليها هم من الآسيويين الذين عبروا البحر من آسيا إلى أمريكا الشمالية عن طريق مضيق بهرنج وأن معظم المهاجرين لم يبتعدوا عن الشمال الجليدي والبعض الآخر أقام في المنطقة المسماة الآن كندا والبعض الآخر استوطن الولايات المتحدة. وهم المعروفون بالهنود الحمر ومنهم من رحل إلى الجنوب وتعلم الزراعة التي استعاض بها عن الصيد للبقاء.

ومن هؤلاء المكسيكيون الأوائل وكانت عاصمتهم مكسيكو . وعندما قدم الأوائل منهم وجدوا نسراً يلتهم ثعباناً فهالهم المنظر وبالتالي أقاموا عاصمتهم في هذا المكان. واستعملوا القنوات بمهارة وبفضل ذلك استولوا على معظم أراضي المكسيك.

ثم قاموا حسب طقوسهم الدينية بغزو جيرانهم للاستيلاء على سجناء لتقديمهم قرابين للآلهة وذلك ما حدا بجيرانهم إلى مساعدة الجنس الأبيض عندما وصل إلى شواطئهم لاحتلال الأرض باسم الرب وباسم ملك إسبانيا. ثم جاء كورتيس لتحرير البلاد من المستعمر الإسباني.

عاصمة البلاد عبارة عن مدينة متناقضات من حيث القديم والجديد وحتى فيما يتعلق بالأهالي أنفسهم. ففي الأحياء الراقية يشاهد السكان وهم يرتدون أفخر الملابس الأوروبية وفي الأحياء الأخرى تجد السكان يرتدون (الريبوزوس) الذي يلتف على أكتافهم .

اهتمت الحكومات بالتعليم وأصبحت الدراسة إجبارية حتى سن الخامسة عشرة ومع ذلك فنسبة المتعلمين تصل إلى ٣٧٪ من التعداد.

ويوجد في المكسيك حالياً ١٨ جامعة بعضها شهرته عالمية.

وتوجد في المكسيك خرافات منها الاحتفال بعيد سيدة جواد لوب في شهر ديسمبر من كل عام ويقطع المتدينون منهم المسافة بين مدينة مكسيكو وجواد لوب وهي جوالي أربعة أميال سيراً على ركبهم.

ويغلب الظن بأن شعب التولتكس هو الذي بنى الهرم الكبير للتقرب من صنمهم وكذلك الأربعمائة معبد التي تحيط بالمنطقة. ويعتبر هذا الهـرم أقدم آثار العالم الجديد.

والسحر منتشر في البلاد بشتى طرقه وتقوم به نسوة متخصصات في هذا العمل يكن الجميع لهن الاعتبار والأصل العرقي في يوكاتان يعتبر أهم الأمور

فالطلاق يتم بالتراضي بين الزوج والزوجة بسبب عدم إنجاب الأطفال إذ ان الدم المايانى يعتبر بالنسبة لهم أهم بكثير من الحياة الزوجية.

ويتكون التقويم المايانى من ٢٦٠ يوماً مقسمة إلى ٢٠ دورة والأرقام من ١ إلى ١٣ تدل على أرقام كما تدل على أسماء لكل منها معنى في الحياة اليومية فهي ترمز إما إلى الخير أو الشر أو الصيد أو الشفاء من المرض أو حتى الحروب بزعمهم.

السكـان :

يبلغ عدد سكان المكسيك نحو ٧٠ مليون نسمة حسب آخر إحصاء رسمي لعام ١٩٨٠ م وقد أفادت بعض الإحصاءات أن المنتمين إلى أصول عربية يبلغ عددهم نحو مليون نسمة، وأما المعروفون الآن بأنهم من العرب فيبلغ عددهم نحو (١٥٠) ألف نسمة جلهم من نصارى لبنان من الطائفة المارونية.

وقد هاجر المسلمون إلى المكسيك بأعداد قليلة منذ زمن ليس بالقصير لكنهم ذابوا في المجتمع المكسيكي النصراني، وتنصر أبناؤهم من بعدهم.

والمسلمون حالياً يقدرون بحوالي خمسين أسرة فقط ـ من غير الدبلوماسيين ـ يقطن جلهم في مدينة طوريون ـ وهي تبعد عن العاصمة بنحو ٧٠٠ كيلومتر إلى جهة الشمال وكثير منهم من الشيعة الوافدين من جنوب لبنان.

أما المسلمون في العاصمة فقليل وقد قدر عددهم بعد التتبع الشديد بنحو خمس عشرة أسرة وهذا لا يشمل السياسيين وأفراد أسرهم بطبيعة الحال.

وقد حصلوا على الجنسية المكسيكية. والعمل الرئيسي الذي يمارسه المسلمون في المكسيك هو التجارة.

والغالبية العظمى من سكان المكسيك تدين بالديانة النصرانية الكاثوليكية. والكنائس الكبيرة القديمة البناء منتشرة بكثرة في كل مكان وخاصة في الأحياء

القديمة، وعلى الرغم من ذلك فلا تكاد ترى أحداً من رجال الدين النصراني يسير في الشارع بلباسه الكهنوتي. لأن الحكومة المكسيكية قد أصدرت قراراً بمنع رجال الدين من الخروج إلى الشوارع بألبستهم الرسمية.

وهذا القرار ضمن قرارات أبعدت الكنيسة عن التدخل في شئون الدولة أو الظهور بمظهر السلطة منذ قرن ونيف ـ وهو رد فعل لما قام به رجال الكنيسة من تجاوزات على حقوق المواطنين المكسيكيين أيام الاستعمار الإسباني.

وقد قامت الثورة ضد رجال الكنيسة عام ١٨٥٦ م ـ وانتهت عام ١٨٦٨ م ـ بانتصارها على الكنيسة ورجالها كما وضعت الدولة آنذاك يدها على بعض ممتلكات الكنيسة خشية من عودتها إلى السلطة، ومنعت المنتمين إليها من ممارسة أي نشاط له علاقة بشئون الدولة.

ثم أكدت ذلك في دستور البلاد، وقد شمل هذا القرار سائر الديانات الأخرى مما كان أدى إلى مصادرة وبيع المسجد الوحيد الموجود في إحدى ضواحي مدينة مكسيكو سيتي والذي بني في عهد السلطان عبد الحميد، وقد أصبح الآن داراً للسكنى. كما قيل لي.

ويصعب العثور في دليل الهاتف على أي اسم يشعر بإسلام صاحبه أو عروبته لقلة المسلمين وتحريف الأسماء، ولذا فإنه بالنظر إلى أن العرب والمسلمين المقيمين في هذه البلاد جل أعمالهم هي التجارة في العادة، فمن الأسهل البحث عنهم هناك وان كان أكثر الموجودين في السوق ممن يتكلمون العربية أو يزعمون أنهم من أبناء العرب، المعروفين في الأسواق في العاصمة، كلهم أو جلهم من اليهود أو النصارى وقلما يدلون المسلم على المسلمين من العرب وذلك لقلتهم وضعف حالهم.

التمثيل العربي الإسلامي :

الجدير بالذكر أن السفارات العربية والإسلامية الموجودة في المكسيك هي: المصرية والعراقية، واللبنانية، والباكستانية، والجزائرية، والتركية،

والإيرانية، ومكتب منظمة التحرير الفلسطينية. وقريباً جداً ستفتح السفارة السعودية كما هو مقرر ومما يؤسف له أن بعض سفارات الدول الإسلامية لا تعلم شيئاً عن أفراد المسلمين هناك ولا عن أسرهم ومن ذلك أن سفير إحدى الدول الإسلامية قال إنه لا يعرف أية أسرة مسلمة في العاصمة ولا يعرف شيئاً عن الجالية الإسلامية، إلا أن موظفاً في سفارته أفاد بأن هناك عائلتين مصريتين مسلمتين تعيشان في المكسيك، كما أفاد مسئولان في السفارة المصرية، بدور بعض الجامعات في مدينة مكسيكو سيتي واهتمامها بالدراسات الشرقية وتردد كثير من المسئولين فيها على السفارة المصرية بقصد الاطلاع على بعض الكتب التي تهتم بالدراسات الإسلامية وخاصة ما يتعلق بمجال العقيدة والفلسفة الإسلامية والدراسات المقارنة بين الديانات.

خصوصاً وأن الجامعة الرئيسية في العاصمة أقامت كرسياً للدراسات العربية كما أثارا قضية افتقار مكتبات الجامعة ومكتبات السفارات الإسلامية عموماً إلى الكتب الإسلامية لا سيما وأنهم يواجهون عدداً لا بأس به من الشعب المكسيكي يسأل عن الإسلام ويود التعرف عليه من خلال كتب أو نشرات كما هو الحال بالنسبة للديانات الأخرى.

وحبذا لو قامت الجهات المعنية في المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول الإسلامية بتزويد مكتبات الجامعات في البلدان الأجنبية وبعض السفارات الإسلامية ببعض الكتب الإسلامية التي تتولى طبعها وتوزيعها إتماماً للفائدة خصوصاً وأن حاجة السفارات الإسلامية إلى الكتب الإسلامية قد صرح به عدد كبير من أعضاء السفارات في المكسيك وأمثالها.

وقد نقل لنا أحد مبعوثي رئاسة الافتاء والدعوة في المملكة الذي زار المكسيك مؤخراً وهو الشيخ أحمد محايري أنه زار السفير العراقي في المكسيك واسم السفير عبد الودود الشيخلي وهو من المهتمين بالدعوة الإسلامية فأفاده بما ملخصه:

١ ـ أنه يجرى التفكير في إنشاء تجمع إسلامي يجمع أفراد الجالية الإسلامية تحت اسم معهد إسلامي عربي أو نحو ذلك.

٢ ـ أنه أجرى إحصاء عن مسلمي المكسيك فتبين أنهم لا يتجاوزون خمسين عائلة أغلبها تقطن خارج العاصمة في مدينة طوريون.

٣ ـ أنه وضع مشروعاً لإقامة مركز إسلامي بمشاركة السفارات الإسلامية الموجودة في المكسيك، ولكن نظراً لقلة المسلمين وللظروف الراهنة يصعب عليه السير في تحقيق هذه الأمنية، وأنه يعلق أملاً كبيراً على السفارة السعودية المزمع افتتاحها في المكسيك، لما عهده عن قيام السفارات السعودية بهذا الدور في كثير من البلدان. خصوصاً وأنه قد كانت له تجربة سابقة في إسبانيا.

اقتراحـات :

أولاً : لا بد من أن يتعرف المسلمون بعضهم ببعض، لأن بعضهم لم يلتقوا من قبل ببعض.

ثانياً: تنظيم اجتماعات دورية يتم فيها إذكاء روح الحمية الإسلامية في نفوسهم وحثهم للالتفاف والاجتماع والتعاون على البر والتقوى والعمل من أجل إثبات وجود المسلمين في مجتمعهم والتركيز على ضرورة اتخاذ الخطوات الأساسية للعمل الإسلامي الجاد وهو اتصالهم بسائر المسلمين الموجودين في كل أنحاء المكسيك، والمثابرة على ذلك.

ثالثاً : تشكيل جمعية إسلامية مكسيكية أو مركز إسلامي ثقافي أو نحو ذلك من المسميات التي تبرز الهدف الإسلامي من التجمع.

رابعاً: أن تقوم سفارات الدول العربية والإسلامية بالإتصال بالحكومة المكسيكية والحصول منها على أرض في مكان مناسب بغية إقامة مركز إسلامي في العاصمة يضم مسجداً جامعاً ومكتبة غنية بالكتب الإسلامية وقاعة

محاضرات على أن يعين في هذا المركز إمام ومساعد له من المشهورين بمحبة الدعوة إلى الله وحسن التصرف مع أرباب الديانات الأخرى ومن الذين يتقنون اللغة الإسبانية حتى يقوما بالدعوة إلى الله وشرح محاسن الإسلام وكشف الشبهات التي تثار حوله.

کولمبیا

يوم الجمعة ١٤٠٢/٣/٢٠هـ ـ ١٩٨٢/١/١٥م:

من كيتو إلى بوغوتا :

خرجنا إلى الطائرة من قاعة المغادرة في مطار (كيتو) عاصمة الإكوادور في غرب أمريكا الجنوبية وسط رذاذ من المطر وهواء بارد ذكرني بالشتاء في بلادنا.

وذلك رغم كون الإكوادور استوائية بل هي واقعة تحت خط الإستواء تماماً ومنه اشتق اسمها الإكوادور بالإسبانية أو الإكواتور بالإنكليزية بمعنى الإستوائية غير أن عاصمتها هذه التي نغادر مطارها الآن مرتفعة الموقع جداً في جانب من جبال الأنديز المشهورة ويبلغ ارتفاعها ألفين وستمائة متر عن سطح البحر.

وكانت الليلة ماطرة لأن هذا هو موسم الأمطار في هذه البلاد وقد قصصت قصة السفر في أقطار أمريكا الجنوبية التي منها الأكوادور في كتاب: «على قمم جبال الانديز».

وكانت الطائرة التي ستقلنا تابعة للبلاد التي نقصدها (كولومبيا) واسم الشركة (أفيانكا) وهو اختصار لجملة طويلة هي (أفيان ناشنال كولومبيا كوبانيا).

قامت في الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر في موعدها المحدد.

وكانت إعلانات الطائرة باللغة الإسبانية لغة أمريكا الجنوبية كلها ما عدا البرازيل ثم بالإنكليزية التي كانت المضيفات الجميلات يلفظن بها لفظاً لا بأس به بخلاف أخواتهن مضيفات أمريكا الجنوبية اللائي كان أكثرهن إذا تكلمن بالإنكليزية لم يستطعن الإقصاح بحروفها ولا نطق كلماتها كما ينبغي لقلة مرانهن على التكلم بها. فإن اللغة الإسبانية هي لغة واسعة في تلك المنطقة كافية لأداء الأغراض والمعاني التي يحتاج إليها العالم المسمى باللاتيني في أمريكا الجنوبية، ولقلة من يزورونهم ممن يعرفون الإنكليزية بالنسبة إلى جمهرة السكان في تلك القارة الواسعة.

وقد أعلن المكبر أن المسافة إلى بوغوتا عاصمة كولومبيا ستكون ساعة وثلثاً وكانت الطائرة مليئة بالركاب.

وقد بادر المضيفون أو لنقل : المضيفات إذا أردنا التدقيق لأنهن كلهن من فتيات الأماكن المرتفعة في كولومبيا. فوزعن على الركاب المناديل المبللة بالماء الحار وعطر الكولونيا.

وكنا قد نسينا هذه المناديل الحارة التي تنظف وتنعش منذ أن تركنا الطائرات البرازيلية في آخر رحلة معها من مدينة سان باولو في البرازيل إلى مدينة (بوينس آيرس) في الأرجنتين.

عندما نهضت الطائرة من مطار كيتو الصغير النظيف الضيق الذي يشبه الشارع العام ذا الاتجاهين الذين تفصل بينهما جزيرة من الحشائش الطبيعية. كانت البيوت تحاصر المطار أو على الأدق مدرج المطار من اليمين واليسار كما كانت التلال التي أطبقت عليها السحب السوداء الداكنة تحاصر الأفق من جهة الأمام.

ولكن الطائرة قد قبلت تحدي ذلك الحصار فأسرعت وهي تنهض تنطح تلك السحب حتى نفذت إلى أعاليها فصارت تمرق منها وكأن أعاليها الخيام البيض المنصوبة في صحرائنا العربية البعيدة.

ولم تفلح الطائرة في الخروج من هذه المعركة مع السحب بدون أن يبدو عليها الارتعاش الذي صوره الخيال إعياء بعد الخروج من ذلك النطاح.

إلا أنها لم تفلح في الإفلات من سحب أخرى مطبقة ظلت الطائرة تسبح منها في لجة بيضاء ما لبثت هذه اللجة أن أظلمت لكثافة السحاب رغم ارتفاع الطائرة ورغم كون الأرض تحتها مرتفعة ارتفاعاً بالغاً عن سطح البحر وذلك بسبب أن الموسم هنا هو موسم الأمطار. ثم ارتفعت فوق السحاب كله فصحا الجو وأطفأ القائد إشارة ربط الحزام.

وقد أصبحت تطير في الاتجاه الصحيح إلى بوغوتا وهو الشمال الشرقي من عاصمة الإكوادور.

كانت ضيافتهم جيدة، وكان طعامهم سخياً إلا أن الذي كدره أنهم وضعوا لحم الخنزير في الطبق الرئيسي ولا لحم غيره إلا شريحة من لحم البقر جعلوها مع لحم الخنزير في طبق واحد فلم نستطع الاقتراب منها.

وتلك عادة سيئة من عادات القوم في أميركا الجنوبية ألا يخلو طعامهم في الطائرات وفي أكثر المطاعم من لحم الخنزير غير أن أكثرهم يضعونه مع السلطات فيمكن للمسلم أن يتجنب أكل السلطة كلها إذا كان في الطائرة أو أن يطلب غيرها إذا كان في مطعم غير أن المشكلة هنا أنهم وضعوا لحم الخنزير في الطبق الرئيسي، بخلاف المعتاد في شركات الطيران العالمية غير المسلمة ألا يضعوا لحم الخنزير إلا في أطباق معينة أو أن يقتصروا في تقديمه على وجبة الإفطار.

والغريب في أمر هذه الطائرة أنها تنتمي إلى كولومبيا وهي دولة مشتهرة بوفرة الأبقار فيها وتصدير لحومها إلى عدة أقطار في داخل القارة الأمريكية الجنوبية وخارجها. فلماذا لم يضعوا لحم البقر وحده، ولحم الخنزير إذا أرادوا وضعه لقومهم وحده؟

وعندما وزعوا البطاقات التي يملؤها الركاب عند الدخول وجدتها أكثر تعقيداً من سابقاتها في أمريكا الجنوبية ما عدا فنزويلا مع أن هذه البلاد كولومبيا من البلاد التي يهاجر منها الناس لا إليها، بسبب الوفرة في السكان وكثرة الأيدي العاملة.

ومن أطرف ما فيها أنهم كتبوا على ظهرها تنبيها للراكب القادم بأن عليه أن يدفع عشرة دولارات أمريكية رسم مغادرة المطار عندما يريد السفر من كولومبيا.

وهذا جيد إذْ لم يكونوا كالبروانيين ـ أهل بيرو ـ الذين فرضوا هذه الضريبة عشرة دولارات أمريكية بمثابة رسم على مغادرة المطار لا يقبلونه إلا بالعملة الصعبة ولا يقبلون عملة بلادهم ولم ينبهوا الركاب على ذلك من قبل.

وكان طيران الطائرة كله فوق اليابسة بخلاف رحلاتنا قبلها التي كان أكثره أو بعضه فوق مياه أحد المحيطين الأطلسي أو الهادئ.

وقبل النزول بقليل وصلت الطائرة منطقة سحب كثيفة فوق جبال عالية فاهتزت واضطربت وصارت تنخفض انخفاضاً حاداً وترتفع كذلك كما كانت تفعل الطائرات المروحية القديمة بنا في وسط النهار في الصحراء وجعلت أنظر الى محركات هذه الطائرات النفاثة الكبيرة المعلقة في جناحيها وهي إثنان في كل جناح تضطرب وتتحرك بسرعة حتى أشفقت من ذلك. وهذه من المرات القليلة في حياتي التي خفت فيها من اضطراب الطائرات النفاثة في الجو. وزاد

من صعوبة الأمر نفسياً أن سير الطائرة كان معاكساً لسير السحاب فكنا نحس لذلك بسرعة مرورها في الجو مع اضطرابها.

وكان الطيار يحاول أن يجعلها تنخفض عن هذا السحاب الكثيف غير أن سحاباً منخفضاً جداً تتدلى أطرافه على رؤس التلال قد واجه الطائرة فحاول الارتفاع عنه بشدة فكان ذلك عاملاً من عوامل الإزعاج.

وليس من عادة طائرات البوينج النفاثة الكبيرة أن تفعل ذلك، ولكن ربما كان لقلة خبرة القائد الذي ضرب الأرض بسرعة عند النزول فقفزت الطائرة ثلاث مرات قبل أن تستقر دخل في ذلك، وربما كان لحالة الجو في هذه الأرض المرتفعة جداً عن سطح البحر وفي موسم الأمطار يد فيه.

وبدت الأرض مزروعة بالحقول قبل النزول بقليل، وكادت عجلات الطائرة تلامس الأرض قبل أن يضيء القائد إشارة وقف التدخين.

ولم أر المدينة من الطائرة لأن الطيار كان قد انخفض بشدة قبل الوصول إلى المطار بمسافة طويلة.

إضافة إلى وجود ضباب كثيف كالدخان كان يلف الأرض البعيدة. إلا أننا رأينا جزءاً منها صغيراً منازله حمر الألوان وشوارعه تسبح في مياه الأمطار.

في مطار بوغوتا :

نزلت الطائرة في الساعة الرابعة إلا ربعاً من بعد الظهر في مطار ذي مدارج غير واسعة واقعة بين أعشاب وحشائش خضراء نامية وقد أضاءوا أنوار المطار في هذه الساعة من النهار بسبب الحاجة إلى ذلك من السحاب الكثيف والمطر الذي كان ينزل خفيفاً.

وفي المطار كانت هناك طائرات كثيرة بعضها ليس نفاثاً وتستعمل للنقل الداخلي بين الأقاليم.

وقد أوقف الطيار طائرته هذه الكبيرة أمام باب دهليز ثابت أي: غير متحرك كما هو الموجود في أكثر المطارات العالمية.

فكانت حركة الاقتراب ثم الالتصاق فيه كلها من الطائرة لا من الباب. وهذا أمر مثير للاستغراب وهو خطر على الطائرة بطبيعة الحال.

دخل الركاب من البوابة الخرسانية الثابتة التي وقفت الطائرة بجانبها مباشرة، وكانت الإجراءات في المطار سهلة فلم نتوقف عند ضابط الجوازات.

ومن اللطيف في الأمر أنهم وضعوا مكتب الاستعلامات المتعلق بالفنادق وكذلك مصرف النقود في داخل منطقة الجوازات وقبل تسلم الأمتعة فكنا ونحن في انتظار الأمتعة نسعى في حجز الفندق وصرف النقود.

أما الفندق فاخترناه في وسط المدينة اسمه (برزدنت) أي الرئيس وسعره ما يعادل ٣٣ دولاراً وأما الصرف فانهم أعطونا عن كل دولار أمريكي أربعة وخمسين بيزة، ولاتزال (البيزة) رغم ضرب المثل بها في القلة في بلادنا وهي جديرة بذلك تلازمنا في بعض أقطار أمريكا الجنوبية والوسطى.

وكان جميع عمال الفنادق والصرف من فتيات كولومبيا الجميلات اللائي يسرعن إلى الحديث مع الرجال لا يتحفظن في ذلك رغم كون مظهرهن مظهر الأوروبيات وبخاصة منهن ساكنات المرتفعات.

ومن اللطيف في الأمر أيضاً أن بعض المضيفات الأرضيات اللائي استقبلن الركاب في مدخل قاعة الوصول كن يرتدين فوق لباسهن المعتاد رداء أحمر يشبه رداء رأيت المضيفات الأرضيات في الجزائر يلبسنه إلا أن هذا الكولومبي ليس فيه جزء يغطي الرأس كالجزائري.

وكانت إجراءات الأمن مشدّدة بسبب حالة سابقة من ارتخاء رجال الشرطة وانفراط الأمن في هذه البلاد فكانوا يحاولون الآن أن يعيدوا الأمور إلى نصابها.

أبنية مطار بوغوتا كما تبدو من جهة المدينة

وتجلى ذلك عند سيارة الأجرة فقد كان هناك ضابط شرطة يستدعي سيارات الأجرة وعندما ركبنا فيها أعطانا ورقة باسم السائق ورقم سيارته ومعلومات كافية عنه، وكذلك كان عند باب الخروج من القاعة الرئيسية في المطار شرطة ظاهرة تحفظ الأمن.

وكانت سيارة الأجرة قديمة مهلهلة والمسافة ما بين المطار ووسط المدينة الذي فيه الفندق ثمانية عشر كيلاً.

أما الطريق فانه واسع جداً في وسطه جزيرة واسعة من الحشائش والأعشاب الطبيعية النامية وهو ذو اتجاهين اثنان منهما للذاهب واثنان للآيب.

وانطلق الطريق من المطار في ريف ندي قليل العمارة حتى وصل أطراف المدينة فمر بأبنية متطامنة متفرقة. وقد نقدنا السائق أجرته أربعمائة (بيزة) ويساوي هذا سبعة دولارات ونصفا.

في مدينة بوغوتا :

كتبنا اسمها بالغين بخلاف ما يفعل بعض العرب الذين يترجمون اسمها عن الإنكليزية فيكتبونه (بوجوتا) ظناً منهم أن صحة النطق هي قاف مضربة بالضاد المنقوطة نسبة إلى مضر من عدنان وتلك القاف تشبه الجيم المصرية ـ بالصاد المهملة ـ نسبة إلى البلاد المصرية.

ولكنني سمعت القوم من أهلها ينطقون بها بغين حقيقية عربية كالغين في كلمة (غير) مثلاً. أما معنى الاسم فانه هندي وهنديته هذه منسوبة إلى من يسمون باللغة الإنكليزية (الأمرانديان) أي الهنود الأمريكيون وهم الذين كانوا يسكنون البلاد قبل وصول الإسبانيين إليها في القرن السادس عشر الميلادي.

وكان موضعها لقبيلة هندية صغيرة تسمى (مويسكا) ويلفظونها باكاتا فغيره الإسبانيون إلى بوغوتا ـ ومعناه بلغة تلك القبيلة: أرض الحظ الحسن.

بدت المدينة بعمارات فيها عالية حديثة في لحف جبل عالٍ أخضر، وكأنما لم يرض مخطوطها الأولون بأن تكون في هذا المحل العالي من جبال الأنديز الشمالية إلا أن يختاروا لها هذا الموقع بجانب جبل عالٍ يطل عليها أيضاً.

وأكثر بناياتها يغلب على طلائها اللون الأحمر بخلاف (كيتو) التي يغلب عليها البياض.

لم تبد المدينة لنا وجيهة ذات مظهر حديث جداً كالذي عليه الحال بالنسبة إلى مدينة (كيتو) عاصمة الإكوادور التي قدمنا منها فضلاً عن مدينة (بوينس آيرس) عاصمة الأرجنتين التي تعتبر كالمدن الأوروبية بل تفوق بعض المدن الأوروبية.

القسم الحديث من مدينة بوغوتا

مشارف حي كولون في بوغوتا القديمة

ولكنها ليست ذات أجزاء مهملة كبعض مدن الشرق الأوسط والهند ولا ذات منظر كئيب كمدينة ليما عاصمة بيرو بل هي وسط في ذلك.

ولم نستطع مقاومة الرغبة في المشي قبل حلول الظلام إذْ لم يكن بقي على غروب الشمس إلا أكثر قليلاً من الساعة فخرجنا أنا ورفيقي في الرحلة الأخ الرائد عبدالله العريفي نتمشى في هذه المدينة التي نصلها لأول مرة.

ولقد جربت في نفسي متعاً كثيرة من متع الحياة فما وجدت فيها متعة تعدل متعة السير في مدينة جديدة عليّ أستجلي معالمها، وانظر إلى وجوه أهلها إذا كانت وجوهاً غريبة المظهر عليَّ.

وأكثر ما يسترعي الإنتباه لأول مرة كثرة الزحام من الناس والسيارات في هذا الجزء من قلب المدينة التي يبلغ عدد سكانها ستة ملايين نسمة فهي أكبر من أية عاصمة عربية بعد القاهرة.

ومن مظاهر ذلك الزحام والليلة هي ليلة السبت التي يسفر صباحها عن يوم السبت أن شاهدنا طابُوراً طويلاً قد امتد من الرصيف وانحرف معه وهو للذين ينتظرون دورهم في دخول دار للسينما.

ومن ذلك أن الأرصفة مليئة بالمشاة. وفيها عدا المشاة باعة الفاكهة المتنوعة يحملون بضائعهم على عربات يقفونها بجانب الرصيف وفوقه.

القلب التجاري لمدينة بوغوتا

مدينة بوغوتا نهاراً

وأكثر الفواكه مما تنتجه بلادهم (كولومبيا) فهي واسعة نسبياً وهي ذات أجواء متباينة من أجواء ساحلية وأخرى منخفضة ذات مناخ استوائي نظراً لوقوع البلاد داخل الدائرة الاستوائية إلى مناطق عالية باردة تشبه الشرق الأوسط بسبب علو موقعها.

لذلك كانت الفواكه والنباتات التي تنتجها مختلفة متنوعة.

والسيارات في هذا الجزء من قلب المدينة كثيرة. والمرور منظم، ولكن الناس لا يحترمون إشارات المرور فتراهم يمرون منها رغم كون الإشارة حمراء تعطي الحق لمرور السيارات فتراهم يركضون ليتفادوا السيارات وترى سائقي السيارات يحرصون على عدم السرعة لئلا يؤذوا أحداً منهم.

وهذا أمر لم أجد له مثيلاً فيما سبق أن رأيته في مدن أمريكا الجنوبية التي يحترم فيها الناس إشارات المرور ويلتزمون بها.

وأما السكان فانهم أكثر سمرة من أهل بعض العواصم الأمريكية الجنوبية التي مررنا بها ومنها بوينس آيرس و(سانتياقو) عاصمة تشيلي وكيتو عاصمة الإكوادور. ولكنهم في الواقع لا يعتبرون سمراً سمرة المصريين أو الهنود بل هم مثل سكان سورية ولبنان ما عدا بعض الذين هم من أصل هندي أمريكي من أهل الأرياف والقرى ففيهم سمرة أكثر مثل سمرة سكان الجزيرة العربية.

على أن البياض وليس الشقرة التي تماثل شقرة سكان شمال أوروبا موجود بكثرة أيضاً. وعلى وجه العموم فإن أكثر الناس يقربون في ألوانهم من اللون العربي الشمالي في سورية ولبنان وهذا هو اللون الغالب عليهم.

ولذلك لم نكن نلفت نظر أحدهم منهم ولم يكن يظن ظان منهم أننا غرباء

لولا وجود اللحية التي لا يطلقها إلا القليل النادر من أهل البلاد بخلاف الأوروبيين والأمريكيين الذين توجد فيهم نسبة لا بأس بها ممن يطلقون لحاهم.

وأما مظاهر السكان من حيث اللباس وصحة الأجسام فإنها أقل من مستوى أهل الأرجنتين وتشيلي ولكنها أعلى من مستوى أهل بيرو والأغلبية الساحقة من سكان مدينة ريو دي جانيرو في البرازيل.

ومن مظاهر تدني المستوى في ذلك عند هؤلاء الكولومبيين وجود بعض المتسولين في الشوارع وإن يكن ذلك على قلة إلّا أنه غريب في عواصم أمريكا الجنوبية لا يلفت النظر وجوده إلا هنا وفي ليما عاصمة بيرو.

ولذلك لا ينبغي أن يظن ظان أن (الشحاذين) كثيرون هنا وأنهم في النسبة مثلهم في نيروبي مثلاً فضلاً عن أن يكونوا مثلهم في الهند التي لا تبارى في عدد الشحاذين في مدنها حتى تعتبر بحق بلاد الشحاذين الملحفين.

كذلك مما يسترعي الإنتباه هنا وجود عدد من الناس وبخاصة من الشبان والرجال الأقوياء واقفين في الأرصفة أو تراهم يظهرون لك وكأنهم لا عمل لهم ولا همّ لهم إلا مراقبة المشاة أو حتى تمضية الوقت وهو أمر قليل الوجود في البلاد المتقدمة في الإدارة التي تكثر فيها فرص العمل.

ومن ذلك أنك ترى طائفة من الشبان والصبيان ماسحي الأحذية في أرصفة الشوارع.

وأما حالة الأرصفة والشوارع والمحلات العامة فإنها جيدة بالنسبة إلى مدن الشرق العربي مثل القاهرة ودمشق ولكنها متدنية بالنسبة إلى الرياض والمدن المتقدمة الأخرى .

فهي إذاً عاصمة وسط ما بين العواصم الفاخرة في أمريكا الجنوبية وبين العواصم المتأخرة في بعض البلدان المتخلفة في الإدارة المسماة بالبلدان النامية.

مما يجعل السائح الذي يصل إليها من بلدان متخلفة يراها عظيمة جليلة في ذلك الركن الذي يعتبره ركناً منزوياً عن العالم على الحدود الجنوبية لما يسمى بأمريكا الوسطى.

ولكن لو كانت زيارته إليها من مدينة أوروبية أو أمريكية مثلاً فإنه سوف يراها متخلفة عنها، وعلى أية حال فإن (كولومبيا) هذه وأشباهها تصنف عادة مع البلدان النامية وعاصمتها هذه أرقى من عواصم كثير من تلك البلدان.

وماذا عن النساء ؟

في البلاد الأوروبية التي تطلق للمرأة حريتها في الدخول والخروج والتجول والعمل وفي أكثر بلدان العالم لا بد للسائح أن يطلق هو عينيه في حالة النساء فيها.

ذلك بأنه يفعل ذلك من كونه ذكراً يرى أنثى في الشارع وإن تكن الرؤية من هذا الاعتبار مختلفة فليس كل ذكر يريد كل أنثى.

ولكن الطبيعة التي خلقها الله تعالى في بني البشر تحمله على ذلك والأمر صحيح بالنسبة إلى العكس غير أن في النساء شيئاً يلفت نظر السائحين أكثر وهو أنهن يكون لديهن في الغالب إذا أطلقت لهن الحرية في ذلك أنواع من أنواع اللباس، وأنماط من أنماط التزين قد تختلف في بلد عن آخر لذلك تكون مدعاة للنظر إليهن ومحاولة التعرف على ذلك في مظاهرهن.

والمرأة (الكولومبية) من واقع النظرة الأولى والسريعة التي تلتها إليها هي امرأة متحررة ولا ينبغي أن يفهم القارىء الكريم أن الكاتب يقصد بهذه الصفة صفة ذم أو مدح وإنما هي صفة تعريف مجرد.

فهي تسرع إلى التعرف على الرجال وبخاصة من تجد فيهم الميل إلى التعرف عليها والغرباء في الغالب يكون عندهم ذلك الميل.

فتراها تلبس من أنواع الألبسة ما يكون فيه شيء من الخروج على المألوف وتراها تضاحك الرجال في الشوارع ولا أحد يلفت نظره ذلك.

وقد ترى ما رأينا في أول هذا الليل من وقوف طائفة منهن وفيهن بعض الشابات وهن يعرضن أنفسهن كما تفعل بعض العارضات الباريسيات فلا أحد يخجل من ذلك من قومهن أو حتى من ذوي الأمر في بلادهن.

على أنهن لا يتصارخن، ولا يلحقن بالرجال، ولا يحاولن أن يلفتن نظر الغافل عنهن. وإن كان مجرد وقوفهن هو بذاءة ما بعدها بذاءة، ودناءة ما تحتها دناءة.

وهل أكثر انحطاطاً من أن تعرض المرأة نفسها على البائعين الذين يدفعون الثمن ولو كانوا من ذوي الشكل القبيح، وأن تتاجر بعواطفها وعواطفهم..

والمرأة تعمل في كل الأماكن العامة التي رأيناها مثل المطاعم والمقاهي وبعض المتاجر أكثر من الرجل.

ومن ذلك أننا دخلنا مطعماً شعبياً من مطاعمهم الشعبية التي تنتشر في هذه المدينة انتشاراً واسعاً أكثر من المطاعم الفاخرة. فكان جميع العاملات فيه من النساء بدون استثناء حتى الطباخات.

وقد رأيناهن يقدمن في المطعم طبقاً من اللحم والمرق المخلوط بالخضراوات وكنا في حاجة إلى ذلك. فسألنا عنه أحد الموجودين ممن يعرفون الإنكليزية فقال : إنه من لحم البقر فلما طلبناه جاءوا به يحوم فوقه بخاره. وتحوم رائحته في الأنف بعد الطعام الذي يشبه طعام الأوروبيين في بعض الفنادق الراقية.

وطلبنا معه صحناً من (الرّز) هكذا يلفظون باسمه في اللغة الإسبانية كما نلفظ به في اللغة العامية في بلادنا (الرّزّ) بتشديد الراء والزاي وهي مما دخل في اللغة الإسبانية من العربية.

ولما ذقناه استطبناه لأن جميع اللحم الذي فيه وإن كان بعض الفقهاء لا يسميه لحماً وقد نصوا على ذلك في باب الحلف هو مما ضمه جوف البقرة من رئة وطحال ونحوه أضيف إليه بعض الخضروات والأبازير فغدا لنا بمثابة الإحماض بعد الخلة إذْ كان لحمنا الذي نتناوله الأيام الماضية هو الهبر المشوي الذي اجتوينا أكله ومللناه.

ولم يكن العجب من ذلك وإنما العجب من كون الوجبة كلها لم تزد قيمتها على تسعين بيزة ويساوي ذلك أقل من الدولارين.

واللغة هنا مشكلة كما هي الحال عليه في كل أقطار أمريكا الجنوبية إذْ هم لا يعرفون إلا الإسبانية وقل فيهم من يعرف الإنكليزية.

والصعوبة في الأمر تأتي في المطاعم لأنهم قوم أكلة للحم الخنزير، ولا بد من السؤال عن وجود الخنزير في الطعام، ولم نستطع إلا أن نحفظ اسمه بالإسبانية على استكراهنا لذلك ولنطلب إبعاده عنا.

الخنزير الممسوخ :

قال حماد عجرد الشاعر يهجو الجاحظ :

لو مُسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلَّا دون قبح الجاحظ

وليس المقصود بإيراد البيت الإستدلال على قبح الجاحظ أو عدمه فذلك أمر غير مهم والبيت لا يعطي دلالة واضحة على ذلك إلّا إذا كان صادراً من رجل صادق اللهجة موزون الكلمة بعيد عن الكذب ، وحماد عجرد خلاف ذلك.

ولكن المقصود منه ببان قبح الخنزير في عيون أسلافنا العرب فهو أولاً مسخ مثله في ذلك مثل القرد. وقبحه يضرب به المثل. أما شناعته عندنا فذلك لا داعي لذكره لأنه مستقر في النفوس.

فما بالك بالخنزير إذا رأيته مطبوخاً كاملاً وقد جحظت عيناه وتقلصت شفتاه عن أسنانه وظهرت أحشاء بطنه.

لقد رأيته كذلك في أحد المطاعم معروضاً على بابه فوق منصة ظاهرة وهو مشوي أو مطبوخ لا أدري إلا أنه جاهز للأكل رأيت الناس يأتون إلى المطعم ويطلبون من لحمه وصاحب المطعم يقطع لهم منه بالسكين، ولم يمنعهم من ذلك بروز فمه وقبح شكله الذي هو في نظري صاد عن أكله. رادّ به عن تكرار النظر إليه لو كان حلالاً.

وهذا أيضاً مظهر من مظاهر ولع هؤلاء القوم في أمريكا الجنوبية بأكل الخنزير وإكثارهم منه.

الأمــن :

حالة الأمن في (بوغوتا) هذه ليست جيدة بل هي سيئة وكنا قد حُدثناعن ذلك كثيراً قبل الوصول إلى بوغوتا ولما وصلناها رأينا مظاهر الاهتمام بالمحافظة على الأمن كثيرة ومن ذلك أن فندقنا فيه رجلان مسلحان من رجال الشرطة يأتيان إليه في المساء ولا يغادرانه إلا في الصباح. مثله في ذلك مثل سائر الفنادق التي يسكنها الأجانب.

والشرطة ورجالها كثيرون في الشارع ورأيتهم يوقفون بعض الأشخاص من المواطنين ويستجوبونهم، وقد نصحنا بعض الأصدقاء قبل أن نصل إلى بوغوتا بأن نكون حذرين ولكننا لم نواجه مشكلة من هذا القبيل أبداً ولله الحمد.

ولقد رآني أمريكي عند باب الفندق معي آلة التصوير فأسرع إليّ وهو لا يعرفني وقال بتأثّر بالغ: يجب أن تخفي هذه حالاً ضعها تحت الصديري لئلا يراها أحد، إنها ستنهب منك غصباً، إن بعض الناس سينتزعونها منك انتزاعاً ويهربون ولا تستطيع أن تلحق بهم ولا يستطيع أحد أن يساعدك إن أراد.

وحتى في الليل لقد خرجنا معاً بعد أن تخففنا مما نخشى عليه من النقود وجعلنا نمشي في الشارع ونتحدث بالعربية بطبيعة الحال، ولم يضايقنا أحد بل لم يحاول أحد أن يضايقنا فيما ظهر لنا من حالهم.

فهم في هذا الأمر وديون مثل سائر شعوب أمريكا الجنوبية رغم حالة الحاجة التي قد تحمل البعض على الجريمة.

ومع أننا لم نلاق أية متاعب في هذه البلاد لا من الحكومة ولا من الشعب ولم نر من حاول أن يغشنا فضلاً عن أن يستولي على شيء منا دون حق فإننا لم نشعر بالراحة النفسية التي شعرنا بها في عواصم الأرجنتين وتشيلي والإكوادور وربما كان ذلك لمناظر بعض الناس المحتاجين أو الذين يوحي مظهرهم بأنهم قد تلجئهم الحاجة إلى أخذ شيء منك.

ولكثرة ما يلح به علينا من قابلناهم من الأجانب وبخاصة من الأمريكيين عن حالة السرقة والانتهاب. ومن ذلك أن الأمريكي الذي نصحني بأن أخفي آلة التصوير قد أقبلت زوجته وهي أمرأة مسنة كاسفة البال حزينة فأشار إليها وقال: لقد نهبوا منها حقيبتها في الشارع الليلة البارحة وأنا أمشي معها.

فقلت له: ألم تخبر الشرطة بذلك؟ فقال: لا، إنهم لا ينفعون في هذا الأمر.

ولما أخبرته بأننا كنا نمشي في الشارع ولم يتعرض لنا أحد، قال: ربما كان ذلك لكون ألوانكم تميل إلى السمرة مثل ألوانهم بخلاف لوني أنا.

والواقع أنه لم يكن أكثر بياضاً من الكولومبيين الذين هم من أصل أوروبي ولكن كانت أمريكيته واضحة من امتلاء جسمه وارتخائه، ومن تغضن جلد زوجته وهذه من السمات التي لا يخفى معها الأمريكيون المسنون عن العيون.

فقلت له: إننا لاحظنا أن الناس هنا طيبون وليسوا شريرين قال: إن الفقر وكثرة العدد في العاصمة يجعلهم يسرقون، إن عددهم فيها يبلغ سبعة ملايين.

ومع أن العدد الكثير لا يدل على الفقر كما في بلاد الأمريكي نفسه فإن المعروف أن سكان هذه العاصمة هم ستة ملايين.

ولقد ذكرت المثل الدارج في بلادنا القائل (من قرصته الحية جفل من الحبل) حين رأيت زوجته تخفي تحت إبطها شيئاً قالت: إني أخاف أن يسرق وهو لفافة من اللفافات لا أدري ما فيها.

وكذلك أخفى الأمريكي وزوجته ساعتيهما في داخل الكم.

ومع أن السائحين الأمريكيين يعتبرون في نظر المختلسين والمنتهبين في بعض البلدان من الصيد السمين لأنهم يعتبرونهم من الأغنياء الأغبياء فإن الحديث عن السرقة والإنتهاب لم يقتصر عليهما وحدهما بل حدثنا به حتى أهل البلاد الأصلاء.

من ذلك ما حدثتنا به مثقفة من أهل البلاد ذكرت أن زوجها طبيب مشهور وقالت: إن حوادث عدم الأمن كثيرة جداً إلى درجة أن الأساور تؤخذ من أيدي النساء والأقراط تنزع من آذانهن وقالت: انظروا إلى أذنيّ إني أريد أن أحليهما بقرطين فأنا قادرة على ذلك غير أنني لا آمن عليهما من أن تنزعا من أذني.

وقالت: لقد نزعت ساعة لي ثمينة من معصم يدي ولذلك لا أحمل الآن إلا ساعة رديئة ولما سألتها عن السبب في ذلك أجابت: إن ذلك بسبب الفقر وعدم توفر الأعمال لبعض الناس وسبب هذا سوء الإدارة من المسئولين في الحكومة، وعدم المبالاة بحل المشكلات الرئيسية لسواد الشعب.

يوم السبت ١٤٠٢/٣/٢١هـ - ١٩٨٢/١/١٦م :

صحونا مبكرين قبل انبلاج الفجر على أصوات حركة السيارات وغيرها فبعض القوم تضطرهم أعمالهم إلى التبكير هذا ما فهمناه من هذه الحركة وكان فندقنا على شارع رئيسي كثير الحركة.

وعندما أزحت الستارة عن نافذتي مع شروق الشمس كان أول منظر رأيته نساء يكنسن الأرصفة والشوارع كما في ليماعاصمة بيرو فهن يفعلنه أكثر من الرجال.

وكان الجو في هذا الصباح بارداً برودة منعشة كما هو كان في المساء فالعاصمة ترتفع كثيراً عن سطح البحر وبرودة جوها جاءتها من ذلك لا من بعدها من خط الاستواء.

تاريخ بوغوتـا :

عاش هنود المويسكا عيشة فطرية بسيطة على هضبة بوغوتا حتى مجيء الإسبان عام ١٥٣٧م فأسس المدينة دون جونزالو جيمنيز دي كويسارا طبقاً للتعليمات التي أصدرها فرناندو الكاثوليكي في عام ١٥١٣م للأراضي المحتلة وهي: مكان به مياه كثيرة، جوه صاف، قريب من الجبال، وأرضه صالحة للزراعة.

خططت المدينة يوم ٦ أغسطس ١٥٣٨م وابتدأت الحياة المدنية بإقامة اثني عشر كوخاً من الخشب والقش مثل أكواخ الوطنيين الذين يبلغ عددهم

٦٠٠٠ في ذلك الوقت وأطلق اسم (سانتا في دي بوغوتا) على تلك المنطقة.

في عام ١٦٦٦م اجتاح البلاد وباء قضى على نسبة كبيرة من السكان وقدر بعدئذ تعدادهم بـ ٣٠٠٠ إسباني وحوالي ١٠ ٠٠٠ من الهنود الأمريكيين.

أول إحصاء لسكان المدينة تم عام ١٧٩٣م وقد بلغ عدد سكان بوغوتا آنذاك ١٧ ٧٢٧ نسمة وفي الاحصاء الثاني عام ١٨٠١م ارتفع العدد إلى ٢١ ٣٣٩ نسمة.

واسم بوغوتا حسب الاسم الهندي باكاتا كما تقدم.

وفي عام ١٩٣٥م وبعد أربعمائة سنة من إنشاء المدينة بلغ عددسكانها ٣٥٠ ٠٠٠ ألفاً ونظمت الطرق وتوحدت ثم حصل تغيير جذري في التطور بعد عام ١٩٤٠م من جراء عدد من الظروف الاجتماعية والاقتصادية مما تسبب في هجرة سكان الريف للمدينة ونتج عن ذلك ضرورة إيجاد حل سريع أو سن قوانين لمواجهة هذه الحالة المقلقة.

ولكن أصبحت المدينة من أكثر مدن أمريكا ازدحاماً فقد بلغ عدد سكانها حالياً ستة ملايين نسمة والازدياد السكاني يرتفع سنوياً بنسبة ٧٪ مما يضاعف التعداد كل ١١ سنة.

وبوغوتا: هي المركز الأساسي للسياسة والاقتصاد والصناعة والثقافة في الدولة.

مناخ بوغوتا :

تقع على ارتفاع ٢٥٥١ متراً عن سطح البحر وهي واقعة في قلب كولومبيا وذات مناخ ربيعي مستديم مع تواجد بعض الفترات الباردة وأحياناً يوجد تناقض في المناخ حيث يكون الجو ممطراً في الصباح وبعد الظهر يكون شامسًا

مدينة بوغوتا

رائعاً، وبالعكس ولذلك يجب أن تنظر إلى السماء لاختيار ما سترتديه اليوم ومن الطريف ما يقوله بعض أهل بوغوتا من أنه يجب الاحتراس من الليالي الصافية التي تكون النجوم فيها ظاهرة بوضوح لأنه كلما كانت النجوم صافية ازدادت البرودة.

معالم بوغـوتا :

هي كثيرة منها المتاحف التي تعطي للزائر سجلاً ثميناً لحالة السكان القدماء قبل وصول الأوروبيين ، ثم في فترة الحكم الإسباني والاستقلال ، كما وأن هناك متاحف تظهر طريقة حياة مجموعات السكان من هنود وفلاحين في

الوقت الحاضر بعاداتهم وتقاليدهم .

وقد زرنا بعض هذه المتاحف التي من أهمها متحف الذهب كما سيأتي.

قاعة في أحد متاحف بوغوتا

ميدان بوليفـار :

من أهم معالم المدينة لأنه يقع بين الكاتدرائية وقصر الكردينال ودار الجمعية الوطنية حيث تعقد جلسات النواب ووزارة العدل ويعتبر الشريان الحيوي للحياة الكولومبية ومرت به أحداث هامة جداً وكثيرة من الحياة السياسية في الدولة وحيث تنتهي أغلبية الاستعراضات والمؤتمرات مهما كانت

الجهة التي ابتدأت منها.

ميدان بوليفار

هل بوغوتا غير آمنة ؟

كل المسافرين الذي لقيتهم وبخاصة منهم الأمريكيين يقولون إن بوغوتا غير آمنة، بل حتى بعض الأثرياء من الوطنيين يقولون: إنها غير آمنة بالنسبة لهم إلا أن بعض المواطنين الفخورين بمدينتهم يقولون: إن بوغوتا ليست أكثر خطورة من روما أو نيويورك مثلاً كما يقولون إن أسباب عدم الأمن في بوغوتا كثيرة منها الفقر وكثرة السكان والبطالة مما يجعل المدن الكبيرة عنيفة وفي بعض الأحيان خطيرة. وتنصح إدارة السياحة في (بوغوتا) السياح الأجانب لتفادي المضايقات باتباع الآتي:

- لا تتسلق هضبة (مونسرات) مترجلاً ومعك آلة تصوير.
- لا تسر في وسط المدينة مع زوجتك وهي تتحلى بمصاغ ثمين.
- إذا رغبت التصوير في الشوارع فتجنب الأشخاص الذين تشك فيهم.
- لا تستعمل إلا التاكسيات الخضراء أو العاجية اللون رغم أن أسعارها مرتفعة بعض الشيء ولكنها نظيفة ومأمونة.
- إذا تعاملت بالنقد في المحلات العامة كن حذراً وراجع حسابك وإذا ما أردت التأكد من صحته فاسأل بسرية.
- إذا رغبت في أية معلومات اتصل بشرطي السياحة أو بالهيئة الوطنية للسياحة أو بالأشخاص المصرح لهم في الفندق الذي تقيم فيه.
- يفضل أن تقوم بمشترياتك وبنزهاتك في أماكن غير منزوية أو في صحبة دليل موثوق به من أهل البلاد إن أمكن ذلك.

في وسط مدينة بوغوتا

السكـان القدمـــاء :

قلنا : إن الهضبة الخصبة التي أقيمت عليها مدينة بوغوتا منذ أربعة قرون كانت موطناً لشعب (مويسكا) من هنود أمريكا المسالمين ومهنتهم الزراعة وأهم محاصيلها الذرة. كما كان هذا الشعب يستغل أيضاً مناجم الملح ويصطاد الأسماك ويصنع الأقفاص ويغزل السجاد القطني ويفخر بأعمال الخزف والذهب التي تخصص فيها.

إلا أن تعدد السلالات والثقافة هو طابع مدينة بوغوتا في الوقت الحاضر كما هو الحال بالنسبة للعديد من مدن كولومبيا.

وبعد أن احتل الإسبانيون المنطقة في القرن السادس عشر بعد اكتشافها أقاموا المدينة التي أطلقوا عليها اسم «سانتا في دي بوغوتا» في مكان مقابل لمحل إقامة «زيبا» زعيم ورئيس قبيلة «المويسكا».

وما يسمى اليوم بحي «كاندلاريا» وفي السابق «باريو دي لوس بريسيبس» أصبح مسرحاً للنشاط الاجتماعي والثقافي والمعماري لمدينة «سانتا في دي بوغوتا» خلال فترة الاحتلال الإسباني من عام ١٥٥٠ م حتى عام ١٨١٠ م وشيدت جميع مبانيه على الطراز الأندلسي العربي المعروف. وهي التي تسمى الآن بالمدينة الاستعمارية.

وقد تطورت بوغوتا مع الزمن وأخذت تساير التقدم الحضاري ويوجد بها الآن ناطحات السحاب والجسور الجيدة والشوارع العريضة ومراكز التسويق الكبيرة أي أنها تحفل بالمرافق الموجودة في المدن العصرية.

ولا يسع من يأتي إليها وفي ذهنه أنه قادم إلى عاصمة دولة نامية إلا أن يعجب بالتقدم العظيم و الازدهار فيها .

صورة لقلب مدينة بوغوتا في الليل

جولة في مدينة بوغوتا :

هذه الجولة مع إحدى الشركات التي تسير الرحلات داخل المدينة للغرباء. بدأت في التاسعة والنصف صباحاً على حافلة صغيرة دليلها رجل كولومبي ليس من الأدلاء الماهرين، ولا من الذين منهم يعرفون ما يحب السياح أن يشاهدوه.

سارت الحافلة وأخذ الدليل وهو غير السائق يلتقط السائحين من عدة فنادق وأنزال في المدينة.

وكان أول ما لفت نظرنا إليه حديقة قال: إن إسمها حديقة سانتا ماريا، وهي جيدة التنسيق، إلا أنها غير واسعة وتقع في قلب المدينة.

وكان كلامه بالإنكليزية والإسبانية إذْ هما اللغتان اللتان يحسنهما الرفقاء فقد كانوا من الولايات المتحدة وبيرو والإكوادور وفنزويلا إضافة إلينا نحن العرب الاثنين أنا ورفيقي في السفر الرائد عبدالله بن عبد الرحمن العريفي.

ثم انطلقت الحافلة مع شارع على جانبيه عمارات عالية وهو في وضع جيد من حيث الأرصفة والصيانة وهو (ليما أفنيو) أو شارع ليما والمراد بها عاصمة بيرو.

في المدينة الإستعمارية :

في كثير من العواصم الأمريكية الجنوبية توجد محلة تسمى عندهم بالإسبانية (كولون) ويترجمها الأدلاء في السياحة بأنها (كوليان سيتي) ومعناها الحرفي : المدينة الإستعمارية. وأما معناها الفقهي فإنه يراد بها القسم من المدينة الذي كان موجوداً إبان حكم الاستعمار الإسباني على تلك البلاد.

وهي في الوقت الحالي تؤلف بالمعنى الصحيح حيًّا من أحياء تلك العواصم، ولكنه يكون حيًّا هاماً لأنه الحي التاريخي فيها.

غير أننا وجدنا هذه (المدينة الاستعمارية) قد جرى التغيير فيها أكثر مما جرى في أختها وجارتها من عاصمة الإكوادور.

من أهم الأشياء الظاهرة فيها أن مبانيها القديمة مبنية بالطين والحجارة ومطلية بما يشبه الجص أو الجبس. وبعضها مبني بالآجر ومطلي بذلك الطلاء الأبيض.

وفيها كنيسة كبيرة مبنية على الطراز العربي الإسباني مما حمله الإسبانيون معهم من الأندلس إلى هذه البلاد الأمريكية عندما ملكوها.

وشوارعها ضيقة باقية على ما كانت عليه عند إنشائها قبل أربعمائة سنة وقد لفت الدليل أنظارنا إلى ذلك، وقال وهو أمر لا نحتاج إلى إيضاحه منه: إن

السبب في ذلك أنهم كانوا لا يستعملون في الركوب إلا الخيل.

رئيس كولومبيا عربي :

وعلى شارع يفصل هذا الحي القديم عن غيره يقع قصر الرئاسة وهو قديم البناء مختلط الطراز قد جمع فيه بين الطراز العربي والبناء الروماني واسمه (قصر مارينوس).

قصر مارينوس

وهو القصر الذي يعيش فيه رئيس الجمهورية وهو عربي من أصل لبناني من أسرة طربيه اسمه (جوليوس طربيه).

وأمام القصر فناء واسع فيه حدائق صغيرة ونوافير أندلسية متعددة على

طراز يشبه طراز النوافير في الحمراء في غرناطة.

وفي جانب من حديقته بناء صغير كالمنزل المتوسط السعة عليه قبة فضية لا يبعد منظره على البعد من منظر المسجد ذي القبة قال الدليل: إنه أول بناء أقيم للإدارة في أمريكا الجنوبية ولا أدري صحة ذلك.

وربما كان يقصد أنه أول بناءٍ بني في هذا البلاد ليكون مقراً لإدارتها لأن مظهره الإسلامي يدل على ذلك فالإسبانيون في ذلك العهد وهو عهد لم يبعد كثيراً عن العهد الذي قضوا فيه على آخر حكم إسلامي في الأندلس كانوا يبنون أبينتهم على الطراز الأندلسي الإسلامي الذي هو جزء من الفن الإسلامي في البناء الذي يعرف الآن في الإنكليزية (بالأرابيسك).

ومن الطريف في باب المقارنات أن هذا القصر مبني على طراز بناء مختلط من الإسباني والروماني وسيده أي: سيد الساكنين فيه وهو رئيس جمهورية كولومبيا عربي الأصل مختلط بالمصاهرة مع هؤلاء القوم المختلطين فيها، ولباس الحراس الواقفين على الباب لباس حراس أباطرة الألمان إبان حكم الأباطرة هناك.

ميدان سيمون بوليفار:

تبعنا الدليل سيراً على الأقدام مع شارع قصر الرئاسة متجهين جهة الشمال حيث كانت توجد على اليمين كنيسة كبيرة مبنية على الطراز الروماني المطعم بالطراز القوطي، وقد تعب فيها بانوها كثيراً لفخامتها وكثرة التزويق فيها وبجانبها ملاصقًا لها بناء آخر على طراز روماني أندلسي قال الدليل: إنه يسمى (قصر بيوس) أو (بيوس بالاس) أضيف إلى البابا بيوس بابا روما عندما حضر لزيارة هذه البلاد في عام ١٨٦٨م.

وبجانب هذا البناء كنيسة ثانية كبيرة ملاصقة له وكلها قديمة أثرية وتطل

مبنى قديم على ميدان
بوليفار في بوغوتا

على ميدان سيمون بوليفار وهو محرر كولومبيا وعدة أقطار أخرى في أمريكا الوسطى والجنوبية ولذلك تجد له في أكثر البلدان تماثيل أو أشياء تخلد ذكره عندهم.

ويتوسط الميدان تمثال لبوليفار هذا، وتحيط بالميدان أبنية هامة منها حديقة قصر الرئاسة وقاعة البلدية وهذه الأبنية الكنسية التي كان تقديسها طابع الحياة الإسبانية في ذلك العهد، ولايزال للدين المسيحي بل للمذهب الكاثوليكي اعتباره في هذه البلاد فدولة كولومبيا دينها الرسمي هو الكاثوليكية. وإن كان بعض الناس أو قل أكثر الناس أصبحوا لا يبالون كثيراً بالالتزام بهذا الدين.

وقد أنشىء هذا الميدان في عام ١٨٤٦م وهو مبلط بالرخام وأطرافه بالآجر. وكل الأبنية الهامة المحيطة به مبنية بالحجارة الصفراء المشذبة المهذبة التي ظهرت للنظر وكأنها قطع من الأخشاب بين يدي النشار أو الحجّار يكيفها كيف شاء.

ومن الطريف في الأمر أنهم جعلوا الحمام في هذا الميدان لا يذار لذلك لا تجده ينفر من الناس أو يفزع بقربه.

ولقد رأيت طائفة من العجائز يحملن معهن بعض الحبوب يطعمن هذا الحمام فيتجمع عليهن كما يتجمع في الحرم.

ولقد سمعنا صوت طلقة نارية أو ما يشبهها ونحن في الميدان والحمام قريب منا فأجفل طائراً حتى خفضنا عنه روؤسنا لئلا يضرب الوجوه لكثرته.

واستأنف الدليل السير مع هذا الشارع الذي يسمونه (سيمون أفنيو) أي: طريق سيمون وهو بوليفار الذين يسمونه المحرر وسرنا خلفه قاصدين جهة الشمال سيراً على الأقدام والأبنية أو ما نسميه في كتاباتنا الحديثة العمارات الهامة

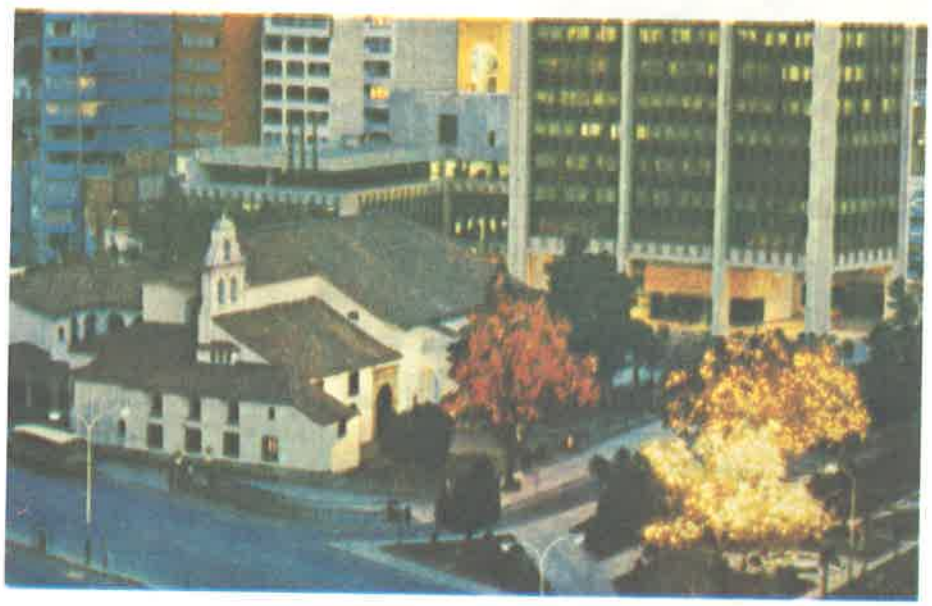

العالية تحيط بالشارع من الجانبين وكلها هامة وطابعها أن تكون مبنية بالحجارة الصفراء المهذبة التي تبدو على البعد كأنها الرخام غير الصقيل.

وليس هذا الشارع بالواسع لأنه قديم الإنشاء ولكن أهميته لوجود عدة أبنية رسمية وتاريخية عليه إضافة إلى عشرات العمارات الضخمة التجارية تحتها المتاجر ومكاتب الشركات والمعارض ونحوها وهو يغص بالمشاة المتسوقين.

والجو في هذا الصباح مشمس ولكنه بارد كالشتاء في بلادنا مع أن هذه البلاد تعتبر من الوجهة الجغرافية بلاداً استوائية أي: واقعة تحت خط الاستواء إلا أن ارتفاعها نفى عنها ظاهرة البلاد الاستوائية الحارة وأضفى عليها طابع البلاد الباردة.

ومن طريف الأمر في هذا الباب أننا في هذا الجو البارد الذي كان يحلو لنا ولغيرنا أن نقف في الشمس أو أن نجلس فيها صادفنا بائع فاكهة على الرصيف لديه فاكهة البلاد الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية، وهو الأناناس، الذي لا يعيش إلا في بلاد رطبة حارة، وتلك هي سمة السواحل والأماكن المنخفضة في هذه البلاد بخلاف العاصمة وما في حكمها من الأماكن المرتفعة.

وعنده أيضاً فاكهة البلاد المعتدلة وهي البطيخ الأخضر أي الحبحب أو الجح وهو يقطع فيها قطعاً صغيرة جاهزة للأكل فيبيعها على الناس والبطيخ هذا تلائمه البلاد المعتدلة ويجد في أجزاء من كولومبيا أيضاً مرتفعة قليلاً ما يحتاج من موقع مناسب.

والناس مزدحمون عليه وعلى أمثاله يقطع لهم فيأكلون وهم يمشون.

وقد اشترينا منه قطعة الأناناس الطازجة اللذيذة بـ ٢٠ بيزة أي حوالي أربعين سنتًا أمريكيًا. والبطيخ كذلك.

وقد أكل رفاق الجولة منه واخترت هذا الأناناس الذي هو فاكهة وشراب

حلو لذيذ. ولفت الدليل نظرنا إلى كنيسة أثرية هامة واضح ذلك من مظهرها واسمها (كنيسة سان فرانسيسكو) مضافة إلى القديس عندهم. فرانسيسكو الذي أضيفت إليه مدينة (سان فرانسيسكو) الأمريكية التي كانت إسبانية، ورأينا في أمريكا الجنوبية والوسطى عدة أماكن دينية مضافة إليه ومسماة باسمه.

وقد أنشئت هذه الكنيسة في عام ١٥٥٧م.

ورغم كونها كانت عالية في الأصل إلا أنها قد تطامنت الآن وسط أبنية تجارية عالية تشبه العمارات التجارية في أوساط المدن الأمريكية أو ما يسمونه هناك بالداون تاون.

وقد رغب رفقاء الجولة في رؤية هذه الكنيسة من الداخل فوجدنا القوم فيها يصلون وقد امتلأت بهم مقاعدها والقسيس يتلو صلاته فكان الرفقاء يمشون الهوينا ولا يستطيعون الاقتراب من المنصة الرئيسية لئلا يشوشوا عليه.

وحاولنا أن نستجلي معالم الكنيسة من الداخل غير أن الدليل استحثنا على السير لضيق الوقت.

متحـف الذهب :

هذا متحف ليس فيه من المعروضات غير الذهب إلّا ما يوضح فكرة عن استعمال الذهب المحفوظ فيه مثلاً.

أول ما أوقفنا الدليل عليه خارطة فيه لكولومبيا، وتمثال لرجل هندي أمريكي أي من الذين كانوا يسكنون في تلك المنطقة من أمريكا الجنوبية قبل وصول الإسبانيين إليها والتمثال قد غطي رأسه وصدره بالذهب قال الدليل : إن زعماءهم الكبار يفعلون ذلك يزعمون أن إلههم يمنحهم القوة إذا فعلوه.

ثم خارطة لمناجم الذهب في كولومبيا، وصور (فوتوغرافية) للهنود الأمريكيين وهم يصنعون الذهب أو على الأدق للصائغين منهم وهم يفعلون

ذلك.

ثم قطع قليلة لأشكال مختلفة من الذهب، وحلي كبيرة كلها من الذهب وما أشبه الحلي من الأقنعة ومنها قناع كبير وصحون من الذهب.

هل بينهم وبين الفراعنة علاقة ؟

من أعجب ما استرعى انتباهي في هذا المتحف خزانة مظلمة أضاؤوها بنور خافت تمثل هندياً في قبره وقد ألبسه أصحابه الحلي الذهبية ووضعوا بجانبه طائفة منها معه في القبر مثلما يفعل الفراعنة على وجه الإجمال في دفن الأشياء الثمينة ومنها الذهب، بل الذهب هو الرئيسي فيها.

وهذا ما جعلني أتساءل عما إذا كانت هناك علاقة ثقافية أو نحوها ما بين هؤلاء الهنود الأمريكيين وبين الفراعنة المصريين وهو سؤال كان يلح على العلماء الذين شاهدوا مخلفات الانكا في جبال الإنديز من حضارتهم التي كانت قائمة مزدهرة ولم يذهب ازدهارها بل لم يوقفها عن النمو إلا الاستعمار الإسباني.

وفي بعض أبنيتهم أوجه شبه كثيرة بأبنية الفراعنة.

إلا أن الشيء الذي يلفت النظر هنا ما ذكره الدليل ولم أسمعه من غيره من أن الزوجة إذا مات زوجها تدخل معه القبر وهي حية بعد أن تشرب نوعاً معيناً قوياً من الخمر وتموت معه.

وهذا له نظير في الهند حيث كان الشائع عند الهندوكيين فيها إلى أن حكمهم الإنكليز فأبطلوه أن تحرق الزوجة وهي حية مع جثة زوجها.

ومن أوجه الشبه ما بين هؤلاء الهنود الأمريكيين وبين الفراعنة أيضاً وجود التحنيط عندهم وان يكن بطريقة أقل انتشاراً، وبصنعة أقل اتقاناً أيضاً من الفراعنة.

فقد رأينا (موميا) لزعيم هندي قد حُنط وهو جالس القرفصاء أي جالس على مقعدته ورجليه ناصباً ركبتيه. وقد لفوا جسمه بلفائف من الحبال، وبعض القماش الذي تفتت بعضه وأما الحبال فأكثرها سليم.

وقد أخبرونا بأن تاريخ هذه المومياء يرجع إلى ما قبل ثلثمائة سنة من دخول الإسبانيين. أي إلى حوالي ثمانمائة سنة من الآن.

إلا أن موميات الفراعنة قد مضى على بعضها ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وهي في حالة من التحنيط ومقاومة الانحلال أحسن من هذه.

ومن مظاهر كثرة الذهب عندهم وكثرة استعماله وجود تمثال في المتحف من الذهب الخالص لرجل من ذلك العهد.

وهناك بقايا جثة أخرى لطفل قد وضعوا على أنفه حلقة من الذهب وقد تحللت الجثة ولم يبق متماسكاً إلا عظامها.

ومن الملفت للنظر أيضاً صورة لفتاة في أنفها حلقة من الذهب كالتي تستعملها نساء الهنود الآسيويين.

فهل لهم علاقة بالهنود الآسيويين؟

وإذا كان الأمر بالإيجاب فإنه يصح القول بأن هذا من الأدلة على أن تسميتهم بالهنود صحيحة.

آلات من الذهب :

كما كان الحلي وأدوات الزينة من الذهب وهو أمر معروف في كثير من أنحاء العالم فإن الشيء الذي ليس شائعاً في العالم هو وجود آلات عديدة من الذهب الخالص ومن ذلك محتويات ركن كامل في المتحف مخصص لعرض الآلات الموسيقية المصنوعة كلها من الذهب.

وأهم ما فيها هو المزمار والناي وآلة أخرى يصح أن تسمى بالنفير لأنها غير بعيدة من شكل القرن القريب من الاستدارة.

وهناك أيضاً في ركن آخر أوانٍ من الذهب الخالص، وبعضها من الذهب المخلوط بالنحاس، أما آنية الطبخ عندهم فإنها كما عرفوها هي من الفخار و(السيراميك).

وأما أدوات شرب الدخان وكان أمراً شائعاً عندهم ومنهم عرفه المكتشفون الأوائل لأمريكا: كريستوفر كولومبس ورفاقه ونقلوه إلى العالم القديم وبئسما نقلوا فإنها كلها من القصب وأغصان الأشجار الطويلة.

وقد صور أهل المتحف هندياً منهم وهو يدخن من غليونه الطويل وهو جالس على الأرض متخذاً وضع المنسجم معه، الطرب له. وذلك منهم طلباً للزيادة في الإيضاح.

الجنود يرافقون المتفرجين :

ما رأيت احتياطاً عن السرقة، وتشديداً ظاهراً في الحراسة كالذي رأيته في هذا المتحف فقد فعلوا شيئاً معتاداً في بعض المتاحف التي تحتوي على معروضات ثمينة وهو ألا يسمحوا بدخول أكثر من عدد معين من الأشخاص إلى المكان.

ولذلك عندما وصلنا إليه أوقفونا وقالوا: انتظروا دقائق حتى يخرج الموجودون.

ولكن الشيء الذي لم أر له نظيراً في أنحاء العالم أنهم يجعلون مع المتفرجين جنوداً وضباطاً مدججين بالسلاح يرافقونهم أثناء تفرجهم على المتحف.

ولقد خيل إليّ في أول الأمر أنه لا ضرورة لذلك وإنما يكفي فيه أن تكون

الحراسة مشددة على الأبواب خاصة غير أنني عندما رأيت نفاسة المعروضات الذهبية وكثرتها وصغر أحجام بعضها إضافة إلى ما عرفته من سوء حالة الأمن في البلاد عذرتهم في ذلك.

وفي الطابق الثاني وهو الأهم في هذا المتحف غرفة مظلمة فيها أنواع من الأشياء المصنوعة من الذهب قد سلطت عليها أنوار خاصة أصبح لها بريق خاص ومنها طائفة من الأواني ونوع من الفضة التي يميل لونها قليلاً إلى لون الذهب وهي قليلة المثيل في العالم والمعروض منها على هيئة العملة أي النقد الذي يتعامل به .

القبائل الهندية والذهب :

من لطيف ما في هذا المتحف أنهم خصصوا ركناً لمخلفات القبائل الهندية الموجودة في بلادهم من الذهب والمصوغات الذهبية وكيف كانوا يستعملونها.

وكل ذلك لعهد ما قبل اكتشاف أمريكا من كريستوفر كولومبس مما يعطيه أهمية تاريخية، ويجعله ذا منظر خاص في عين المشاهد.

ومن تلك القبائل قبيلة اسمها (كلما) من مخلفاتها الذهبية عصي ـ جمع عصا ـ من الذهب الخالص وحلي مختلفة وقلائد كبيرة من الذهب، وتماثيل صغيرة لبعض الحيوانات المألوفة من الذهب الخالص وعصائب ذهبية قال الدليل: إنها بمثابة التيجان لبعض رؤسائهم.

ويتبع تلك العصائب قطع ذهبية منفصلة توضع على الفم والأذن وتعتبر مكملة لتلك العصائب .

ثم قلائد وأقراط كبيرة.

وقبيلة مويسكا :

وقبيلة مويسكا ليست من القبائل الكبيرة ولكنها أصبحت من القبائل

المهمة لأنها التي كانت تسكن في منطقة العاصمة (بوغوتا) وهي التي سمتها بهذا الاسم كما تقدم.

ولها من المخلفات الذهبية حلي كثير على هيئة شنوف جمع شنف ـ وهو ما يسمى الآن في الكتابات العربية الحديثة (القلب) قلب القلادة التي تتدلى على الصدر ويكون في أسفلها. وأوان ذهبية صغيرة.

وأنموذج لسفينة صغيرة من الذهب في حجم يدي الإنسان مجتمعتين.

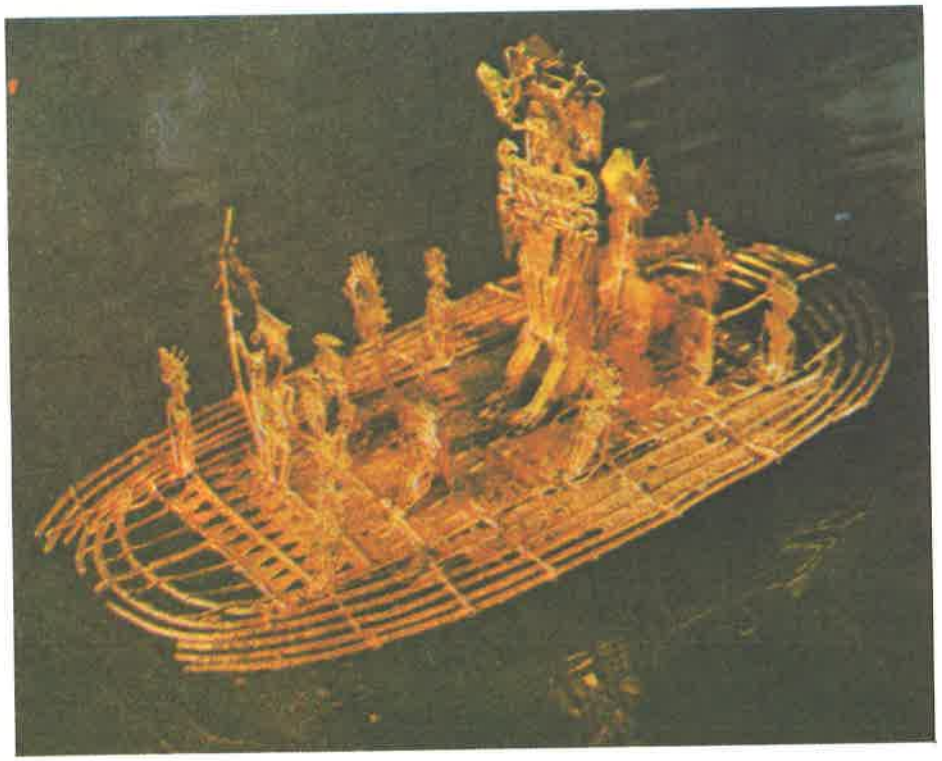

من محتويات متحف الذهب «تمثال سفينة صغيرة من الذهب»

وحلية على شكل المروحة من الذهب توضع على رأس زعيم القبيلة.

وشاهدنا بعد ذلك أشياء غير متميزة بأهمية خاصة لقبيلة (أنارينو).

ولكنهم عادوا فعرضوا أشياء أخرى لقبيلة (كليما) وهي على شكل الزهور من الذهب وأمواس كبيرة للحلاقة من الذهب الخالص وملاعق مثلها.

وأشياء أخرى شبيهة بالأواني صورت حكومة كولومبيا بعضها على عملة البلاد ثم تاج لرأس الزعيم وفمه وأوانٍ هائلة الحجم من الذهب الخالص أيضاً. وتمثال تمساح صغير ذهبي كله.

وقبيلة سينو :

لها حلي من الذهب مختلف الأنواع، وبعضه من الذهب المخلوط في أشكال غريبة .

الكنـــز :

أدخلونا غرفة مظلمة لا يبصر المرء فيها قدمه. وعندما اكتمل الدخول عزفت موسيقى صوتا يشبه صوت الإعصار أو يعبر عن المفاجأة ثم موسيقى تصويرية أضيئت الأنوار فجأة فأبصرنا ما شخصت له أبصار القوم واتسعت له أفواههم ذلك هو كنز هائل من الذهب الخالص اللامع الذي سلطوا عليه أنواراً قوية زادته بريقاً ولمعانًا فأصبح يكاد يخطف الأبصار فضلاً عن كونه يكاد يخطف البصائر.

وقد وضع في خزائن دائرة مع دوران حيطان الغرفة التي هي غير واسعة وذات واجهات زجاجية.

وسمعنا الدليل ونحن في غاية الدهشة يقول : لدينا في هذه الغرفة اثنتا عشرة ألف قطعة من الذهب وكلها مما جمع من القبور فقد كان الهنود يدفنون

الذهب مع موتاهم في قبورهم.

قال ذلك وأنا أتأمل القطع فأجدها مختلفة الأحجام متنوعة الأغراض من الأواني إلى الحلي إلى السلاسل إلى الأدوات الأخرى إلى أقراط ضخمة وصحون كبيرة.

وكله كان مما صنعه الهنود قبل وصول الاكتشاف الأوروبي لأمريكا. وقد كومه أهل المتحف في هذه الحجرة الضيقة تكويماً بعضه معلق وبعضه موضوع على رفوف وهو الأقل ولم يبوبوه أو يرتبوه ولو فعل به ذلك لاحتاج إلى غرف عديدة بل أجنحة عديدة وهو جدير بذلك لقيمته الأثرية والحقيقية.

ولقد عرفت عذر القوم في كونهم يرسلون مع المتفرجين جنوداً مدججين بالسلاح لحراسة المعروضات إذْ ليس بينهم وبين هذه الأشياء الثمينة إلا الزجاج.

وعندما خرجنا من هذا المتحف العجيب وأنا لا يزال في ذهني صورة الهنود وما خلفوه من هذا الذهب الكثير أخذت أنظر إلى الموجودين في السيارة من الكولومبيين فأجد السائق من أصل هندي ممتلىء الجسم جداً قصير الرقبة، لا تخفى ملامحه الهندية على الناظر الذي رأى الهنود من قبل.

وأما الدليل فإنه من أصل إسباني أو أصل أوروبي آخر ولكن وجوده ووجود آبائه من قبله في هذه البلاد قد أذهب عنه الشقرة فبدا في لون اللبنانيين غير أنه ذو جسم نحيل يشبه في ذلك بعض الهنود.

في بيت الزعيم :

سيمون بوليفار يعتبر زعيماً لعدة أقطار في أمريكا الجنوبية والوسطى لأنه حررها من الحكم الأسباني المطلق الذي يقول عنه أهالي البلاد إنه كان حكماً استبدادياً لا ينظر إلا إلى مصالح الدولة المستعمرة في إسبانيا وأنه كان يستأثر بخيرات البلاد يرسلها إلى هناك.

لذلك تجد لهذا الزعيم تماثيل وأشياء لتخليد ذكره في عدد من الأقطار التي حررها ومنها كولومبيا هذه وفنزويلا والإكوادور وبوليفيا التي سميت على اسمه. وكان يطمح إلى ايجاد قارة أمريكية جنوبية متحدة أو موحدة ناطقة بالإسبانية ومستقلة عن إسبانيا .

ولذلك جعلوا في برنامج هذه الجولة فقرة تتضمن زيارة البيت الذي كان يسكنه في بوغوتا هذه.

انطلقت الحافلة من (متحف الذهب) قاصدة سفح أحد الجبال الخضر التي تحتضن المدينة.

وعند أقدام الجبل كنا نقترب من بيت الزعيم وقد بدا أن البلدية تلقي عناية خاصة للمنطقة لأن فيها بيت زعيمهم هذا الذي يقصده السياح الأجانب للمشاهدة فتجدهم زرعوا في الأماكن المتسعة حول الطريق أعشاباً أو لنقل على الأدق تعهدوا تلك الأعشاب بشيء من العناية بالقص والتشذيب وإلّا فهي تنمو بطبيعتها بسبب برودة الجو وارتفاع المنطقة وكثرة الأمطار.

ولكن عناية البلدية قد قصرت عما وراء ذلك فليس في هذه الساحات أو المتسعات المعشبة زهور أو نباتات من نبات الزينة الذي يحتاج إلى عناية زائدة.

ووقفت الحافلة عند بيت كتب عليه بالإسبانية ما ترجمه الدليل إلى الإنكليزية بقوله: (بوليفار كنتري هاوس) أي: منزل بوليفار القطري أو الريفي.

وقد حولوه إلى متحف فأصبحوا يطلقون عليه اسم المتحف.

كان أول ما يلفت النظر عند دخول هذا الموقع الأثري الذي لم يغيروا فيه شيئاً أن أرض المدخل مفروشة ببلاط أحمر بينه خطوط من كسر الحجارة السوداء الصغيرة على هيئة فسيفساء أو (سيراميك). وعلى المدخل ترفرف أعلام

الدول التي حررها من الاستعمار الإسباني.

حديقة منزل الزعيم في بوغوتا

ومن الطرائف أن أول ما يشاهده الداخل في الرواق الأمامي الذي يفضي إليه المدخل عظم بقرة معلق في الحائط في وضع غريب جعلني أسأل الدليل عن المقصود منه؟ فقال: إنه كان يستعمل لتنظيف البلاط.

وفي أول غرفة أرانا إياها الدليل توجد صورة معلقة على الحائط لامرأة جميلة قال: إنها عشيقة الزعيم، وهذه الغرفة التي فيها الصورة هي غرفتها قد تركوها مع محتوياتها كما كانت في حياته.

أرأيت كيف يعلمون الناشئة والشبان أن المخادنة والمخاللة بين الرجل والمرأة

جائزة بل هي سنة من سنن زعيمهم الذي يعظمونه؟

وبعد ذلك غرف خاصة للزعيم نفسه في إحداها سرير نوم ولفت الدليل أنظارنا إلى قصر السرير وقال: إن الزعيم لا يزيد طوله على ١٥٨ سنتيمتراً فهو قصير جداً.

والغرف كلها معتادة ليس فيها ما يلفت النظر أو يسترعي الانتباه، وليست فخمة، بل إنها إلى التواضع أقرب منها إلى الفخامة.

ومن الأدلة على ذلك أن غرفة الطعام في القصر وهي هي التي كانت يستعملها لم يغير فيها شيء ليس عليها إلا عشرة كراسٍ، وإذاً تكون مائدة الزعيم معدة لعشرة أشخاص فأقل وربما كان ذلك لكونه ينفق أكثر وقته في الحروب، ومقارعة الإسبانيين.

وقال الدليل: إن هذه المائدة والكراسي مصنوعة هنا ولكن الأثاث والأطباق ونحوها مستورد من أوروبا.

وهذا أمر طبيعي إذْ لم تكن الصناعة في المهجر قد ازدهرت في تلك الأيام لعدم الاستقرار والتطور في ظل الاستعمار الإسباني.

ومن داخل المنزل الذي كان في مجموعه صغيراً لا يتعدى حجم بيت شخص من متوسطي الحال في بلادنا في الوقت الحاضر خرجنا إلى حديقة القصر التي هي فاخرة حقاً بالنسبة إلى المنزل الذي ليس فيه إلا الأهمية التاريخية.

فهي حديقة واسعة ذات زهور مختلفة الأنواع والألوان، منسقة على هيئةعجيبة وبعض الأزهار تبدو كأنها صناعية من غرابة شكلها ولونها.

وفيها أشجار ضخمة، وهذا معقول السبب لأنها كانت موجودة قبل مائة وستين سنة أو نحو ذلك عندما كان سيد القصر على قيد الحياة. ومما يجدر ذكره ان الزعيم بوليفار ولد عام ١٧٨٣ م وتوفي عام ١٨٣٠ م.

ومن الحديقة دخلنا إلى رواق خارجي فيه غرفة قد عرضوا فيها وفي الرواق أنواعاً منوعة من الأسلحة التي كانت مستعملة في ذلك العهد ومنها رماح وبنادق قديمة ومدافع صغيرة ودروع وسروج للخيل ولجم وأركبة - جمع ركاب - وهو الذي يضع فيه راكب الفرس رجله عند الركوب.

وفي مدخل هذا القسم حانوت صغير يبيع التذكارات ومنها شيء عن حياة الزعيم وهي غالية الثمن.

إلى قمة القمة :

تطل على مدينة (بوغوتا) قمة جبلية منتصبة عالية جداً تلفت نظر القادم إلى المدينة لأول مرة، وفي الليل عندما رأيت نوراً مضاءً فيها، شبهته بالتعبير العربي القديم: إنه كالكوكب الدري وذلك لارتفاعه. وعجبت من الوصول إليه رغم ارتفاعه.

واسمها (مون سراتي) وهو اسم إسباني يعني جبل سراتي لأن (مون) الإسبانية هي (مونت) الإنكليزية وكانت المفاجأة اليوم أن البرنامج يتضمن فقرة للصعود إلى هذه القمة ولكن كيف كان ذلك؟

قال الدليل: إنه سيكون بواسطة (كيبل كار) ومعناها الحرفي: سيارةالحبل الغليظ ويريد بذلك عربة كهربائية تسير على قضبان حديدية على الجبل الواقف.

اليوم هو السبت وهو يوم عطلة لبعض الشركات والدوائر الحكومية ولذلك كان هناك أناس كثيرون قد جاؤوا للصعود إلى القمة للتنزه وقضاء بعض الوقت.

وعندما وصلنا كان الوقوف في الصف يعني ضياع بعض الوقت لأن حمولة العربة من الركاب محدودة ربما لا تزيد على ثمانين شخصاً. فكلم الدليل الضابط المشرف على حركة الصعود إلى الجبل في أن يأذن لنا بأن نتقدم الناس على اعتبار أننا كلنا من الأجانب، ولكن الضابط امتنع عن ذلك وقال: لا بد من أن تكونوا في خط الواقفين مثل غيركم.

وقد حمدت له ذلك وكنت قلت للدليل: إنه لا حاجة بنا إلى خرق النظام في سبيل أن نوفر من وقتنا عشر دقائق أو ربع ساعة.

وقد كان ذلك بالفعل إذ ما أن مضت ربع ساعة حتى كنا ندخل العربة مع الداخلين. وقد ازدحمت بالركاب حتى وقف أكثرهم إذْ لم تتسع مقاعدها إلا لأقلهم.

وهي عربة موزعة إلى عدة مقصورات صغيرة بحيث تبدو من الداخل وكأنها قطار مصغر.

ثم مضت مسندة في متن الجبل كأنما تتعلق فيه بأسنانها وهي كذلك معلقة

بأسنان من تحتها لمنعها من الانزلاق إلى أسفل فيما لو حدث شيء مثل قطع التيار الكهربائي فجأة.

ومع ذلك لم يزايلني التساؤل عما يحدث لهؤلاء الركاب الكثر إذا انقطعت الكهرباء والعربة متشبثة في الجبل متخذة شكلاً يقرب من شكل الواقف.

وكانت تسير في غابات تكسو الجبل بين أشجار ملتفة وحشية لا تسمح الحكومة بقطعها بل مسها حتى بالإصلاح وذلك لكي تبقى طبيعية كما خلقها الله.

ولهذا السبب يرى المرء تحتها أشجاراً أصغر منها في بعض الأماكن وتحت ذلك أنواع من الحشائش والأعشاب رغم ظل الأشجار.

ثم دخلت العربة نفقاً في الجبل طويلاً واقفاً أيضاً غير مضاء يكاد المرء يحس فيه بقلة الهواء النقي. وقلت أيضاً في نفسي: ماذا لو توقفت في هذا النفق المظلم الطويل السيء التهوية؟

ولكنها لم تقف فخرجت منه تتهادى بالفعل بحملها الثقيل أي: تتمايل قليلاً وهي تسير الهوينا.

وتوقفت قبل القمة بقليل فنزل الركاب وتبين أن (ما بقي هو أشده) إذْ أخذنا نصعد درجاً حجرياً واقفاً أيضاً كان لا يكاد ينتهي حتى يسلمنا إلى درج مثله واقف أيضاً يتخلل ذلك أماكن غير ذات درج في الجبل وإنما ترتفع بالتدريج.

حتى وصلنا إلى ما يشبه الشرفة التي تطل من خلال الجبل الواقف على المدينة وهي تبدو لفرط الإرتفاع والبعد كأنما تسبح في الدخان، وقد تطامنت عماراتها التي كانت عالية عندما كنا داخل المدينة.

بوغوتا كما تبدو من قمة الجبل العالي المطل عليها

ولم يكن الدليل حصيفاً كما كان زميل له في الإكوادور كان قد خرج بنا من مدينة كيتو العاصمة إلى أماكن مرتفعة هناك ولكنه سألني وهو يضع يده على قلبه عما إذا كنت أشكو من أي مرض أو شيء في القلب لأننا سوف نذهب إلى أماكن يزيد ارتفاعها على ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر؟ ولا يقوى أصحاب القلوب الضعيفة على الذهاب إليها. فقلت له: إني أحمد الله تعالى على أنني لا أشكو شيئاً من ذلك.

وهذا الدليل غير الحصيف لم يسأل أحداً مثل هذا السؤال وان كان الارتفاع لا يبعد عن ذلك كثيراً.

فقد سألته عن ارتفاع مدينة (بوغوتا) عن سطح البحر؟

فأجاب: إنه ألفان وستمائة متر. وعن ارتفاع هذه القمة فأجاب: هو ثلاثة الآف ومائتا متر.

وإذاً يكون ارتفاعها عن العاصمة ستمائة متر!

ومع هذا الارتفاع كان هناك صعود متعب للدرج الحجري يتعب الصحيح فيها قلبه فكيف بالعليل؟

كان الجو في هذه الباحة المنحوتة في الصخر أو التي سهلوها فيه مشمساً غير محبب لنا نحن الذين شبعنا في بلادنا من الشمس إلى حد التخمة أما بالنسبة للآخرين حتى من أهل البلاد فقد استطابوا ذلك لأن بلادهم باردة وكثيرة الغيم.

المعبد على رأس القمة :

ومن هذه الشرفة صعدنا أيضاً إلى رأس القمة حيث توجد كنيسة مشرفة البناء عالية الشعار قد جعلوها رأس القمة أو شاهد القمة وقد دخلناها للفرجة فوجدناهم يصلون فيها والقسيس يتلو موعظته واقفاً وهم مثله وقوف. وأفواج الصاعدين المتفرجين يدخلون إليها ويخرجون منهم من يشترك في صلاتهم لأنه على ملتهم ومنهم من لا يرى ذلك ومنهم من رأيتهم يومئون بالركوع أو بالدعاء ويخرجون بسرعة.

وهذه الكنيسة هي التي كنا نرى من المدينة على رأسها في الليل ذلك النور المضاء الذي يتراءى وكأنه الكوكب الدري من ارتفاعه.

وعجبت من تمسك القوم بمظاهر دينهم أو لنقل من توفير أماكن العبادة لمن يريد التعبد منهم فقد بنوا هذه الكنيسة في أعلى موقع من القمة مع أنها ليست قديمة إذْ يعود بناؤها إلى عام ١٩١٥م بالضبط.

وبعد استجلاء بديع للمنطقة من هذا الارتفاع الشاهق بدأنا النزول مع الدرج ولكننا في هذه المرة كنا نقف ونتمهل نتفرج على حوانيت ومتاجر صغيرة تبيع العاديات والتحف الأثرية والتذكارات الصغيرة وأكثرها مستوحى من الفن الشعبي الخالص عندهم.

وعلى يمين الطريق ويساره غرف ومنازل صغيرة أكثرها بني على الطراز الهندي القديم الذي لا يكاد يُرى في أحياء المدينة لأن الهنود هؤلاء لم يكونوا أهل مدنية متميزة في طراز البناء.

وأهم ما يميز هذه البيوت الهندية أن سقوفها مصنوعة من القش على هيئة السنام.

وقد صاحب هذا المنظر الشعبي سماع شعبي هندي إذْ كان هناك هندي يعزف مزماره عزفاً شعرنا بأنه شجي ومطرب رغم فارق التقاليد ما بيننا وبينه وإنما خيل إليّ أن أذني قد تعودت على سماعه من قبل، مما يدل على أنه ليس بعيد الجذور عن الغناء العربي وان كان ذلك في زمان موغل في القدم أو يدل على قرب الذوق ما بيننا وبينهم لأسباب لا نعرفها.

وكنا ننحدر ونحن في غاية السرور من رؤية أشياء جديدة كانت غريبة عنا حقًّا.

والقوم مؤدبون مهذبون رغم ما يقال عنهم بأنهم متخلفون أو أنهم يصنفون مع المتخلفين عن اللحاق بالأوروبيين والأمريكيين الشماليين فآدابهم العامة في الطريق جيدة، ومعاملتهم لغيرهم وبخاصة من الغرباء أمثالنا لا تقل عن ذلك. ولا تسمع لهم صراخاً منكراً، ولا ترى لهم مزاحاً مستهجناً.

والطبقة الوسطى منهم فضلاً عن العالية نظيفة الثياب، صقيلة الأبدان، ذات ذوق رفيع في الهندام.

وكان انحدارنا في درج الجبل لمعاودة النزول في (عربة الحبال) كما هي

الترجمة الحرفية لتسمية الدليل وإن كانت الترجمة الفقهية غير ذلك.

وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة وعدنا إلى الفندق قبل الثانية ظهرًا.

تمشيــة .

خرجنا بعد العصر في تمشية على الأقدام أنا ورفيقي في السفر الرائد عبدالله عبد الرحمن العريفي فظلنا نسير في الشارع الذي يقع عليه فندق (برزدنت) مسافة ثلاثة كيلومترات ثم عطفنا عائدين إلى الفندق بعد غروب الشمس مع شارع آخر مجاور وكلا الشارعين يقع في وسط المدينة التجاري وعليهما المتاجر والمطاعم والمقاهي ـ جمع مقهاة ـ والمطاعم والمشارب عندهم كثيرة مما يدل على أن طائفة كبيرة منهم من رجال ونساء يقضون جزءاً من وقتهم كبيراً خارج المنازل ويدل أيضاً على ما هو مشاهد من كون المرأة تعمل في الوظائف العامة كما يعمل الرجل وقد تعمل في بعض المهن أكثر مما يعمل مثل المطاعم والمشارب فأكثر من فيها من النساء، وغالباً ما يكن من الشابات وفيهن نسبة كبيرة ممن يعتبرن في بلادنا من الجميلات.

والمتاجر فيها بضائع كثيرة ولكنها ليست حافلة بها كما تحفل بذلك متاجر الإكوادور التي يساعدها على توفير البضائع المستوردة ما تحصل عليه من عوائد نفطية لأنها من البلاد المنتجة للنفط المنضمة إلى منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك).

وأسعار أغلبها رخيصة لأن جزءاً منها مما تنتجه البلاد مثل كثير من الملابس والمنسوجات الخفيفة والصناعات الجلدية والخشبية وغير ذلك.

بل إن لكلومبيا صناعة جيدة، لو كانت لبعض بلادنا العربية المولعة بالتباهي لملأت الدنيا ضجيجاً لإظهار ذلك.

ومما لاحظنا على أهل هذه البلاد أنه رغم شمول التعليم عندهم واتساع

الصناعة نسبياً ووجود المتاجر والمحلات التجارية المنظمة فإن لما نسميه في بلادنا (البسطات) وهي السلع التي ينشرها أصحابها على الأرصفة أو يعرضونها فوق العربات سوقاً واسعة جداً رائجة رواجاً عظيماً فأنت تكاد تجدها على امتداد هذا الشارع الهام على طوله والقوم يقبلون على الشراء منها.

وأكثر الذين يتعاطون البيع فيها هن نساء الهنود الأمريكيين تعرف ذلك بوضوح من سحنهن وتقاسيم وجوههن، ولا ينافسهن في ذلك إلا الإفريقيون في إفريقية الذين يحبون مثل هذا النوع من البيع والشراء حتى في المدن الكبيرة.

وكثيراً ما تكون تلك السلع قليلة بل ضئيلة بحيث لو جمعت كلها لما أغنت من عوز ولكن الواحدة منهن قد ترى في تعاطي البيع والشراء ما هو خير لها من البقاء في بيتها وانتظار المعونة من الآخرين. على حين يكون زوجها مشغولاً في عمل له أشق وقد ينفق ما يحصل عليه من أجر ليس بالكثير على الشراب أو على أشياء أخرى لا ترضى عنها زوجته.

ولقد رأيت بعضهن معهن أطفالهن وهن يمارسن هذا البيع والشراء القليل ذا الربح الضئيل.

اللبن بسعر الماء :

من الفوارق الطريفة ما بين (كولومبيا) هذه وبين بقية العالم إلا ما ندر أنهم يقدمون لك اللبن الطازج الطبيعي في المقاهي بدلاً من الماء إذا أردت أو على الأصح يخيرونك بين اللبن والماء. أي: أن تضع كيس الشاي في الحليب أم في الماء ولا يجمعون بينهما كما يفعل غيرهم وهذا أمر شائع أذكر ما حدث اليوم في مقهى شعبي إذا اشتهيت كوباً من الشاي فدخلته فلم أكد أجلس حتى بادرتني الخادمة فيه وهي شابة جميلة جداً قائلة: (ليتشا) أو (أقوا)؟.

فقلت: (ليتشا) وليتشا هو اللبن وأقوا هو الماء بالإسبانية.

فجاءت باللبن البقري الطازج اللذيذ في إبريق سكبت منه كوبين كبيرين وزيادة وجاءت بالشاي كيساً ورقياً صغيراً كالمعتاد.

فلما انتهيت من شربه قلت (كونتا) أي: كم الثمن؟

فأجابت: ديز، أي: عشر، والمراد عشر بيزات والدولار كما أسلفت هو أربع وخمسون بيزة فإذاً هذا الشاي باللبن الطازج الذي هو عدة أكواب كله بأقل من خمس دولار أمريكي ويساوي ذلك أربعة عشر قرشاً سعودياً.

ولو كانت مثل تلك الفتاة التي تقدم الطلبات إلى الزبائن في هذا المطعم في بلد شرقي لكانوا أضافوا قيمة وجودها على القيمة التي يحددونها للشاي أكثر من هذا المبلغ الذي باعته لي به.

ولكن طابع عمل الفتيات الشابات في بلاد كولومبيا خاصة وفي أمريكا الجنوبية كلها عامة هو الشائع.

والسبب في كونهم يفعلون ذلك فيضعون الحليب فيه بدلاً من الماء هو كثرة الأبقار عندهم ووفرتها في بلادهم حتى أصبحوا مشهورين بتصدير اللحوم بين بلاد أمريكا الجنوبية.

السكـان :

أكثرها من يراهم المرء هنا من الناس من الجنس الإسباني المختلط بالجنس الهندي الأمريكي والذي تعودنا على رؤيته في عديد من أقطار أمريكا الجنوبية.

وقد أكسبه هذا الاختلاط رونقاً ومظهراً جعله يختلف عن المظهر الأوروبي الذي كثيراً ما تسرع التجاعيد إلى وجوه أهله في سن مبكرة وبخاصة إذا كانوا من المكثرين من الشراب.

وذلك الجنس المختلط يكون في الغالب متوسط القامة أو يميل إلى القصر

ذو بشرة بيضاء تميل إلى السمرة ولكنها سمرة تميل إلى الحمرة لا إلى الصفرة أو الكدرة. كما يغلب الامتلاء أو الاعتدال على أوزان الأجسام وقل أن ترى فيهم نحيلاً.

وهناك الجنس الأوروبي الصافي المؤلف من خليط من الأمم أكثرها ظهوراً الإسبانيون والإيطاليون وقلما يلاحظ عليه تغيير يذكر في المظهر اللهم إلا قليلاً من السمرة يكون اكتسبها من وجوده تحت شمس هذه البلاد.

وأما الجنس الثالث الذي هو أكثر من الجنس الأوروبي عدداً ولكنه أقل منه غنى فهو الجنس الهندي الأمريكي الخالص.

وهم جنس قائم بذاته ليسوا كالهنود الحمر في أمريكا الشمالية ولا كهنود الأمازون في البرازيل فهم أكثر هدوءاً من الأولين وأكثر وجاهة وأعلى ذكاءً من الآخرين.

وفي حين أن هنود الأمازون ضعيفو الأجساد، نحيلو البنية في أحيان كثيرة فان هؤلاء الهنود الذين قد تصح تسميتهم بهنود الأنديز نسبة إلى جبال الأنديز وان لم أكن قد سمعت بتسميتهم بذلك من قبل ، هؤلاء الهنود أجسامهم ممتلئة غالباً إن لم نقل دائماً ولقد تطلبت أن أجد فيهم في البلاد التي مررت بها نحيلاً واحداً فلم أعثر عليه.

وقاماتهم قصيرة أو تميل إلى القصر ووجوههم منتفخة ففيهم شبه في هذا الشيء بالمغول غير أن هناك أوجهاً للفرق بينهم وبين المغول أكثر من أوجه الشبه.

ومن أهم مميزاتهم قصر الرقبة والصدور البارزة بروزاً شديداً عند النساء.

والأعين متوسطة تميل إلى الضيق وقلما يوجد فيهم ذوو عيون واسعة.

الحقيبة التي دفنتها في بوغوتا :

بعض الأشياء كبعض الأشخاص تكون عزيزة على المرء ، أثيرة عنده حتى يحزن لفراقها وإن كان يجد عنها عوضا فبعض الناس يكونون كأبي الطيب المتنبي الذي قال :

خُلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ومن ذلك حقيبة كانت قد صاحبتني في أسفار عدة ، ودارت معي حول العالم في رحلة قبل هذه عرجتْ فيها معي على قارة إستراليا وبعض جزر المحيط الهادي الجنوبي بنيوزلندا وفيجي .

ولقد أصابوها بكسر ظننت أنه قد يجبر وذلك عندما ألقوا عليها ـ فيما يظهر ـ شيئًا ثقيلاً حادًا كبعض الحقائب الحديدية اثناء السفر ما بين كاراكاس وريودي جانيرو فعزمت على أن استمر في اصطحابها رغم الكسر ، وألاَّ أهجرها في العسر بعد أن صحبتها في اليسر ، غير أن إخوانًا لهم من الحمالين ما بين مدينتي كيتو في الأكوادور وبوغوتا قد اصابوها بكسر فوق ذلك الكسر فكان بمثابة قاصمة الظهر

وخفت على أغراضي أن تتبدد فاخترت الطريق الأوحد وهو استبدالها لا عن ملالة بأخرى من صنع هذه البلاد ومن جلد من جلود أبقارها ، وودعت الأولى الوفية بكلمات من الرثاء حين دفنتها فأحسنت لها موضع الدفن إذْ منحتها فتاة تعمل في مكتب الإستقبال في الفندق الذي أسكن فيه .

وذلك أن تلك الفتاة كانت تجامل بالعبارة ، وقد تشير إذا حسنت الإشارة فقلت : لا أكون كمن ترك راحلته إذْ أعيت للكلاب . وإنما قلت لتلك الفتاة الكعاب : خذيها مباركًا لك فيها على عيب في أحد نواحيها فهذا خير من أن أرميها في الشارع مما قد يجعلها محلاً للتنازع .

وجولة الأقدام في الليل :

عندما يشعر المرء بقرب فراق بلد فراقًا لا يدري بعده عودة فإنه يحاول أن يستوعب ما يمكنه استيعابه من أموره .

وقد كنا ونحن قد قررنا السفر في صباح غد مدفوعين بهذا الدافع حين اندفعنا في أول هذه الليلة نتمشى في شوارع هذه المدينة الودية ولم نكد نرى جديدًا إلا شيئًا أظهره الليل كان يخفيه النهار وهو شيء يجلب العار والشنار ، بل هو العار الجهار .

إلا وهو وقوف طوائف من النساء في بعض الشوارع المتوسطة قد استندن إلى الحيطان أو وقفن في الأرصفة كأنهن في الظلام المختلط بالضياء ظل الشيطان .

ولقد رأيت فيهن ما لم أره في اخوات لهن في الرذيلة ، كن يقفن مثلهن في شوارع باريس : المدينة التي يسمونها مدينة النور ، إلا أنها لهؤلاء مدينة الظلام لأنهن لا يقفن في النور الساطع ، لكونه يكشف زيفهن ، ويبين ما ستره الطلاء من قبحهن . وإنما يقفن في الظلام حتى يضللن عديمي الأحلام .

والشيء الموجود هنا وليس ظاهرًا هناك هو وجود أعداد من الصغيرات لا أدري لمَ لم تأخذ الحكومة على أيديهن بل لقد رأيت الناس لا يبالون بهن ولا بمظهرهن . وكأنما تعودت أعينهم على ذلك . فلم يعودوا يبالون بهذه المهالك ، كما قالت الحكمة القديمة : (إذا كثر المساس . قل الإحساس) .

وتركنا الشارع الذي أصابه قذرهن متقززين ، فخرجنا من زحام إلى زحام قوم آخرين في شارع عامر بالبيع والشراء وبالمارة من الرجال والنساء . وإذا بإحداهن تقف وتتطلع ، وكأنما تتسمع إلى صدى ذلك التطلع فسألناها عما تبتغي ؟ ولم نَر حرجًا في ذلك ؟ فقالت : إنها ليست بالبغي ، ولكنها تريد هذا

وأشارت إلى احدهم أن يكون لها أنيسًا وجليسًا على فنجان من الشاي .

فقلنا لها : اتركي يا ربة القناع الطائر ، العزف على هذا الناي ، فليس هذا بعشك فادرجي ، ولا نحن من جنسك فلا تتبرجي ، لأنها كانت تقول ذلك وهي تسوي شعرها وتنظر إلى مقدار جيبها على نحرها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

يوم الأحد ١٤٠٢/٣/٢٢ هـ ١٩٨٢/١/١٧ م

افطرنا مبكرين وكان افطارهم شهيًا سخيًا وكان كاملاً مشتملاً على الفاكهة وما شئت من البيض مع مقدار كبير من اللبن الطبيعي الطازج بمائة وخمسة وثلاثين (بيزة) ويساوى ذلك ثلاثة دولارات أمريكية .

ثم خرجنا إلى المطار ولاحظنا أن إجراءات تحصيل ضريبة المغادرة هي أطول من إجراءات الترحيل . إذْ على كل مسافر بعد أن تتأكد المرأة التي على مكتب الترحيل ـ وجميع العاملات في مكاتب الترحيل وامثالها في المطار هن من النساء فبعد أن تتأكد من أن المسافر سيسافر بالفعل مثل أن يكون حجزه مؤكدًا ولديه تأشيرة دخول إلى البلد الذي سيسافر إليه حتى تحجز تذكرته وتطلب منه أن يذهب إلى مكتب في المطار غير مجاور لها عليه امرأة أخرى فيحضر ورقة منه ، وهذه المرأة وجدنا عندها طابورًا من المنتظرين لأن كل المسافرين بدون استثناء لابد من أن يدفعوا الضريبة ، ذكروا لنا ذلك عندما سألناهم عن الجواز السياسي أيعفى حامله من الضريبة ؟

وقد رأيناهم جعلوها في المطار خمسة عشر دولارًا أمريكيًا أو ما يعادله بالعملة المحلية مع أنهم كانوا قد كتبوا على ظهر استمارة القدوم بأنها عشرة دولارات وربما كانوا قد زادوها خمسة بعد طبع الاستمارات تلك .

وبعد أن يحصل المسافر على ورقة لذكر اسمه وعمله ورقم جوازه إلى عدد من المعلومات يعود بها إلى مكتب الترحيل ويدفع الضريبة فيه .

فإذا فعل ذلك دفعت إليه تذكرته مع بطاقة الصعود إلى الطائرة .

ومن الطريف في الأمر أن الموظفة عندما رأت جوازينا اظهرت العجب من ذلك وقالت : إنها أول مرة في حياتها ترى هذه الجوازات .

ثم أخذت جوازي الذي فيه صورتي بالملابس العربية ودخلت به إلى داخل مكاتب المطار لتطلع بعض الموظفين فيها عليه .

ومن هناك انتقلنا مع سلم كهربائي متحرك إلى الطابق الثاني حيث مكاتب الجوازات . وكان على الذي مررت به منها أمرأة تحمل رتبة ضابط . ولكنها تسرع في إنجاز الأعمال وقد أسرعت في ختم جوازي لأنه ليس عليه ما يستحق التأخير .

أما متاجر المطار وبوابة الخروج منه إلى الطائرات فإنها جيدة متسعة في قاعة مستطيلة تتفرع منها البوابات كالمعتاد .

إلا أن التفتيش من أجل الأمن عند الدخول إلى بوابة المغادرة كان يتم يدويًا يقوم ضابطان يلمسان أبدان المسافرين غير أنني لاحظت أنهما لا يقربان النساء ولا يفتشانهن ، وإنما يكتفون بتفتيش ما يحملن من حقائب يدوية .

ومما أثار عجبي أن تكون أعداد المسافرين من المطار بهذه الكثرة وأن تكون عدد رحلات الطائرات كثيرة إلى درجة لم أكن أتوقعها .

ولا شك في أن الفضل الأكبر في هذا الأمر وأمثاله هو للحرية الاقتصادية التي تتمتع بها هذه البلاد بحيث لم تتغلغل فيها النظريات الاشتراكية والشيوعية التي تفقر الغني ولا تغني الفقير بل إنها تأخذ من الفقير حتى الأمل في أنه قد يصبح غنيًا يومًا ما من الدهر .

وأذكر بهذه المناسبة أنني قابلت كثيرًا من الناس في بلدان شيوعية فاخبروني أنهم يحبون السفر ورؤية العالم الخارجي مثلي ولكنهم لا يأملون في ذلك ولا في المستقبل لأنهم ليس لديهم أمل في أن يصبحوا في يوم من الأيام أغنياء

يستطيعون ذلك ، لأن النظام الشيوعي يمنعهم منه .

شيء عن كولومبيـــا :

كانت كولومبيا تشتهر بثلاثة أشياء هي القهوة والزمرد والأشغال اليدوية وقد انضم إليها في الوقت الحاضر رابع مهم هو إنتاج اللحوم وكل هذه الأشياء ظاهرة واضحة ماعدا الزمرد الذي يحتاج إلى كلمة قصيرة .

الزمرد يدخل ضمن الأساطير والتقاليد . ولامتلاكه كانت توجد العديد من أنواع التفضيل من حيث التكوين تتراوح بين الحاد من الداخل وما يدل منه عند أهل البلاد على الشجاعة أو الحب وكذلك الرفاهية وللإعلان عن قوة الشخصية وكان القدماء منهم يعتبرون اللون الأخضر الصافي في الزمرد دلالة على الحياة الأبدية .

وكان هنود الشبشا هم القائمين على مناجم الزمرد قبل الإكتشاف الإسباني ووصلت حينئذ تجارته شمالاً إلى المكسيك وجنوبًا حتى بيرو ، كما كان للزمرد دور هام وأساسي في الديانة بالنسبة لهنود كولومبيا .

على مسافة غير بعيدة عن منجم شيفور كانت تقام طقوس دينية وثنية في الفجر عند بحيرة جواتافيا . فيدهن الرئيس الهندي بتراب الذهب المخلوط بمواد اخرى ثم ينزلق من قارب كبير في وسط البحيرة إلى الماء بمجرد ظهور الشمس في الأفق . ويلقي كهنة القبيلة في البحيرة بهذه المناسبة بالزمرد والأشياء المصنوعة من الذهب والنذور وبعض الأشياء الثمينة الأخرى كقربان للآلهة . وعندما علم الأسبان بموقع الذهب أرسلوا حملة عسكرية لتلك المنطقة التي تحتوي على الزمرد والذهب .

ويعطي المؤرخون القدامى في كولومبيا أهمية قصوى لاكتشاف منجم شيفور . فالمكتشف الأسباني جوانزالو جيمنز دي كويزادا رأى الزمرد للمرة

الأولى في ترميكي بمقاطعة بوياكا يوم ١٢ مارس ١٥٢٧م وأصر على اكتشاف منجمه ثم أوصى الكابتن بدرو فرناندیز دي فالنزويلا للبحث عن منجم شيفور . وعندما عاد الكابتن ورفاقه لم يحضروا عينات من الزمرد بل أشاروا بأنهم من اعلا الأخدود حيث وجدوا الزمرد رأوا بسهولة بواسطة من فتحة بين الجبلين سهول لانوس التي تمتد حتى جبال الأنديز .

بعد استيلاء الأسبان على منجم شيفور دفعوا الهنود الوطنيين للعمل فيه حيث شقوا الأنفاق وكانوا يستخرجون الزمرد مقابل وجباتهم الغذائية الضئيلة مما تسبب في هلاك العديد منهم . وبعد فترة وجيزة كان الإسبان قد انهكوا اليد العاملة الوطنية .

وفي عام ١٦٠٢ م أصدر ملك إسبانيا فيليب الثاني مرسومًا للتشديد على القوانين الإسبانية وذلك لحماية هنود العالم الجديد ورغم ذلك تغاضى الكثيرون من الفاتحين عن هذا القانون . وعام ١٦٧٢ م أصبح المنجم مشكلة بين أصحاب الأراضي الجشعين مما اضطر ملك أسبانيا شارل الثاني إلى اغلاق المنجم عام ١٦٧٥ م فامتلأت المنطقة بأعشاب الغابات التي غمرت كل أثر للمنجم الذي اعتبر مفقودًا لمدة قرنين .

وبفضل دقة السجل التاريخي الذي تركه الإسبان عن اكتشافهم الذي كان قد مضى عليه ٣٥٩ عامًا قام مهندس مناجم كولومبي هو الدون فرانسيسكو رستريبو في عام ١٨٩٦ م بالتأكيد على أن منجم شيفور قد وجد اثره داخل المنطقة التي ترى منها سهول اللانوس (سهول اورنيكو) .

وبمثل هذا الوصف الضعيف قام السنيور رستريبو بدراسة وافية للموضوع وبعد شهر من البحث في الأدغال وصلت بعثته إلى طريق إسباني قديم وبعدها تأكد بأن هذا الممر هو الذي سيصله إلى منجم شيفور . فأخذ يتسلق الجبل ووجد في النهاية دليله لاكتشاف المنجم المفقود .

وتسبب هذا الاكتشاف في إنشاء شركة مناجم شيفر.

ثم في وقت من الأوقات كانت تعمل خمس أو ست شركات في ولاية بويوكا للكشف عن الزمرد وكذلك على حدود مقاطعة كونديناماركا. أما اليوم فتقوم حكومة كولومبيا بتأجير منجمي موزو ولوسكويز. أما منجم شيفر فهو المنجم الوحيد للزمرد الذي يملكه الأفراد، ونظرًا لوعورة الأرض وطريقة التبليط وإقامة السلالم فتتبع نفس الطرق التي كانت تستعمل في الصناعة أيام هنود الشبشا منذ قرون بعيدة بعد إدخال بعض التعديلات المهنية التي أدخلت على الصناعة بواسطة الإسبانيين.

ويعثر على الزمرد نادرًا ويستدعي الأمر تقليب كل قدم مربع من الأرض ومن المتوقع أن يمر الإنسان على بعد قدم من عرق صغير من هذا الحجر الكريم بدون ملاحظته كما وأنه يمكن العمل لمدة شهور بدون العثور على أي شيء.

ويقوم عمال المناجم بتقليب الأرض بواسطة قضبان من الصلب طولها ٧ أقدام ووزنها ٣٠ رطلاً.

المسلمون في كولمبيـــا :

تقع جمهورية كولمبيا ضمن دول أمريكا اللاتينية بين فنزويلا والاكوادور، وتحدها البرازيل من الجنوب ويبلغ سكانها نحو ٢٦ مليون نسمة، والدين الرسمي للدولة هو النصرانية الكاثوليكية ويبلغ عدد المسلمين بها نحو سبعة آلاف مسلم جلهم من لبنان ويتركزون في ولاية جواهير من منطقة ميكاو ـ ثم نحو ألفي مسلم أكثرهم من فلسطين يقيمون بالعاصمة وضواحيها وهناك حوالي أربعين اسرة من أهالي كولومبيا يدينون بالإسلام ويقطنون في الساحل الغربي من البلاد.

ومدينة ميكاو مدينة تجارية وهي تقع على الساحل الشمالي الشرقي من

كولومبيا ونظرًا لوقوعها قريبًا من مجموعة من الدول المجاورة فقد نشطت فيها الحركة التجارية التي ترتكز على البضائع المهربة ويبلغ عدد مسلمي ميكاو نحو ١٥٠ أسرة جلهم من بقاع لبنان وغالبهم من أهل السنة .

نشاط المسلمين في ميكاو :

المسلمون في ميكاو لهم نشاط ملموس إذ يقوم بعض الشبان منهم بدور كبير في النشاط الإسلامي يمكن تلخيصه فيما يلي :

١ ـ تقاضي مبلغ (٥٠٠) بيزا ما يعادل مبلغ أحد عشر دولار أمريكي كل شهر بصفة طوعية على كل محل تجاري للمسلمين بقصد تمويل المشروع الإسلامي .

٢ ـ استأجر المسلمون في ميكاو مركزًا إسلاميًا جعلوا فيه مسجدًا وخصصوا بعضه ليكون مقرًا للمدرسة العربية الإسلامية ومقرًا للاجتماعات ..

٣ ـ استأجروا نصف ساعة يوميًا طوال شهر رمضان في الإذاعة المحلية يبثون من خلالها قراءة القرآن ورفع أذان المغرب وحديثًا باللغة العربية فيه موعظة للمسلمين تتناول ما يحتاجه المسلمون في شئونهم الدينية .

٤ ـ بدأوا بتدريس مباديء الدين الإسلامي واللغة العربية لأبناء المسلمين في المدرسة العربية الإسلامية الموجودة في المركز ، إلاَّ أنه لا يزال ضعيفًا بسبب امكاناتهم المحدودة .

٥ ـ إشتروا قطعة أرض جعلوها مقبرة يدفن فيها موتى المسلمين .

ويتمتع المسلمون في ميكاو بمكانة اجتماعية كبيرة ، وذلك بسبب هيمنتهم من الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

مقترحات لدعم المسلمين في مدينة ميكاو :

١ ـ تزويدهم بمجموعة من الكتب الإسلامية باللغتين العربية والإسبانية تساعدهم على تفهم دينهم .

٢ ـ تزويدهم بالكتب المدرسية باللغة العربية للمدرسة المنشأة في المركز الإسلامي .

٣ ـ ارسال مرشد وداعية للمنطقة يتولى الشئون الدينية فيها مثل إمامة المسجد وتعليم الكبار والافتاء ومتابعة الأنشطة الإسلامية المختلفة التي يقوم بها المسلمون .

٤ ـ إرسال مدرسين اثنين للتفرغ للتدريس في المدرسة العربية الإسلامية ويزداد العدد في المستقبل إذا توسع التعليم فيها .

في بنما

يوم الأحد ١٤٠٢/٣/٢٢ هـ ١٩٨٢/١/١٧ م :

من بوغوتا إلى مدينة بنما :

كانت طائرة خطوط الطيران الكولومبية المسماة اختصارًا (افيانكا) وهي من طراز بوينج ٧٠٧ واقفة أمام بوابة دهليز اسمنتي غير متحرك في مطار بوغوتا عاصمة كولومبيا وهي تستعد للطيران غير أن الطيار أعلن بعد أن بدأ بتشغيل محركات الطائرة أنهم سيضطرون إلى التأخير مدة نصف ساعة وإنه يأسف لذلك ويشكر للركاب صبرهم .

وقبل انقضاء المدة تحركت الطائرة وفارقت مطار بوغوتا في الحادية عشرة ضحى قاصدة مدينة في غرب كولومبيا اسمها (كالي) حيث ستمر بهذه المدينة ومنها تطير مباشرة إلى مدينة بنما أو (بنما سيتي) كما يقولون بالإنكليزية .

وعندما نهضت الطائرة بدا الريف الكولومبي أخضر ترعى فيه قطعان متفرقة من الأبقار التي تشتهر كولومبيا بتصدير لحومها حتى إن بعضها ترعى قرب المطار لا يردها عن دخوله إلا حاجز من الاسلاك الخفيفة .

وقد أعلنت المضيفة باللغة الإسبانية ثم الإنكليزية أن الطيران سيستغرق ٣٠ دقيقة ولذلك لم يقدموا شيئًا إلا أنهم فعلوا شيئًا غريبًا في مثل هذه الرحلات القصيرة وهو أنهم جاؤا بأنواع منوعة من الخمر والاشربة الكحولية يعرضونها على الركاب بيعًا لا ضيافة أو ضيافة مقابل نقود .

وما أسرع أن اخذت هذه الطائرة الكبيرة بالنزول لقصر المسافة وهي مسافة درجت بعض الشركات على عدم تشغيل مثل هذه الطائرة فيها وإنما يختارون لها طائرات أصغر منها .

كانت الأرض التي كنا نبصرها تحتنا خضراء بل ذات خضرة شاملة .

وخضرتها منسقة بديعة فهي مزروعة بعناية واضحة وفيها مزارع حقلية وأما أشجار الغابات فإنها فيها قليلة .

ولايدرك البصر مدى لهذه الحقول ولو من متن الطائرة .

وقد تكرر ازعاج الطائرة وربما كانت هي نفسها التي قدمت عليها إلى بوغوتا واضطربت اضطرابًا شديدًا أو كان الطيار هو نفسه غير الماهر إذْ إنه عندما نزل بها إلى الأرض قفزت أربع مرات قبل أن تستقر على المدرج ولكن كانت قفزاتها مستقيمة متزنة لذلك لم يصبها ضرر وإنما فزع بعض الركاب .

كان المدرج ضيقًا واقعًا بين حشائش وأعشاب وحشية نامية بشكل كثيف .

وأعلنت المضيفة عن الوصول وأن على الركاب الذين سيواصلون الرحلة إلى بنما أن يبقوا في الطائرة لأنها لن تبقى طويلاً في المطار .

وقد كان ذلك إذْ فارقتْه بعد نصف ساعة وقد نزل منها ركاب قليلون وصعد إليها ركاب أكثر امتلأت بهم مقاعدها .

وكان غالب الذين صعدوا من ذوي اللون الأسمر الشديد السمرة مما كان مقدمة في رأي العين لمنظر أهالي البلاد التي نحن ذاهبون إليها : (بنما) .

ومن الملاحظ على هؤلاء الركاب أنهم مثل بقية الركاب في أمريكا الجنوبية يحمل المسافر منهم معه إلى الطائرة عدة حقائب وأمتعة يدوية ولا يكتفي باثنتين فضلاً عن الواحدة إلا ما ندر .

ولم أرَ شركات الطيران تمانع في ذلك خلاف ما عليه أهل الهند الذين كانوا يضيقون على الركاب ويقولون : إنه يجب على المسافر منهم ألا يحمل أكثر من حقيبة يدوية واحدة .

وأذكر أنني منذ ٤ سنوات كنت مسافرًا في الهند لحضور احتفالات الجامعة السلفية في بنارس وقد وزعت الجامعة هدايا على كبار الضيوف هي حقائب يدوية فيها بعض الكتب والهدايا الصغيرة .

وكانت معي حقيبتي الأصلية ولم أكن قد رأيت اعلانهم بعدم حمل أكثر من حقيبة يدوية إلا عند بوابة الدخول إلى قاعة المغادرة بعد أن تجاوزت الجمرك والجوازات ، فقال الذي يفتش الحقائب للأمن : إنه ممنوع حمل أكثر من واحدة .

فقلت : إنني لم أكن أعرف ذلك والا لكنت نظرت في الأمر مع أن هذه الحقيبة عزيزة عليَّ لأنها هدية من دار علمية ولا أريد التخلي عنها .

وبعد أن أفرغ محتوياتها على المنصة الموجودة أمامه كما يفعل بجميع الركاب رغم كونه رأى جوازي سياسيًا امتنع عن الإذن بحملها حتى تضايقت من ذلك وكلمته بعبارات شديدة مما اضطر زملاءه للتدخل وحضور مسئول كبير أذن بمرورها .

واستأنفت الطائرة رحلتها إلى بنما في الثانية عشرة وأعلنت المضيفة أن مدة الطيران ستكون ساعة واحدة .

فكان المنظر من الطائرة عند القيام هو المنظر الذي لا منظر غيره في هذه البلاد ، وهو خضرة الأراضي المزروعة بالزراعة الحقلية ذات العناية الجيدة . إلا ما كان من منظر نهر صغير كان يتلوى بين هذه الحقول الخضراء بمياهه الحمراء الباهتة كأنه الحية تنساب في الصحراء في وقت الربيع .

ثم حال السحاب ما بيننا وبين النظر إلى الأرض لأن هذا هو موسمه في هذه البلاد .

وفي فترة قصيرة انكشف السحاب من تحت الطائرة فرأينا الطرف الضيق من القارة الأمريكية الجنوبية وهو الطرف الذي تحاصره مياه المحيطين الاطلسي والهادئ .

ثم صار أغلب الطيران فوق المحيط ولا أدري أي المحيطين هو . لأن السحاب لم يترك لنا فرصة رؤية الأرض حتى نعرف موقع المحيط منها .

وهما متقاربان ولذلك شقت بينهما قناة بنما كما هو معروف .

كان جاري في المقعد كولومبيًا يعرف الإنكليزية لأنه يقيم في الولايات المتحدة ويعمل صحفيًا سياسيًا أو قل إنه يعمل في الصحافة السياسية . وقال : إنه زار القاهرة وفلسطين المحتلة إبان توقيع إتفاقية وقف النار بين مصر ودولة اليهود في عام ١٣٩٣ هـ .

وأخذ يستطلع رأيي في بعض الأمور ، ومنها هذه الإتفاقية وتبين لي أنه متأثر من الدعاية اليهودية أو لنقل : إنه لم يسمع إلا بوجهة النظر اليهودية فنحن لا نستطيع أن نلقي باللوم في تقصيرنا على عاتق غيرنا حتى اعداءنا لا يقتضي العقل أن نلومهم لأن طبيعتهم أن يعادونا وأن يعملوا على إلحاق الضرر بنا وإنما ينبغي أن نلقي بالملامة على أنفسنا حينما تركنا لهم فرصة إلحاق الضرر بنا ، ولم نقابل عملهم بالصد والرد كما هو منطق الأشياء .

ومن طريف الشواهد على تأثره بالدعاية اليهودية إن كان في هذا الأمر طرافة ، أنه قال حينما كنت أتكلم عن زيارة بوغوتا : إن تقريرًا حديثًا قرأه يقول : إن أرخص عاصمتين في العالم هما بوغوتا و(تل أبيب) مع أنه من المعلوم أن الأسعار كانت خلال السنتين الماضيتين تتصاعد في فلسطين المحتلة

ضعفًا بعد ضعف وتعلن ذلك حكومة اليهود على الملأ وهل تل أبيب أرخص من مدينة بانكوك مثلاً ؟.

وما هذا الرجل إلاَّ مثَل من الأمثلة على المثقفين المضللين فهو مثقف ونبيه ، ولكنه يحمل أفكارًا خاطئة عن العرب وقضاياهم الرئيسية .

ومع ذلك كان الحديث معه يتناول شئونًا شتى من شئون أمريكا الجنوبية وغيرها فاستفدت منه في هذا الأمر وقطع عليَّ طول الرحلة إذْ لم أكد أشعر إلا بالمكبر في الطائرة يعلن أنها على وشك الهبوط .

وكان السحاب ينفرج في بعض الأحيان ، ولكن لا نميز الأشياء من الارتفاع غير أن الطائرة عندما تدنت إلى ما تحت السحاب اتضحت معالم الأرض تحتنا أرضًا بحرية فيها عدة جزر صغيرة خضر تأتي بعدها (مدينة بنما) بعماراتها الحديثة العالية التي تشبه العمارات في المدن الصغيرة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وتلفت بسرعة والطائرة تتدنى إلى الأرض بسرعة أبحث عن قناة بنما حتى أحظى برؤيتها من الطائرة ، وأسال جاري الصحفي عنها ولم يكن مقعده بجوار النافذة فيصغى بجسمه الضخم إلى النافذة ويقول : آسف ، إنك لن تراها لأنها من الجانب الآخر .

في مطار بنمـــا :

إقتربت الطائرة من الأرض فظهرت مستنقعات فيها على أطراف البحر أو أطراف نهر غير واضح المجرى فذكرت بذلك ما قاله لي أحد الأمريكيين الذين قابلتهم في الإكوادور عندما علم بأنني سأزور بنما : هل لقحت نفسك ضد الحمى الصفراء ؟ وهل معك حبوب ضد الملاريا ؟

وأما خضرة الأرض فإنها هي التي أصبحت لا تستحق التنويه فيما قرب من

عواصم أمريكا الجنوبية باستثناء (ليما) عاصمة بيرو .

غير أن الخضرة هنا أمر طبيعي لوقوع (بنما) بين المحيطين العظيمين الأطلسي والهاديء في لسان ضيق من الأرض ، وفي منطقة استوائية حارة تتصاعد فيها الأبخرة منهما ثم تسقط على هيئة أمطار غزيرة .

لم يستغرق الوقوف عند ضابطي الجوازات والجمرك طويلاً لأن جوازاتنا تحمل تأشيرات رسمية من سفارة بنما في كاراكاس وجوازي بالذات عليه تأشيرة سياسية بنمية .

كنت أعرف أن الدولار الأمريكي شائع الإستعمال في بنما لأن قناة بنما كانت ولاتزال تحت الإدارة الأمريكية إضافة إلى وجود أعداد كبيرة من الجيش الأمريكي هناك . ولكني كنت أعلم مما اخبرني بعضهم أن لبنما أيضاً عملة محلية خاصة بها .

لذا أسرعت إلى مصرف في المطار التمس منه أن يصرف لي صكًا سياحيًا (شيكًا) فوجدتهم قد كتبوا على نافذته : إنه مغلق وأسقط في يدي ، إذْ كيف نعطي السائق أجره ؟ وبماذا أكافيء الحمال من نقد ؟

ولمحت موظفًا في الداخل وناديته متسائلاً متى يفتح المصرف ؟ فقال : في الثالثة : بعد ساعة ونصف .

فقت له : إنني أرجو أن تقوم بصرف مائة الدولار هذه للحاجة إليها فتلطف وصرفها لي وإذا بالعملة الشائعة عندهم هي الدولار الأمريكي ، وكانت معي دولارات أمريكية صغيرة كانت كافية للاشياء المستعجلة .

وفي مكتب سيارات الأجرة أخبرونا أن الأجرة للشخص وليست للسيارة بمعنى أنهم قد فرضوا أجرة الراكب سبعة دولارات أمريكية على أن يركب معه غيره .

ودفعنا الأجرة وركب معنا غيرنا في سيارة أمريكية فارهة مكيفة الهواء لأن الجو كان حارًا رطبًا بعد جواء الإكوادور وكولومبيا الباردة الجافة .

في مدينة بنما :

تبلغ المسافة ما بين المطار وقلب المدينة الذي نقصده ثلاثين كيلو مترًا . كان أكثرها ريفًا أخضر قليل التنسيق لا يمت بشبه إلى الريف الذي جئنا منه قرب عواصم البلدان الأمريكية الجنوبية المجاورة لبنما فهو هنا يشبه ريف المناطق الإستوائية في إفريقية وآسية ولا يكاد يختلف عنها بشيء بخلاف تلك التي تشبه لارتفاعها اجواء المناطق المعتدلة .

والطريق الذي يشق هذا الريف جيد تحيط به أعشاب وحشية نامية بعضها طويل إلى درجة غير معتادة بحيث يبلغ طوله قامة الرجل .

وتتنصب فيما حوله شهود الجواء الإستوائية من أشجار النارجيل والموز والباباي .

إضافة إلى الألوان السوداء الموجودة بكثرة هنا وإن لم تكن هي الغالبة ، ومعها التخفف من الثياب .

والشائع فيها هو القميص الخفيف القصير الأكمام ، وتكثر معه رؤية السروال القصير الذي لا يصل إلى الركبتين .

وهذه الأشياء ومنها رؤية ذوي البشرة السوداء كنا قد نسيناها منذ أن غادرنا مدينة ريودي جانيرو في البرازيل .. إذْ لا يكاد يوجد أسود واحد في الأرجنتين وتشيلي وبيرو ، ويوجد السود بندرة بحيث لا يزيد عددهم على ٢٪ في الاكوادور وأقل من ذلك في كولومبيا مع مجاورة كولومبيا لبعض الجزر التي يسكنها السود في البحر الكاريبي مثل كرساو ، وترينداد ، وجزر العذراء .

وشيء لم نره من قبل وهو منظر نساء سوداوات راكبات في سيارة شحن

صغيرة (وانيت)

الطلاء الغريب :

ليست المفاجأة لنا عند الوصول إلى بنما منحصرة في اختلاف الجو ، ولا في اختلاف ألوان السكان اختلافًا كليًا عن عاصمة جارتها كولومبيا وإنما كان هناك شيء صغير آخر ذو مفاجأة أيضًا وهو منظر عمارات قد طليت بأكثر من طلاء واحد حتى تبدو للنظر من بعيد وكأنها قد طليت بطلاء واحد أفسد المطر وعوامل أخرى جزءًا منها فصار كالرقعة الكبيرة في الثوب .

وتلك العمارات أو البنايات على أصح من ذلك أو البُنى ـ على الأفصح في اللغة ـ جمع بنية هي على نسق واحد مما يدل على أنها قد بنيت لجهة واحدة دفعة واحدة كأن تكون حكومية أو شركة كبيرة بنتها لأصحاب الدخل المحدود مثلا لأن البنايات الأخرى في قلب المدينة التجاري لم تكن مثلها بل هي معتادة لا تكاد تختلف عن غيرها من البنايات الحديثة .

وهذه في طرف المدينة ، لذلك كانت أول ما شاهدناه منها ونحن نقصد فندقًا اسمه (فندق أوروبا) كان قد ذكر لنا غير أننا عندما وصلناه اعتذرت الموظفة بعدم وجود أية غرفة شاغرة فيه ولم نكن قد حجزنا من قبل .

وقد قبل السائق مشكورًا وهو بنمي مختلط النسب والحسب قد أصبح لونه كلون السمر من العرب أن يوصلنا إلى فندق آخر في وسط المدينة كما طلبناه ، وهو فندق (قران لوكس) أي : فندق لوكس الكبير وقد فتح مذياع السيارة على أغانٍ تبدو للأذن من بعيد ذات نغمات غير بعيدة جدًا من نغمات الأغاني السواحلية في شرقي إفريقية مثلما أن السائق غير بعيد جدًا في لونه عن أولئك القوم .

وكان نزولنا في هذا الفندق توفيرًا غير مقصود وتوفيقًا من الله لأنه غير كبير

رغم تسميته بالكبير . ولأن أهله والعاملين فيه أصبحوا لنا أصدقاء رغم قصر المدة التي قضيناها بينهم .

وإلا فإن فندق أوروبا يعتبر من فنادق الدرجة الأولى غير الفاخرة وأجرة الغرفة ذات السرير الواحد فيه ٤٥ دولارًا وهذا اجرة الغرفة فيه ذات السريرين ٣٣ دولارًا .

والفرق بين الأجرتين نفعنا في دفع الفرق في الأكل ما بين مدينة بوغوتا الرخيصة الجميلة وبين مدينة بنما هذه الغالية .

ويعتبر هذا الفندق من فنادق الدرجة الثانية الجيدة .

تمشية في مدينة بنمـا :

لم نكد نستقر في الفندق حتى خرجنا بدافع الشوق إلى استجلاء هذه المدينة مسرعين في جولة على الأقدام فيما استطعنا الوصول إليه من أماكن .

وكان مع الجولة البحث عن مطعم لتناول طعام الغداء غير أن أحدهم قال إن بعض المطاعم مقفلة اليوم لأنه يوم الأحد . فقلنا ما قاله المثل العامي المصري (بركة اللي جت منك يا جامع) لأننا كنا قد تناولنا شيئًا خفيفًا في الطائرة .

وقد فوجئنا من مناظر من قابلناهم من السكان فهم ليسوا كالسكان في أمريكا الجنوبية التي زرناها من قبل وإنما هم منهم بيض قد تغيروا من الطقس ونسبتهم قليلة ، وأكثرهم قد أذهب هذا الجو الاستوائي رونق وجوههم فأصبحت من دون نضارة وإن كانت لاتزال بيضاء اللون .

وفيهم سود لم يتغير سوادهم وفيهم أناس مختلطون ما بين السود والبيض ، كما هو الأمر عليه في غيانا وترينداد وجزر الأنتيل الواقعة في البحر الكاريبي . ومن المظاهر التي تدل على قلة البيض ونفاسة اللون الأبيض عندهم أن

بعض السمراوات والمختلطات أي المولودات ما بين البيض والسود يرى المرء فيهن بكثرة نساء قد صبغن شعورهن باللون الأصفر تشبهًا بالبيضاوات .

ومن الغريب الملاحظ في هذه البلاد مما لم نره في أقطار أمريكا الجنوبية الأخرى أن الناس قد اعتادوا على أن يتركوا أبواب بيوتهم مفتوحة فيرى المار من الشارع دواخلها وغالبًا ما تكون مبنية على هيئة فناء مكشوف تحيط به الغرف وقد امتلأ هذا الفناء بالغسيل من الثياب فيشاهد غسيلهم منشورًا على حد تعبير المثل الأوروبي .

وكثير منهم وبخاصة من ذوي البشرة السوداء يراهم المرء قد جلسوا حول بيوتهم ليس على جسد الواحد منهم إلا ما يستر العورة بسبب حرارة الجو .

ومن الأجناس الموجودة فيها أناس مختلطوا الأنساب من أكثر من جنسين وربما كان ذلك لأكثر من جيلين فتراهم في لون الهنود الشرقيين وتكاد تجزم أنهم منهم على البعد ، غير أنك ما أن تمعن النظر فيهم حتى تعرف أن نظرتك قد خدعتك لأن تقاسيم وجوههم ليست كوجوه أولئك . ولا تستطيع أن تلحقها بأي جنس من الناس الذين تعرفهم من قبل لأنها مختلفة عنهم فتبارك الله أحسن الخالقين .

وهؤلاء غير المختلطين ما بين البيض والسود الذين قد تجد في رؤوس بعضهم شعرًا مفلفلاً مع أن الوجه ليس بأسود .

كما تجد أنفًا قصيرًا في وجه يميل قليلاً إلى البياض . وقد ترى فتاة ذات شعر سبط أي : ليس جعدًا أو معقدًا وهي سمراء اللون إلى درجة تقرب من السواد ، وذلك ناشيء بطبيعة الحال من الاختلاط في الأنساب وليس لأنهم من جنس كان موجودًا متميزاً بذاته في البلاد أوكان قد قدم إليها وهوكذلك .

بنما وأمريكا الجنوبية :

من مظاهر الناس وتقاسيم وجوههم ومن الجو الحار الرطب يجزم المرء بالقول بأن (بنما) ليست كأمريكا الجنوبية وإنها تختلف اختلافًا كبيرًا عن الأقطار الأمريكية المجاورة لها ، بل لا يجمع بينها وبينها جامع ، الا اللغة فاللغة الشائعة هنا هي الإسبانية كما هي كذلك في بقية البلدان الأمريكية الجنوبية عدا البرازيل .

وهذا أمر لم أكن أتوقعه قبل وصولي إلى هذه البلاد . فقد كنت أظن أنها مثل سائر أقطار أمريكا الجنوبية ذات مظهر إسباني لأنها كانت مستعمرة إسبانية في أول الأمر مثل غيرها من الأقطار المجاورة ، غير أنني وجدت أنها بجزر البحر الكاريبي المجاورة أشبه منها بأقطار أمريكا الجنوبية .

وكانت المتاجر مغلقة لأن اليوم هو الأحد ولكن المظاهر التجارية كلها تدل على أن هذه البلاد ميدان عمل للشركات الكبيرة وبلاد عمل تجاري مزدهر .

فالمصارف ومكاتب الشركات الكبرى موجودة لا تحتاج إلى البحث عنها ومكاتبها كبيرة تدل على الرواج التجاري .

وقد تضايقنا من الحر والرطوبة لكوننا قد قدمنا من بلاد باردة شديدة البرد مثل سنتياجو عاصمة تشيلي وكسكو في جبال الأنديز داخل بيرو وكيتو عاصمة الإكوادور ، أو معتدلة البرد في هذا الفصل من السنة مثل بوغوتا عاصمة كولومبيا . وبوينس آيرس عاصمة الأرجنيتين .

إضافة إلى حساسية العين عندما تنتقل فجأة من رؤية الوجوه الزهراء النضرة إلى الوجوه الداكنة الكدرة .

ودخلنا في مطعم متوسط المستوى من حيث الأثاث والنظافة وكانت الوجبة فيه وهي شحيحة ليست فاخرة بستة دولارات وهي لا تساوي في بوغوتا دولارين فأين ذلك منها ؟

إضافة إلى أن الخدم هنا وهم امرأتان مختلطتان أي مولودتان من بين السود والبيض وفتاة سوداء سوادًا غير حالك قد أخذوا يتطلعون إلى الحلوان (البقشيش) بعد أن نقدنا الثمن ولما كان ما أعطيناهم قليلاً لأنه كان المتيسر معنا من النقد الصغير أهملونا في المرة الثانية مدة ثم عاملونا بخشونة بخلاف ما عليه الحال في أكثر أقطار أمريكا الجنوبية حيث لا يرى عامل المطعم أو المشرب أن الحلوان حق له واجب على الطاعم أو الشارب أن يدفعه ، وإنما هو تفضل إن جاءه يشكره وإن لم يأته لم يتطلع إليه .

ولكن هؤلاء البنميين قد اعتادوا على ما اعتاد عليه الأمريكيون الشماليون من كون ذلك الحلوان يكاد يكون حقًّا يجب نقده ، ولا يجوز أكله أو جحده .

على شاطيء البحر :

بعد الغداء استأنفنا الجولة على الأقدام في هذه المدينة الجديدة على أبصارنا وأفكارنا فقصدنا شاطيء البحر الذي لم يكن بعيدًا من فندقنا .

وقد وضعوا عليه جدارًا مرتفعًا تسنده حجارة سوداء كئيبة المنظر بعضها طبيعي وبعضها مجلوب لكي يقي الجدار صدمات الموج .

والغريب في الأمر أننا وجدنا على هذه الحجارة وبينها غربانًا صغيرة سودًا أيضًا في مثل لونها قبيحة المنظر وهي تطير وتقع وتلتقط من بين هذه الصخور ما لا أدري ما هو ثم شاهدنا بقعة صغيرة جدًا من الشاطيء في موضع داخل إلى البر قليلاً ، وقد جلب إليها الموج رملاً أبيض فكان فيها طيور من طيور النورس البيض البطون الرمادية الظهور الأنيقة المنظر ، بحيث لا يبعد منظرها كثيراً عن منظر الحمام فذكرت المثل العربي القديم : (إن الطيور على أشكالها تقع) .

وهذا الجدار على البحر مرتفع يأتي بعده الشارع الذي يماشي البحر ويسميه بعضهم شارع الكورنيش وقد نقشوا على الجانب الذي يلي الشارع منه رسومًا

فجة ملونة بألوان صارخة زرقاء وصفراء وخضراء لا يجمع بينها إلا عدم الجمال مع أن المفروض أن الرسم نفسه من الفنون الجميلة . وأن مراعاة الجمال فيه هي الأصل إلا إذا كان المقصود من الرسم ابراز فكرة قبيحة .

وقد عبث بعض الناس ببعض هذه الرسوم فزاد من قبح منظرها .

وأما الشارع الذي يماشي شاطيء البحر (الكورنيش) فإنه جميل منسق متوسط السعة قد غرست في أغلب أماكنه اشجار النارجيل فبدت خضراء مزدهرة في هذا الجو الاستوائي الرطب .

ويتخلل هذا الشارع حدائق صغيرة في بعض المتسعات مما يلي البحر ، وميدان يتوسطه تمثال لفارس معه درعه وسيفه وهو يشير إلى جهة البحر التي هي جهات القناة ، قناة بنما وهو تمثال لرجل إسباني اسمه (بالبوا) .

وفي هذا الميدان وعلى جدار الشاطيء كانت الوجوه لا تبعد في ألوانها واشكالها عما ذكر ، وشارع (الكورنيش) هذا طويل جدًا يشبه في طوله شارع الكورنيش في المنطقة التي نزلنا فيها من مدينة ريو دي جانيرو مع أن في المدينة عددًا من الشواطىء فيها مثل ذلك الشارع ، ولكن شتان ما بينهما في التنسيق والتزيين وابتغاء الجمال في الصنعة ، فشارع ريودي جانيرو أعلى وأغلى وأحلى من هذا البنمي .

وقد لاحظنا أن اللون الغالب على العمارات والبيوت في هذا الجزء الذي رأيناه من المدينة هو الأبيض ما عدا السقوف فإنها تكون حمراء مسنمة بسبب كثرة الأمطار في البلاد.

وقد أوغلنا في هذا الشارع المماشي للبحر ثم عطفنا راجعين مع شوارع داخل أحياء حديثة في المدينة فأخترقنا حيًّا جميلاً بيوته دارات (فيلات) غارقة في الجنات أكثرها من طابق واحد. وأكثر الأشجار الموجودة في حدائق

هذه البيوت هي أشجار النارجيل ويغلب عليها القصر كما تبدو نضرة فليست كالأشجار الموجودة في بعض الأقطار الإستوائية تبدو نحيلة هزيلة.

وأما الشوارع فقد غرسوا فيها نخيل الزيت ذا القوام الغليظ الذي لا يبعد منظره كثيراً عن منظر نخيل التمر في بلادنا إلا أن هذا النخيل الاستوائي يكون في الغالب ضخم الجذوع قوي السوق، كثيف العسب ـ جمع عسيب ـ وهو يخرج الزيت الذي يؤتدم به. يستعمل في البلاد التي تنتجه لما يستعمل له السمن في بلادنا، ولكن استخراج الزيت من ثمره ـ بالثاء المثلثة وليس تمره بالتاء المثناة ـ هو صعب يحتاج إلى معالجة ومعاناة.

ومعظم السكان الذين رأيناهم في هذه البيوت أو يدخلون أو يخرجون منها هم من البيض الذين أصاب وجوههم الكسوف وعدم الإشراق بسبب بقائهم وبقاء آبائهم من قبلهم في هذا الجو.

ولقد غدا بعضهم يشبه في لونه لون ذوي البشرة التي تميل إلى البياض من الهنود أو من العرب رغم كونهم كانوا ولا يزالون من ذوي الأصول الأوربية.

أما الجو فيما بعد الظهيرة فإنه حار رطب ولكنه ليس بالغ الحرارة واعتقد أنه في حدود ٣٣ درجة مئوية غير أن الدرجة هذه إذا صاحبتها الرطوبة أصبحت تضايق الإنسان ولو لم تكن هي عالية .

ومن الدليل على الحرارة هنا إن كانت تحتاج إلى دليل أننا شربنا الشاي في مقصف في الشارع فوجدناهم يبادرون الجالس إلى المائدة أول ما يبادرونه بكأس من الماء البارد من دون أن يطلبه ثم يأتون مع كل طلب بالماء البارد وذلك لكون الحاجة تدعو إليه في أكثر الأحيان.

وقد رأيت من بطئهم، أو تباطئهم في إحضار ما يطلب منهم ما ذكرني أيضاً بأنني في جو حار رطب يغلب الخمول وعدم النشاط على السكان فيه. وكان هذا هو طابع عمال المطاعم والمقاهي ـ جمع مقهاة لا قهوة ـ.

كثرة المستشفيات :

من الأشياء الملفتة للنظر بشدة في هذه البلاد كثرة المستشفيات والمستوصفات فيها كثرة ظاهرة ، وبعضها تابع لدول أخرى مثل المكسيك والأرجنتين وبعضها تابع لهيئات أجنبية بمعنى أنها هي التي فتحته وتشرف على تشغيله.

ولا أدري سبب كثرة هذه المستشفيات والمستوصفات إلا إذا كان ما قيل لنا من وجود الملاريا وبعض الحميات في البلاد.

وقد سألت بعد ذلك عدداً من أهل البلاد عن السبب في ذلك ولكنهم لم يقدموا لذلك جواباً كافياً ربما يكون ذلك لكونهم قد ألفوا رؤيتها فأصبحت لا تثير تساؤلهم.

والأمـــن ؟

وماذا عن الأمن في هذه المدينة؟ وهل هي مخوفة خطرة بالنسبة للسائح الأجنبي الذي يخاف على نقوده مثلما يخاف على نفسه لأنه إذا أصابه مكروه في نفقته في هذه البلاد البعيدة كانت مصيبته فيه مضاعفة.

لقد سمعنا أنها أحسن حالاً في هذا الأمر من عاصمة جارتها كولومبيا إلا أن أخباراً من أخبار السرقة والاختلاس قد قابلتنا حتى في المطار إذْ سمعني رجل برازيلي أشقر اللون أبحث عن فندق في وسط المدينة فبادر ينصحني ويريني جيب سرواله ممزقاً. ويقول: هكذا فعلوا به في وسط المدينة دون أن أشعر ولكن كان من حسن حظي أنه لم يكن فيه من نقودي ما يستحق الأسف على ذهابه كما قال.

وهو إذ يخبرنا بذلك ينصحنا بالمزيد من الاحتراس والتيقظ.

ومن مظاهر الحاجة إلى توفير الأمن التي رأيناها اليوم منظر جندي مسلح

يحرس مستشفى ويتمشى أمام بابه بسلاحه.

وآخر يحرس مكتبة من مكتبات بيع الكتب مفتوحة في هذا اليوم الأحد. ومكاتب أخرى كبيرة مغلقة.

على أن هذا هو كل ما رأيناه في هذا اليوم ولم نر بعده خلال إقامتنا في بنما ما كدرنا أو أثار الازعاج لنا خاصة من ناحية الأمن، بل بدا لنا أنها أحسن في ذلك من بيرو وكولومبيا.

إلا أنه عندما حل المساء حضر إلى فندقنا جندي شاهر سلاحه ووقف بهذا الوضع عند الفندق حتى ذهبنا للنوم واعتقد أنه يستمر في حراسة الفندق كل الليل.

وبخاصة أن الفندق فيه آلات القمار الآلية التي يضع فيها المرء قطعة أو قطعاً من النقود المعدنية يقامر بها إما أن تذهب وهو الأغلب أو أن يربح منها ربحاً قليلاً يؤدي به في النهاية إلى خسارة كبيرة.

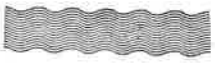

يوم الإثنين : ١٤٠٢/٣/٢٣ هـ ١٩٨٢/١/١٧م :

كان طعام الإفطار في الفندق نزراً قليلاً قد قتروه تقتيراً وصغروا مقاديره المعروفة تصغيراً من ذلك أنهم جاءوا بالحليب الذي يوضع مع الشاي في قاع فنجان صغير وهو من الحليب المجفف لا يبلغ من المقدار عشر المعشار مما يقدمه أهل كولومبيا من الحليب الطازج الذي يضعون الشاي فيه بدلاً من الماء.

وليس هذا بالفارق الوحيد بل كل شيء يقدمونه هو زهيد. ومع ذلك ثمنه أكثر من ثمن الإفطار السخي الشهي في بوغوتا عمرها الله.

وقد مضى أول هذا الصباح وهو أميره كما قالت العامة في مراجعة شركات الطيران لتغيير مسار التذكرة التي كانت تذهب من بنما إلى مدينة المكسيك وجعله يمر بمدينة (سان خوزيه) عاصمة (كوستاريكا).

واقتضى ذلك الذهاب بسيارات الأجرة إلى منطقة بعد منطقة في المدينة وكانت هذه فرصة للاطلاع على بعض المناطق فيها، لا سيما في هذا اليوم الذي هو يوم عمل نشط بعد يوم الأحد، وقد تجلت المنطقة التجارية فيها كثيرة الحركة واسعة المكاتب، جيدة التنظيم.

وبعد أن أنفقنا جزءاً من الوقت انتهينا إلى الحجز مع شركة (لاكسا) وهي خطوط طيران كوستاريكا وقال لنا الموظف في مكتبها وهو يكتب البيانات على التذكرة إن سفركم سيكون في تمام الثانية عشرة ووصولكم سيكون في تمام الثانية عشرة أيضاً لأن المسافة ساعة واحدة وفرق التوقيت ساعة واحدة فتوقيت كوستاريكا يتأخر عن توقيت بنما بساعة.

الشباب والشيب بين بنما والإكوادور :

عندما أكملت الجولة السياحية في مدينة كيتو عاصمة الإكوادور تراءى لي أن أكثر السكان فيها هم من الشبان وان الشيب فيها من رجال ونساء هم قليل جداً ربما لا تزيد نسبتهم على الخمس أو ٢٠٪ كما يعبر به الآن.

وكدت أسأل دليل الرحلة السياحية هناك وهو رجل مثقف واسع الاطلاع ومتعود على إجابة استفسارات السياح عن السبب في عدم رؤية الشيوخ الكبار في هذه المدينة وهل هو بسبب الارتفاع الشديد الذي يجهد القلوب. وبخاصة أنه كان يحذرني من الذهاب إلى الأماكن المرتفعة خارج العاصمة وهي أعلى منها بكثير ويده قد وضعها على قلبه وهو كما قال في الخمسين من عمره فهو يصغرني بسبع سنين.

إلّا أنني محافظة على مشاعره، وحذراً من أن يسبب سؤالي له الألم لم أسأله عما إذا كان ذلك بسبب هذا الارتفاع الشاهق.

وإنما سألته السؤال بطريقة أخرى لم يجبني فيها على تساؤلي إجابة واضحة فقلت له: ما علاقة هذا الارتفاع الشديد بأمراض القلب؟ وهل هي شائعة هنا؟ فأجاب: إن الناس هنا لا يسرعون في حركاتهم فأنت ترى أن الهدوء وعدم الإسراع هو طابع الحياة في هذه المدينة حتى السيارات لا تراها تسرع في السير.

وكان هذا صحيحاً حسبما شاهدته إلا أن السؤال قد ظل يتردد في ذهني ولما تذكرت أن سكان جبال السروات في بلادنا هم من أطول سكان المملكة أعماراً مع أنها جبال مرتفعة إلا أنني تذكرت أيضاً أن ارتفاع جبال السروات لا يصل إلى ارتفاع العاصمة الإكوادورية هذه فضلاً عن الأماكن الجبلية الأخرى التي يزيد ارتفاعها عليها.

ومع ذلك فإن ظاهرة كثرة الشبان أو قلة العجائز من الشيوخ الهرمين ومن

الشيخات أمر ظاهر فيها جداً لا سيما لمن يتذكر كثرتهم في بلاد كأمريكا الشمالية أو أوروبا الشمالية كثرة ملفتة للنظر.

وعندما رأيت الناس من جميع الأعمار في بنما تراءى الأمر على النقيض من ذلك تماماً فأكثر الناس ـ ما عدا الأطفال ـ هم من الذين يبدو عليهم كبر السن. والتجاعيد على الوجوه شائعة في أكثر الأعمار.

حتى إنني خمنت أن المسألة هنا عكسية بالنسبة لما في الإكوادور فأربعة أخماس الناس الذين رأيناهم أو ٨٠٪ كما يقال هم ممن يبدون من الشيوخ والعجائز.

ولا أشك مطلقاً في أن هناك شيئاً ما خفيا في الطعام أو الشراب أو في المستوى الصحي أو في نحو ذلك يجعلهم كذلك.

وفـرق آخـر :

وهناك شيء آخر يتصل بالذوق وربما لا يكون من اختصاص الذين يبحثون في الحقائق المجردة وهو تفاوت نسبة الجمال ما بين بنما وغيرها من أقطار أمريكا الجنوبية.

فعندما وصلنا إلى بنما أحسسنا أننا قد ودعنا الجمال عندما ودعنا بوغوتا ولا نزيد على ذلك إلا بأن نقول: إنه قد تبين لنا أن ذلك التوديع كان إلى حين. فقد عاد الجمال هو الذي يكحل العيون عندما وصلنا إلى سان خوزيه عاصمة كوستاريكا.

إلى قناة بنمـا :

استأجرنا سيارة أجرة بمعرفة مدير الفندق وهو رجل طيب القلب ودود بل إن جميع الذين في الفندق هم من الناس السمحي الأخلاق الذين يحبون

اكتساب الأصدقاء بسرعة.

وتم الاتفاق على أن يذهب بنا إلى مشاهدة قناة بنما ثم يعود إلى المدينة ليرينا معالمها كلها وأن يكون سائقها هو القائد والمرشد لمدة أربع ساعات تبدأ من الساعة الثانية ظهراً وذلك كله بثلاثين دولاراً أمريكياً. والدولار الأمريكي هو العملة الشائعة التداول في هذه البلاد كما قدمت.

اسم السائق (بابلو) هو فيما يقول انكليزي الأصل غير أن لغته الانكليزية ضعيفة وهذا أمر عام في أكثر البلدان التي تتكلم الإسبانية.

وتبعد قناة بنما عن الفندق الذي نقيم فيه مسافة (٣٠) كيلاً. وسيارته أمريكية واسعة مكيفة الهواء وليس معه أحد غيري أنا ورفيقي الرائد عبدالله عبدالرحمن العريني.

بدأت السيارة السير وبدأ سائقها التعريف حين مررنا بمحلة اسمها (كورندو) سكانها من الفقراء وأكثر المنازل فيها من الصفيح وقال: إن أكثر الذين في هذه البيوت السيئة هم من الكولومبيين الذين قدموا إلى هذه البلاد طلباً للرزق كذا قال.

وتشرف على هذه المحلة رابية جميلة خضراء. ولكن ذلك لم ينف عنها صفة الفقر ولم يعفها من نعتها بأنها محلة الفقراء.

ومنها خرجنا إلى ضاحية (بالبوا) ومررنا بمحطة القطار في (بناكولون) أي: مدينة بنما الاستعمارية ويراد بهذه التسمية في أمريكا الجنوبية المدينة التي كانت موجودة مأهولة في زمن الإستعمار الإسباني.

وضاحية (بالبوا) متسعة المساحة ذات بيوت قليلة وطرق جميلة، وقد نمت الأعشاب الوحشية والحشائش في الضاحية بكثافة.

وقد غرسوا على الطريق فيها أشجاراً ضخمة جداً عالية نادرة الوجود فيما

رأيته من العالم وتسمى (أيتو) وهي أشجار من أشجار الظل لا ثمر لها.

وإن كان ذلك لا يعني أنها أكبر أشجار رأيتها في العالم إذْ أضخم أشجار من أشجار الظل رأيتها كانت في كشمير في القسم الذي تسيطر عليه الهند الذي عاصمته (سرنقر) وتسمى (جنار).

معسكرات الجيش الأمريكي :

مررنا أولاً بما ذكر السائق أنه قيادة التعاون العسكري لأمريكا الجنوبية والوسطى. ثم بمعسكرات واسعة للجيش الأمريكي وحده يرفرف على مداخلها العلمان الأمريكي والبنمي. وهي معسكرات متسعة أشبه ما تكون بالمدن أو القرى المنفصلة أو لنقل بالتعبير الشائع : إنها دولة داخل الدولة.

وفيها حدائق وأشجار ذات ظلال وارفة ومحاطة بأسلاك تمنع الولوج فيها ولكنها لا تمنع رؤية ما في داخلها.

وفي بعضها ربى جميلة خضر داخلة ضمن المعسكرات لاتساعها ومن ذلك ربوة مرتفعة عليها منار (أو فنار) بالعامية لهداية السفن من بعيد مع أن هذه التلة واقعة في اليابسة داخل المعسكرات ولكنها أصلح الأمكنة لذلك في الجهة المقابلة لها من الساحل.

وكان الطريق يساير هذه المعسكرات من جهة اليسار ثم صارت من الجهتين اليمنى واليسرى منه وذلك لكثرتها واتساع مرافقها.

ومن مرافقها الهامة التي ترى على البعد خزانات ضخمة للوقود.

في قناة بنما :

وصلنا منطقة خيل إلينا أنها داخلة ضمن معسكرات الجيش الأمريكي وهي كذلك داخلة ضمن النفوذ الأمريكي لأن الأمريكيين هم الذين يديرون

قناة بنما منذ سنوات طويلة وفي هذه المنطقة مدخل أوقف السائق السيارة عنده وأشار إلينا بدخوله فقلنا له: إننا سندخل معك.

العلم البنمي يرفرف بجانب العلم الأمريكي
على مبنى إدارة قناة بنما

وعلى هذا المدخل لافتة كتبت باللغة الإنكليزية أولاً تحتها الإسبانية اللغة الوطنية لبنما وتقول اللافتة (مرحباً بكم في ميرا فلورس المقفلة).

وعلى هذا المدخل رجال أمريكيون باللباس الرسمي العسكري يشرفون عليه، ومعهم رجل أسمر بالغ السمرة مرتدياً لباساً مدنياً ربما كان يمثل الحكومة البنمية.

وهذا هو مدخل قناة بنما، وسوف أصف مشاهداتي فيها ثم أعقب ذلك بترجمة لنشرة قصيرة أعدتها سلطة القناة توزعها على الذين يأتون لمشاهدة القناة.

دخلنا مع ساحة مكشوفة نمشي على الأقدام مقدار أربعين متراً فإذا بالقناة عندنا ليس بيننا وبينها الا حوالي عشرة أمتار فنحن على ضفتها.

وكنت أظن أنها ستكون مثل قناة السويس في العرض وأن تكون ذات شاطىء بري بعيد عنها ولكن كان الأمر بعكس ذلك فالقناة ضيقة وهي ممران لكل ممر شاطئان وهي أسمنتية غير طبيعية عند هذا الجزء الذي نقف فوقه.

وقد كتب على بناء فيها لوحة قصيرة بحروف كبيرة تبين تاريخ إنشائها وهو ما بين عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩١٤م.

ويبلغ طول القناة ثمانين كيلومتراً.

في قناة بنما
المؤلف على اليسار
وبيده آلة تصوير
وبجانبه الرائد عبدالله
العريني..

وكنا ونحن على ضفتها إلى جهة اليمين منا المحيط الأطلسي وإلى جهة اليسار المحيط الهادىء ومستوى شاطىء المحيط الهادىء في هذه المنطقة أنزل من مستوى شاطىء المحيط الأطلسي لذلك لم يجعلوا القناة محفورة مفتوحة سائبة المياه كما هي عليه الحال في قناة السويس، وإنما جعلوها متدرجة المياه والمناسيب بما يشبه أن يكون أحواضاً كبيرة تقسم القناة في أكثر الأماكن وعلى جانبي ممري القناة توجد جرارات خاصة ضخمة مزودة بسلاسل حديدية قوية وهي تسير على قضبان حديدية كما تسير القطارات إلا أنها أكثر تعقيداً ومهمة هذه الجرارات أن تشتبك بالسفن العابرة فتقوم بمساعدتها على السير حيناً وبكبح جماحها حيناً آخر حينما تنحدر السفن قليلاً وبعضها يكون عن يمين السفينة وبعضها عن يسارها يعدلان مسارها لئلا تحيد فترتطم بأحد جانبي الممر وذلك لقلة المياه نسبياً في القناة ولضيقها.

تفعل هذه الجرارات ذلك وهي تسير على قضبان ضخمة معقدة بعضها مسنن ولها جلبة تعوض عن تخفيض جلبة محركات السفينة التي لا تستطيع الإسراع في الممر.

برج الإشراف :

بنوا برجاً مفتوح الحيطان في الجهات الثلاث التي تشرف على القناة واقعاً على الضفة الشمالية لها يصعد اليه الشخص الذي يريد مشاهدة السفن وهي تمر لكي يكون ذلك أوضح لرؤية الأشياء الصغيرة، وأبعد لمدى النظر.

تصعد إليه من درج لأنه في مستوى الطابق الأول فتجد فيه ما يبهجك ذلك بأنك واجد أولاً بيانات ورسوماً بيانية توضح خارطة القناة والأماكن المرتفعة والمنخفضة والمنحنية فيها وملخصاً قصيراً لحالها مكتوباً.

ثم تجد دليلاً أو دليلة معه مكبر للصوت يتكلم بالإنكليزية حيناً وبالإسبانية

حيناً آخر كلاماً يشرح ما يقع عليه بصرك منها.

داخل برج الأشراف .. المؤلف واقف وبعض السياح جالسين
وسفينة تقترب من الممر الجنوبي في القناة

ثم بعد قليل يأتي إليك هذا الدليل وقد يكون دليلة فيجلس بجانبك على الكرسي ويسألك قائلاً: هل من شيء تريد الإستفسار عنه من أمر القناة يا سيدي؟ إني حاضر هنا لأجيب على جميع الأسئلة والإستفسارات.

فإذا كنت تريد السؤال عن شيء أجابك بسرعة وبلطف ظاهر وإلا جلست أنت مع الجالسين على مقاعد في الظل ترقب الأفق لترى السفن العابرة حيناً وتنقل بصرك إلى جهة أخرى من الأفق لتمتعها بمنظر الروابي الخضر الواقعة بين بساط من الخضرة في جهة الجنوب من القناة. وهذا أيضاً من الفروق

داخل برج الأشراف .. المؤلف قبل وصول السفن مع الرائد العريفي

الظاهرة بين القناتين إذْ شاطىء قناة السويس ذو طبيعة صحراوية مغبرة الأفق وما نسيت يوما زرتها فيه قبل عشرين سنة وكان يوماً من أيام الربيع وقد أخذت الريح تحمل وتسفي من الرمل الناعم ما لا يكاد المرء يستطيع اتقاءه إلا بالبعد عنه إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وقد تترك هذا وذاك لتتأمل عجائب هذا الترتيب البديع المعقد الذي يدل على الذكاء الخارق والقدرة الهندسية البالغة في شق هذه القناة وفي المحافظة على منسوب المياه فيها رغم التفاوت في انخفاض الأرض وارتفاعها فيها ورغم مرور عشرات السفن فوق هذه الأماكن غير المستوية في كل يوم.

وبعد كل ثلاثين دقيقة تدخل سفينة من السفن أحد الممرين وبعدها تأتي

سفينة أخرى في الممر الآخر حتى إذا مضت ثلاثون دقيقة أخرى جاءت سفينتان أخريتان وهكذا دواليك.

وقد قسموا المرور بين المحيطين إلى وقتين احدهما في الصباح مخصص للسفن التي تأتي من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي وبعد الظهر للسفن التي تأتي في الاتجاه المعاكس.

عندما صعدنا هذا البرج الذي بعض جدرانه من الزجاج حتى يقي من يكونون فيه شدة المطر والهواء المشبع بالرطوبة كنا ظننا أن هذا هو كل ما في الأمر وحمدنا المسئولين في القناة على ذلك.

ولكني لم أشعر إلا بالدليلة وهي أمريكية الجنسية اسمها سيلفا باتينج مولودة في بنما تتحدث اللغتين تأتي إليَّ وتجلس بجانبي وقد أخبرها السائق بنا وبأننا عرب غرباء، جئنا للتفرج برؤية القناة، فأخذت تلاطف في الكلام وتشرح من أحوال القناة ما يكون بعضه إجابة على استفسار وبعضه مزيداً من الإيضاح.

ثم عادت إلى مكبر الصوت تشرح كيفية مرور سفينة مقبلة من بعيد ونحن ننقل البصر ما بين هذه السفينة المقبلة وما بين الأحواض التي أمامنا بعضها مرتفع وبعضها منخفض ونساءل أنفسنا عن كيفية تمكن السفينة من المرور منها فضلاً عن وجود حواجز بين هذه الأحواض تمنع مياهها من الأماكن المرتفعة من أن تنزل إلى الأماكن المنخفضة فتغمرها وتبقى المرتفعة من دون ماء تمر عليه السفينة.

هذا والمرشدة لا تكف عن الشرح من المكبر باللغتين الإنكليزية والإسبانية إلا إذا كانت تجيب على شيء من الأسئلة والاستفسارات.

وطيور النورس البيض البطون التي لون ظهورها لون الرصاص مادامت واقفة على الماء أو على الأرض أما إذا كانت تطير فإنها تبدو بيضا في لون

الغرانيق وهي تطير في أسراب عدة كأنها الأشرعة الخافقة قد نشرت مشاركة في هذا الإستعراض البديع.

وقد شارك في هذا الإستعراض أيضاً طائفة من السائحات اللائي قدمن من بلاد بعيدة برئت من سمرة أهل بنا وقترة ألوانهم.

كما شاركت في هذا الاستعراض أيضاً طيور بحرية ضخمة ولكن بطريقتها الخاصة وهي خطف الأسماك أو ما يسقط من السفن في المياه إلا أنها في طيرانها باسطة أجنحتها الكبيرة كالأشرعة الصغيرة لا تعتبر بعيدة عن هذا المشهد الرائع.

هذا والسفينة تقبل ببطأ شديد.

السفينة تقبل ببطء شديد في الممر الشمالي
والمؤلف واقف على يساره بعض السياح وممر القناة مليء بالمياه

وبينما كنت أتأمل هذا المشهد جاءت أي الدليلة المرشدة وجعلت تتحدث عن الفرق ما بين قناة بنما هذه وقناة السويس لأنها تعرف أنها واقعة في بلادنا العربية وأنه تهمنا معرفة الفرق ما بين القناتين في بعض النواحي.

ولما سألتها عن كيفية مرور السفينة بهذه الأحواض من المياه التي يرتفع بعضها عن بعض؟ أجابت قائلة: إن السفينة إذا ضغطت على الماء في الحوض تسرب الماء إلى الحوض المنخفض الذي يليه حتى يصبح مستوى الماء في الحوضين واحدًا ثم تفتح الحواجز بين الحوضين آلياً فتمر فيها السفينة بمساعدة هذه الجرارات وقالت: إن من أهم الأعمال في القناة مراقبة مقادير المياه فيها لأنها إذا زادت أو نقصت أخلت بنظام المرور حتى إننا نراقب مياه السيول التي تأتي إلى البحيرات المتصلة بالقناة فلا نسمح بأن تزيد على حد معين لئلا يزيد تبعاً لذلك منسوب الماء في الأحواض التي تؤلف جزءاً من القناة.

وقالت: إن هناك موظفين مختصين لا عمل لهم إلا مراقبة مستوى المياه في القناة ومعرفة مقاديرها.

وعندما رأت حرصي على الحصول على المعلومات عن هذه القناة خرجت من البرج ثم عادت تحمل ظرفاً كبيراً مختوماً وتعطيني إياه بخفية وهي تقول: هذا لك وهو خاص جداً (فري برايفت) فلا يعلم به أحد من الموجودين لأننا لا نعطي مثله لسائر الناس.

فشكرتها على ذلك، وعرفت بعد ذلك أنه يحتوي على أعداد من مجلة تصدرها هيئة القناة بالإنكليزية ومنشورات أخرى عنها وعن بنما كلها بالإنكليزية لأنها تعرف أنني لا أحسن الإسبانية.

ووصلت السفينتان إحداهما تتبع الأخرى إلا أن كل واحدة منهما في ممر غير الممر الذي فيه الأخرى وعندما صارت القريبة منا في حوض الماء المرتفع ضاغطة على ماءه بدأت مياهه تتسرب إلى الحوض الذي بعده والذي يفصل

بينه وبين الحوض الذي قبله جدار حديدي ضخم.

سفينة تقترب من برج الإشراف

سفينة في حوض مليء بالمياه والآخر أخذ يمتلىء

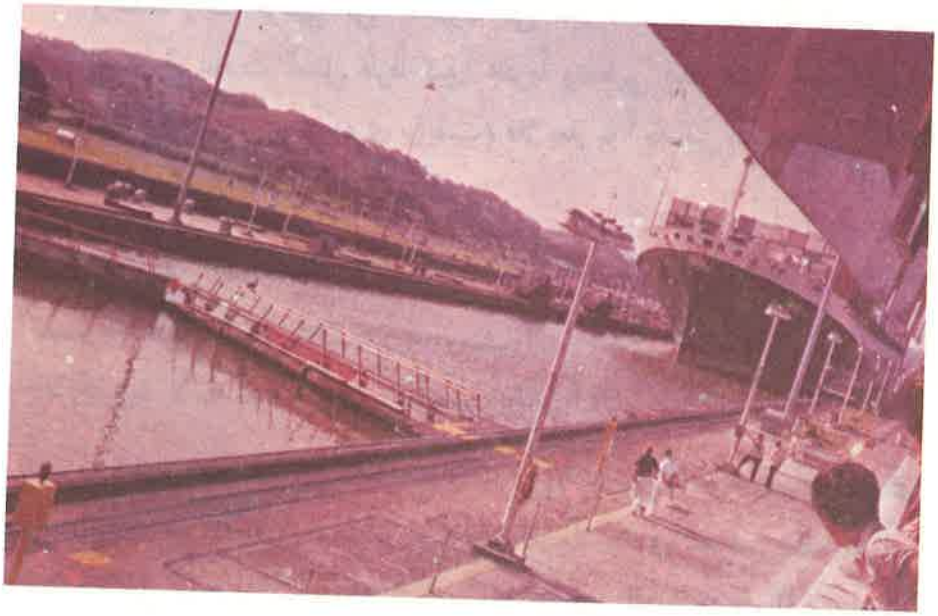

فصار الماء ينقص من الحوض الذي فيه السفينة ويزيد في الحوض الذي يليه وهو الذي ستصل إليه، وهي واقفة تنتظر والماء ينبع في الحوض الذي ستصل إليه من خلال فتحات أسفله تشبه النافورة التي تنبع من الماء.

وعندما تساوى الماء في الحوضين الذين لا بد من التذكير بأنهما جزء من مجرى القناة فُتح الحاجز الحديدي الضخم الذي يفصل بينهما فأصبحا كالحوض الواحد وسارت فيها السفينة ومياههما وما حولها منفصلة عن مياه القناة التي خلتها السفينة وراءها لأن تلك عالية لو فتح لها المجال واسعاً لاندفعت بالتدفق إلى الأسفل وهي جهة المحيط الهاديء وبذلك يخرب نظام القناة.

عمل هندسي رائع :

إن هذا عمل هندسي رائع في أساس وضعه ثم في كيفية استمراره والمحافظة عليه. وربما لا يتصوره تمام التصور إلّا من شاهده.

هذا وقد رأينا أنه لا بد من أن يتقدم السفينة زورق صغير يكون بمثابة

أحواض المياه في مجرى قناة بنما

المرشد أو الرائد للطريق أمامها مع أنها ضيقة لا مجال للضياع فيها.

والجرارات المربوطة بها بسلاسل حديدية أحياناً تجرها إلى الأمام وأحياناً تشدها إلى الخلف لتمنعها من سرعة السير ومن ثم الانجراف مع المياه المنخفضة فالارتطام.

وكنا نراقب ذلك من برج المراقبة الذي لا يبعد عن الضفة الشمالية عن القناة إلا عشرة أمتار يفصل بينهما حاجز من أسلاك قوية ولكنها ليست متعددة بل هي سلك واحد فوق أعمدة قصيرة من الحديد.

وقد انصرفت الدليلة أو أخلدت إلى الراحة فجاء رجل مكانها فأخذ المكبر وأخذ يشرح ويعلق باللغتين الإنكليزية والإسبانية.

والسياح ومنهم نحن يلتقطون الصور التذكارية لهم ولمرافقيهم وللسفينتين بشكل محموم ولا شك أن المنظر يستحق ذلك.

وكنا نشاهد طرف القناة من جهة المحيط الهادىء قريباً منا فكنا نرى على باب القناة مما يلي ذلك المحيط جداراً حديدياً يمنع المياه أن تتسرب إلى المحيط فجعلت أراقبه لأرى كيف يفتحونه حتى تمر السفينة منه.

وعندما وصلت إلى الجزء الذي قبله من القناة كانوا قد أغلقوا ما خلفها لمسافة بباب حديدي يفتح آلياً مثل غيره من هذه الجدران الحديدية الضخمة التي تغلق أجزاء القناة بعضها دون بعض ثم فتحوا باب القناة أو على الأدق الجدار المتحرك الذي كانوا قد أقاموه دون المحيط فخرجت منه السفينة من دون أن تتسرب مياه القناة البعيدة منه لأنها مغلقة دونه.

ومن الغريب المفاجئ لنا أن السفينة التي كانت تمر مع المجرى الجنوبي من القناة كانت كبيرة واسعة إلى درجة لا يكاد المرء يحس أن بينها وبين حائط الممر فراغ يذكر بل كاد الممر يضيق بها لضخامتها وضيقه. مما يجعلنا نعتبر قناة

السويس واسعة جداً بالنسبة إلى هذه القناة البنمية. ولولا وجود الجرارات التي تشدها من الجانبين تحفظ توازنها لكان من المحتمل جداً أن يختل توازنها وترتطم بحائطي المجرى.

حوض الماء بعد مرور السفينة وقد كاد يفرغ من الماء ... والمؤلف يراقبه

وقد شغل السياح والمتفرجون مثلنا بمنظر هاتين السفينتين القريبتين منا عن منظر سفن أخرى كانت مقبلة من بعيد لا يتضح منها إلا صواريها ولكنها ونحن ننظر إليها سيستغرق سيرها نصف ساعة قبل أن تصل إلى المنطقة التي نحن فيها من القناة لأنها تبطىء في سيرها.

وهذه ترجمة الكلمة الموجزة التي حصلنا عليها من إدارة القناة وتتضمن المعلومات المهمة عنها.

قناة بنمـا :

أمر شارل الخامس ملك إسبانيا عام ١٥٢٤م بإقامة أول دراسة عن

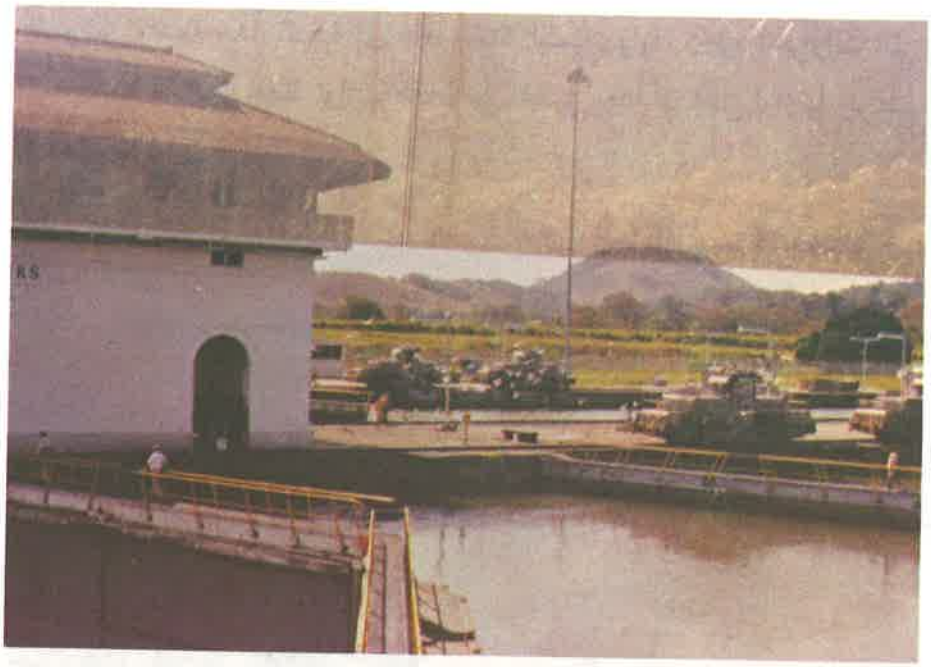

صورة لشاطىء القناة التقطه المؤلف من برج الإشراف

مشروع قنال يمر عبر خليج بنما ومر أكثر من ثلاث قرون قبل البدء في أولى المباني. فقد عمل الفرنسيون ٢٠ عاماً اعتباراً من ١٨٨٠ م ولكن المرض والصعوبات المالية تغلبت عليهم.

وعام ١٩٠٣ م ثارت بنما وانفصلت عن كولومبيا. وبعد ذلك بمدة وجيزة وقعت بنما والولايات المتحدة معاهدة تضمن بها الولايات المتحدة استقلال بنما كما وافقت على دفع ١٠ ملايين دولار وتعهدت كذلك بدفع مبلغ سنوي أبدي اعتباراً من ١٩١٣ م .

وفي يوم ٤ مايو ١٩٠٤ اشترت الولايات المتحدة من شركة القناة الفرنسية حقوقها وممتلكاتها مقابل ٤٠ مليون دولار وابتدأت في البناء. وانتهى المشروع

التذكاري بعد عشر سنوات بكلفة تقدر بـ٣٨٧ مليون دولار.

والسندات التي كانت في حوزة أصحاب الأراضي اشتريت منهم بحوالي ٥٥ مليون دولار من الولايات المتحدة.

وفي عام ١٩١٤ م وقعت الولايات المتحدة معاهدة مع كولومبيا لإنهاء الخلافات التي قامت بسبب استقلال بنما وبناءً عليه فقد دفع لها مبلغ ٢٥ مليون دولار. ومنذ ١٩٠٣ م استثمرت الولايات المتحدة حوالي ثلاثة بلايين دولار في مشروع القناة وهو ما يوازي ثلثي المبلغ الذي استعيد.

وقعت معاهدتان جديدتان تحكمان مستقبل الحركة والدفاع عن قناة بنما بين كل من الولايات المتحدة وكندا في حفل كبير بواشنطن في شهر سبتمبر ١٩٧٧ م . فصادق عليهما من بنما في ٢٣ أكتوبر من نفس العام وأعطى مجلس الشيوخ الأمريكي موافقته على بعض التعديلات في أبريل ١٩٧٨ م .

وابتدأ سريان المعاهدتين في أول أكتوبر ١٩٧٩ وتولت بنما السلطات على ما كان منطقة القناة وبقيت للولايات المتحدة سلطة محدودة بوليسية وقضائية لمدة انتقال قدرها ٣٠ شهراً .

عبرت السفينة انكون العبور الأول للقناة من المحيط إلى المحيط يوم ١٥ أغسطس ١٩١٤ م . وفي عام ١٩٨٠ كان هنالك ١٤ ٧٢٥ عبوراً منها ١٣ ٦١٤ سفينة للمحيطات تزيد ٣٠٠ طن صافي.

وخلال العام حملت السفن العابرة ١٦٧ ٦١٢ ٢٢٣ طنا من البضائع ودفعت رسوماً قدرها ٢٩٣ ٤٤٣ ٩٤٣ دولاراً وكان أقصى عدد للعبور قبل الحرب العالمية الثانية ٧ ٤٧٩ سفينة عام ١٩٣٩ م.

وأكبر رسوم سددت هي عن عبور السفينة كوين اليزابيت ٢ عام ١٩٨٠ م وبلغت ٨٩ ١٥٤,٦٥ دولاراً وأقل رسوم كانت ٣٦ سنتاً دفعت من ريتشارد هاليبورتون لعبوره القناة سباحة عام ١٩٢٨ م.

تسدد الرسوم بواقع جدول قياسي لقناة بنما عن الطن الصافي. واعتباراً من أول أكتوبر ١٩٧٩ زيدت رسوم العبور ١,٦٧ دولار للطن الصافي للسفن المشحونة و١,٣٣ دولار للسفن الفارغة.

أطول مدة لسفينة عبرت القناة كانت للسفينة ماركونا بروسبيكتور وطولها ٩٧٣ قدماً بعرض ١٠٦ قدم وذلك في شهر أبريل ١٩٧٣.

أكبر سفينة ركاب عبرت القناة هي السفينة البريطانية كوين اليزابيت ٢. وكانت حمولتها القصوى ٨٥٢ ٦٦ طن بطول ٩٦٣ قدم وبعرض ١٠٥ قدماً.

وأكبر حمولة تجارية كانت على السفينة أوفرسيز نيويورك التي عبرت بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٧٨ وهي ٦٤٦٠٤ طن من الزيت. وأعرض سفينة عبرت هي السفينة الحربية الأمريكية نيوجرسي وشقيقاتها بطول ٨٨٠ قدم وعرض ١٠٨ قدم.

طول القناة حوالي ٥٠ ميلا. والمدخل الأطلنطي يقع على حوالي ٢٧ ميلاً غرب مدخل المحيط الهادي.

عند دخول سفينة القناة من جهة الأطلنطي تعبر بمستوى البحر من ميناء كريستوبال حتى جاتون لوكس وهي مسافة ٧ أميال ثم ترفع ٨٥ قدماً إلى بحيرة جاتون بواسطة ٣ (هويس) . ومن جاتون تبحر على ارتفاع ٨٥ قدم من سطح البحر حتى بدرو ميجيل وهي مسافة ٣١ ميل. ثم تدخل في هويس يهبط بها ٣١ قدم حتى بحيرة ميرافلور ومنها إلى هويسين جهة الجنوب لتهبط ٤٥ قدماً لمستوى المحيط الهادي. ثم تبحر لمسافة أربعة أميال قبل دخولها الغاطس.

مدة عبور السفينة لقناة بنما تقدر بحوالي ٢٠ ساعة ويتغير الوقت حسب الضغط الملاحي .

العرض العادي للقناة هو ٣٠٠ قدم وقد تم توسيعه حتى أصبح ٥٠٠ قدماً

وقد تسبب ذلك في نقل كمية من الأحجار والأتربة زادت عن ٥٠ مليون متر مكعب. والتوسعة وبعض المشاريع الأخرى قد تسببت في نقل كمية حجارة أكثر من التي نقلت أثناء البناء.

وفي قطاع جاليارد كان السبب في تأخير مشروع القناة الأول وقد تسبب في إغلاق المجرى الملاحي خمس مرات. وأكثرها كان الجانبان الشرقي والغربي الذي نتج عنهما إزالة ٣٥ مليون ياردة مكعبة من المواد. وفي هذا القطاع يرى المرء صور القناة فهضبة الذهب ترتفع ٦٥٨ قدماً عن سطح البحر بينما ترتفع هضبة المقاولين مقابلها ٣٩٠ قدماً.

وفي عام ١٩٥٤ م حصل تصدع في الصخور ناحية هضبة المقاولين ولتفادي الانهيار الصخري تم إزالة ٢,٥ مليون ياردة مكعبة من الصخور وبالتالي فقد انخفض ارتفاع الهضبة من ٤١٥,٥ قدم إلى ٣٩٠.

وقطاع جاليارد سمى باسم الكولونيل ديفيد جاليارد الذي كان مسئولاً عن تلك المنطقة حتى وفاته عام ١٩١٣ م .

ومدينة جامبوا الواقعة على نهر لماجريس والقناة تعتبر الموقع الرئيسي لإدارة التطهير. والرافعة العائمة العملاقة هيركول المتمركزة في جامبوا يمكنها رفع ٢٥٠ طنا وقد بنيت في ألمانيا بناءً على عقد قبيل الحرب العالمية الأولى ثم سحبت في البحر الأطلسي أثناء الحرب.

سعة كل هويس ١٠٠ قدم عرض و١٠٠٠ قدم طول. والهويس هو حوض الماء فيها أحجام السفن العابرة والمحددة هي :

عرض ١٠٦ قدم، غاطس ٤٠/٣٦ قدم، طول ٩٥٠ قدم.

يوجد حاليًا في العالم حوالي ٠٠٠ ٢٧ سفينة ومنها حوالي ٠٠٠ ٢٥ يمكنها عبور القناة . وأما التي لا يمكنها العبور فهي الناقلات العملاقة .

مستقبل قنـاة بنما :

بعد أن انتهت هذه النشرة التي تكلمت عن القناة نرى أنه لا بد من كلمة قصيرة عن مستقبل هذا الممر المائي المهم.

فنقول: إنه من المقرر بموجب الاتفاق الذي تم بين الولايات المتحدة الأميركية وبين حكومة بنما أن يسلم الأميركيون القناة للبنميين في عام ٢٠٠٠ م.

ولكن القناة ستكون في ذلك الوقت في حالة سيئة جداً، وربما لا تستطيع الحكومة البنمية أن تسير العمل فيها على ما هو عليه بسبب عجزها عن استيعاب السفن العملاقة التي أصبحت تمثل نسبة كبيرة من ناقلات البضائع وناقلات النفط.

إضافة إلى تناقص المقادير اللازمة من المياه للملاحة في القناة وكثرة التكاليف الباهظة التي تترتب على توفير مثل تلك المياه.

وهناك شيء آخر مهم وهو قدم الآلات والمعدات المستعملة في القناة في الوقت الحاضر والتي يعود بعضها إلى عهد إنشاء القناة نفسها.

وتحديثها قبل توسيع القناة يحتاج إلى نفقات باهظة ليس بمقدور بنما تحملها.

لذلك فإنه من المعتقد أن يتجه تفكير الحكومة البنمية إلى إيجاد ممر مائي آخر يكون بديلاً من القناة الحالية.

وقد سمعنا بالفعل أن حكومة بنما قد أجرت مفاوضات مع حكومة كولومبيا بغية العمل المشترك على شق ممر مائي في منطقة مشتركة بين البلدين بمعنى أن بعضها يقع داخل حدود بنما وبعضها داخل أراضي كولومبيا.

وقد يكون ذلك أهون من شق الصخور العاتية وتوفير المياه الهائلة إضافة إلى الهندسة المعقدة اللازمة لتوسيع هذه القناة.

الجسر الذي يصل ما قطعته القناة :

عدنا بعد الرابعة تاركين القناة متمتعين بمشاهدة مرور السفن وما يصاحبها من أعمال هندسية معقدة تلذ مشاهدتها.

فسارت السيارة مع طريق غير واسع قال السائق إن اسمه (بان بنما) وإنه يذهب إلى كوستاريكا والولايات المتحدة.

فمررنا بمعسكرات أخرى للجيش الأمريكي وما أكثر معسكرات الجيش الأمريكي ومنشآته في هذه البلاد وهي في اتساعها وكونها أشبه بالقرى أو البلاد المنفصلة ليست بعيدة عن التي شاهدناها من قبل.

وعند الخليج الذي تفضي إليه القناة أوقف السائق سيارته قرب جسر هائل مرتفع.

كانت القارتان الأمريكيتان متصلتين بهذا الشريط البري الذي هو كالبرزخ يفصل بين المحيطين العملاقين الهادىء والأطلسي والذي من ضمنه أراضي بنما غير أنه عندما شقت القناة انفصلت إحداهما عن الأخرى فكان التعويض عن ذلك بهذا الجسر الهائل المقام على الخليج وليس على القناة مع أن القناة أضيق وربما كان السبب في ذلك الرغبة في إبعاد الحركة عن الأماكن الحساسة من معسكرات الجيش الأمريكي ومن القناة نفسها.

وقد أقاموا الجسر من الحديد يشبه جسر نيويورك الذي يصل بين جزيرة مانهاتن وبين حي بروكلين.

وارتفاعه الكبير بل الهائل يجعل السفن الكبيرة تمر من تحته ولا تقارب أن تمس منه شيئاً بل إن السيارات تبدو فوقه في مثل نصف حجمها الطبيعي أو أقل من ذلك في رأي العين لفرط ارتفاعه واتساعه.

وحركة السيارات عليه كبيرة جداً لأنه ليس خاصاً بالحركة في بنما وحدها

بل إنه يصل ما بين الأمريكتين مكمل للطريق البري ما بين أمريكا الشمالية والجنوبية ولذلك سموه (أمريكا برج) أي: جسر أمريكا.

إلى المدينة القديمة :

لانزال في أمريكا الجنوبية وبخاصة من حيث اللغة رغم الفروق الأخرى ولذلك كان إصطلاح مدينة كولون بمعنى المدينة الاستعمارية الذي يراد به المدينة التي كانت موجودة إبان عهد الإستعمار الإسباني موجوداً.

وقد أصبحت تلك المدينة بمثابة الحي من أحياء العواصم الأمريكية الجنوبية. يحرصون على أن يطلع السياح عليها لأنها تتميز عن باقي أجزاء العاصمة الأخرى بأشياء كثيرة من أهمها طراز الأبنية، وضيق الشوارع إضافة إلى الأهمية التاريخية.

ولكن كان الأمر مختلفاً هنا بعض الشيء كما هو الحال عليه في أشياء كثيرة إذْ اخترق السائق حيًّا قديماً قال إنه مدينة بنما القديمة.

بيت على الطراز الأندلسي المتأخر في بنما

من أحد الدور المبنية
على الطراز الأندلسي
العريق في بنما

فسألته: أهو كولون؟ فأجاب: لا، إنه غيره إن (كولون) قسم آخر سوف أريكم إياه.

اسم هذا الحي القديم (تشوريجو) أكثر بيوته ليس لها طابع خاص ينتمي إلى هندسة معتنى بها وأكثر الألوان فيه هو الحمرة. ومظهر البيوت فيه متوسط يميل إلى الرداءة وفيه سوق مررنا به غير أنه مغلق في هذه الساعة التي هي

الرابعة والنصف، ربما كان ذلك للراحة في هذا الجو الحار وأنهم سيعودون إليه بعد ذلك.

أما الناس الموجودون فيه فإنهم السمر المختلطون اي المولودون من أجناس بينها الأبيض والأسود وكثيراً ما كان يتراءى لعيني من بعيد أنهم من أهل الهند الآسيوية غير أنه لا يوجد من بينهم هنود آسيويون إلّا عدد نادر قليل.

وأهم ما يميز البيوت في هذا الحي شرفات خشبية (بلكونات) مكشوفة تكون موصولة بالسقف الذي فوقها بخشب خفيف على هيئة أعمدة. وهي هنا بمثابة المتنفس لأهل البيت إذْ رأيت بعضهم يجلسون فيها طلباً للهواء الطلق.

ثم مدينة كولون :

ومن هذه المدينة القديمة على حد تعبير السائق أو هي حي قديم من مدينة بنما ستي العاصمة وليست مدينة منفصلة قائمة بذاتها بطبيعة الحال انطلقنا إلى مدينة (كولون) أو الإستعمارية وهي أيضاً حي قديم بل ربما كان الأقدم من أحيائها إلا أنه متميز عن غيره بأشياء كثيرة.

وأهم ما يميزه وجود عدد كثير من البيوت والأبنية الكبيرة ذات طراز عربي أندلسي جميل مطلية بطلاء أبيض بهيج. وقد بدأ إنشاء هذه المدينة في عام ١٥٦١ م.

وقفنا في ساحة (هريرا) في هذا الحي وهي منسوبة إلى توماس هريرا أحد قادة الجيش البنمي وان كان أصله من كولومبيا وقد نصبوا له تمثالاً في وسط هذا الميدان.

والتقطت صورة لبيت عربي الطراز مطل على الميدان ولكنيسة قديمة طرازها عربي خالص أو على الأدق لنقل إسلامي أندلسي خالص مع أنها معبد للمسيحيين واسمها (سانتودمنقو) وما أكثر ما نسب إلى دمنقو القديس عندهم

من كنائس وغيرها حتى في المدن .

ولفت السائق نظرنا إلى فندق قال: إنه أول فندق أقيم في بنما اسمه (أوتيل سنترال) أي: الفندق المركزي وبناؤه عربي خالص مما يدل على قدمه حقيقة إذْ كان الأسبانيون يبنون الأماكن الفاخرة على الطراز العربي الأندلسي عند دخولهم إلى أمريكا الجنوبية لأنه هو البناء الجيد عندهم في ذلك الزمن.

شارع واسع في كولون في بنما

وهناك مبنى عربي المظهر آخر يسترعي الانتباه وهو مبنى البريد المركزي.

مكتب الرئاسة :

في هذا الحي القديم بل أقدم أحياء العاصمة يقع مكتب رئيس الجمهورية.

وهذا تقليد وجدنا له مثيلاً في كثير من العواصم الأمريكية الجنوبية أن يكون مقر الرئاسة في الحي الإسباني القديم أو ان شئت قلت في شيء من

التجوز في الحي ذي المظهر العربي في البناء فهو كذلك في مدينة كاراكاس عاصمة فنزويلا وفي مدينة بوغوتا عاصمة كولومبيا مثلاً.

إن مقر الرئاسة صغير بالنسبة إلى ما يفترض أن مكاتب الرئاسة تحتاج إليه ولكنه جميل جداً بالنسبة إلى الأبنية المجاورة أو حتى الحديثة ذات الطابع التجاري وهو أبيض الطلاء بياضاً مشرقاً يقع على خليج من البحر غير واسع يسمى (خليج بنما) تأتي بعد الخليج مقابلة على البعد لمكتب الرئاسة العمارات التجارية العالية فيما يسمى بالداون تاون. أي القلب التجاري للمدينة.

ثم سرنا في داخل مدينة كولون الإسبانية أو التي كانت إسبانية غير أن دولة الإسبان قد دالت وسلطتهم زالت ولكن الذي لم يزل ولايزال قائماً ظاهراً هو التأثير العربي الأندلسي في هذه المدينة وقد بقي شاهداً على أن العرب المسلمين قد كان لهم تأثير بالغ في أوروبا وربما كان من تأثيرهم تلك الصحوة في الشوق إلى الاكتشاف التي حدت بالإسبانيين إلى ارتياد هذه البلاد الأمريكية واكتشافها.

وإن كان هذا الشاهد على التأثير العربي في إسبانيا قد اختار لأداء تلك الشهادة هذا المكان البعيد النائي عن البلاد العربية والإسبانية معاً.

كانت أزقة الحي ضيقة لأنها كانت كافية لحاجات الناس في تلك الأيام التي كان التنقل فيها والركوب يقتصران على الحيوان ، وتطل عليها شرفات خشبية جميلة.

وأرض الأزقة والشوارع مفروشة بالحجارة مثلما هو موجود في بعض المدن الإسلامية القديمة وليست مبلطة بالإسفلت.

ونظراً لضيقها فإن تسيير المرور فيها كان يقوم به جنود من جنود المرور يقفون على مفارق الطريق ويشيرون إلي السيارات بأيديهم.

سوق الخضروات والسوق العام :

في جانب المدينة القديمة يقع سوق كبير لبيع الخضروات والفاكهة مما تنتجه هذه البلاد أو مما يجلب إليها من غيرها، واسمه : السوق العام.

وكان السوق مزدحماً بالناس وهو ضيق حتى كان الشارع الذي يمر به لا يكاد السائق يجد لسيارته طريقاً لأن بعض السيارات تقف لتفرغ حمولتها.

وقد رأينا الخضرات والفاكهة والبقول على اختلاف أنواعها متوفرة فيه بكثرة ملفتة للنظر.

ومن الأشياء الكثيرة فيه (الباباي) فاكهة البلاد الاستوائية الشائعة والليمون الصغير (البنزهير) ونوع آخر من الليمون في حجم البرتقال لين القشرة ولكنه حامض وهو مع حموضته حريف بحيث أنك تشعر وأنت تذوقه كأنما تذوق ليموناً قد غمس في فلفل أحمر شديد الحرارة وقد اشتريت منه على سبيل التجربة لغرابته ويبيعونه ٢٤ واحدة بدولار أمريكي. وثمرة الباباي الكبيرة بـ ٣٠ سنتيما أمريكياً أي ريال سعودي.

وفي السوق من الخضرات التي تكون عادة في البلاد المعتدلة الفلفل الأخضر والبقدونس والبصل الأخضر والجزر وهو عندهم هنا كثير جداً بل أحمال محملة.

وقد رأيت عدة أنواع من الخضرات لم أستطع معرفتها ولم يكن الوقت يسمح بذلك ولأنني أحمل آلة التصوير وبعض النقود وخشيت أن أتلبث أو أتأخر فيحصل لي شيء قد حذرني بعضهم منه وهو الانتهاب أو الاختلاس ولم يكن السائق الدليل معنا إذ ذهب بعيداً يلتمس لسيارته موقفاً.

وأما اللوبيا فإنه كثير ويبيعونه في الغالب حبوباً مكيلة بمكيال عندهم صغير وليس موزوناً بميزان. ويباع ما يساوي ملء الكوب الصغير منه بربع دولار

أمريكي.

وأما الطماطم فإنها كثيرة وإن تكن ليست في جودة الطماطم التي تكون في بلادنا.

ووجود الطماطم أو (البندورة) هنا مما يستحق أن ينوه به لأنها من النبات الذي وجده المكتشفون الأوربيون في أمريكا فأدخلوه إلى العالم القديم ولم يكن موجوداً فيه من قبل. فهي إذاً أمريكية المنشأ، عريقة في ذلك.

وهناك البطيخ الأخضر أو الجح وهذه كلمة عربية فصيحة لاتزال نستعملها في نجد أو الحبحب كما يسمى في الحجاز موجود هنا وكثير. وكذلك البطيخ الأصفر أو الخربز وهذه كلمة قديمة الاستعمال في اللغة العربية ممن استعملها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ونسميه في نجد الجرو وهي تسمية عربية فصيحة أيضًا.

ومن الفواكه الغريبة فيه مما لم أَرَ له مثيلاً في غيره ما يسمونه (تاميتو) وهو كالباذنجان إلا أنه صغير مدور يقولون إنه حلو المذاق وهناك النارنج أو ما يشبه الأترج الصغير في بلادنا ثم اليام الإفريقي وهو عروق ضخمة كالجذوع يستعمل غذاء واسعاً في إفريقية وبخاصة في الأقطار الإفريقية الغربية ويستخرج منه الدقيق ويصنع منه العصيدة ويفضله الإفريقيون على كثير من الأغذية الأخرى.

وأما الموز بأنواعه التي تطبخ طبخاً وهي الكبيرة الخضراء أو التي تؤكل أكلاً وهي الصفراء ما كان منها صغيراً وما كان كبيراً فهو كثير جداً لم أر مثيلاً لكثرته إلا في سوق زنجبار.

وأما الوان الناس هنا فأقلها البياض واللون الغالب هو السمرة القاتمة أو السواد وأما الأشكال في الوجوه فإنها مختلفة متباينة لأن بعضها مختلط غير متجانس.

ومن هذا السوق ذهب السائق إلى شارع الشاطىء أو الكورنيش الذي تمشينا في جزء منه أمس وقد قطع الشارع كله من أوله إلى آخره.

في المدينة الجديدة :

قال السائق: وهو يدفع بسيارته إلى الأمام في حي حديث: إننا الآن ندخل في (نيوبنما) أي: مدينة بنما الجديدة.

وقد دخلنا إليها من شارع الشاطىء.

أحد الفنادق الغالية في بنما

وربما يعجب القارىء الكريم من كثرة الأحياء في هذه المدينة التي هي عاصمة دولة لا يزيد سكانها على مليوني نسمة. وسيزول عجبه إذا عرف أن سكان العاصمة يبلغون في العدد مليون نسمة أي: يؤلفون نصف سكان الدولة.

وهذه الظاهرة التي هي كثرة السكان في العاصمة وقلتهم النسبية في الأقاليم موجودة في كثير من الدول الأمريكية الجنوبية مثل الأرجنتين، والإكوادور.

والقسم الحديث من المدينة جيد الشوارع، رائق المباني مزدان بالحدائق وأشجار الظل ومررنا في نهايته بمطار صغير قال السائق: إنه المطار الداخلي لداخل بنما وما قرب منها من الأقطار. وقد انقطع عنده شارع البحر فأصبحنا نسير بجانب شاطىء بحري مهمل غير بهيج المنظر.

حي نارجيل البحر:

هنالك نوع من النارجيل يسمى بالفرنسية (كوكو دي لامار) أي: نارجيل البحر وأول ما سمعت هذه التسمية بالفرنسية كان في جزر سيشل قبل أربع سنوات وهو يختلف عن النارجيل الشائع المعتاد في شجره من ناحية السموق وغلظ السوق، وفي ثمره من ناحية الشكل.

وقد تذكرت ذلك عندما قال لي السائق: إن اسم هذا الحي (كوكو دي المار) وهذه تسمية إسبانية ولكن اللغة الإسبانية شقيقة للفرنسية وان بعد ما بينهما من التشابه في بعض الأحيان ولم يتغير من هذه الجملة إلا أداة التعريف التي دخلت على اسم البحر المشترك بين اللغتين (مار) فهي بالفرنسية (لا) وبالإسبانية (إل) أي كالعربية في هذا الموقع.

وهو حي هادىء جيد.

إلا أنه أسلمنا بعد أن خرجنا منه إلى حي قديم متهدم بل الصحيح القول بأنه أطلال حي قديم إذْ ليس فيه أحد من السكان في الوقت الحاضر.

وقال السائق: إنه كان حياً من أحياء بنما المدينة القديمة ولكنه في الواقع منفصل عنها.

وجميعه مبني بالحجارة والجبس أو بالآجر مع الحجارة غير المهذبة وواقع

على شاطىء المحيط الهادىء.

ومن أظهر معالمه برج مؤلف من أربعة طوابق قد سقطت سقوفه وشيء من حيطانه العليا، وقد تلافوا سقوط باقيه بأن رمموا بعض أجزائه ترميماً غير متقن بحيث ظهر للنظر كأنه الرقع في الثوب.

وطريقة البناء في هذا الحي المتهدم ليست جيدة ولا متقنة فليست كالأبنية الجيدة في المدينة الإسبانية مثلاً، مما يدل على أنها قد تكون بنيت بأيدي أناس غير مهرة أو في وقت غير مستقر.

ومن أحسن ما عملوا فيها أنهم حولوها إلى منطقة أثرية وحولوا ما حولها إلى حدائق واسعة شاسعة فيأتي إليها الزائر المتفسح ويجلس على مقاعد فيها أعدت لذلك أو يستريح تحت ظلال الأشجار وهو يشاهد هذه الأطلال التي لا شك في أنها قديمة وإن لم تكن بالغة القدم.

وهنالك مقصف يقدم فيه الطعام والشراب مقام على هيئة كوخ إفريقي ضخم ذي سقف مخروط الشكل كأنه غطاء الطبق وليس له حوائط فهو يبدو على البعد كالمظلة السوداء الكبيرة. وقد صنعوه كله من الأخشاب والأعواد. شربنا القهوة فيه وهو على شاطىء المحيط الهادىء مباشرة لا يفصل بينهما شيء ولكن مياه المحيط كانت في حالة جزر في هذا الوقت الواقع قبل غروب الشمس بقليل وقد أبعدت عن الشاطىء فبدت أرضه سوداء كئيبة المنظر ذات صخور داكنة الألوان مثلها

وقد نمت في أماكن مرتفعة منها أشجار كئيبة أيضاً وهي نامية رغم كونها في مياه المحيط الهادىء ولا بد من التنويه في هذه البلاد باسم المحيط الذي يجاور الموضع لأنها محاطة بمحيطين اثنين هما الأطلسي والهادىء.

ومن أهم الأكلات فيه أكلات السمك وكيف لا يكون كذلك وهو واقع

مباشرة على المحيط الهادىء أكبر بحار العالم طرا ؟ .

وهو رخيص جداً إذْ كان ثمن جميع ما تناولناه وهو فنجانان من القهوة وكوب من الحليب غير الطازج دولاراً أمريكياً واحداً.

وعدنا إلى الفندق في السادسة. وكان السائق والدليل الودود (بابلو) يودعنا ويشكرنا بحرارة رغم أننا لم نزده على حقه إلا دولاراً واحداً بمثابة الحلوان (البخشيش).

ولكن هذه طبيعة القوم الذين تأمركوا أي: سكنوا هذه البلاد الأمريكية الجنوبية.

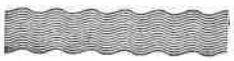

يوم الثلاثاء ١٤٠٢/٣/٢٤ هـ ١٩٨٢/١/١٨م :

كان عجبي لايزال يتجدد من سهولة أخلاق هؤلاء الأمريكيين الجنوبيين وبساطتهم في تعاملهم مع الآخرين وأعني بهم الأغلبية الذين ينحدرون من أصول أوروبية ومن أصول هندية أمريكية وهم يؤلفون أكثر من ٩٠٪ من سكانها.

فهم يحبون التعارف مع الغريب ويجاملونه، بل على الأدق يعاملونه معاملة كريمة. وذلك بأن المجاملة التي تعني مجرد التظاهر بحسن المعاملة بعيدة عنهم وإنما يكرمونك من كل قلوبهم. وقد كنا نلاقي منهم من ذلك عجباً.

وفي بعض الأجانب يكون في الأمر شيء من الإحراج إذا تعلق بالجنس الآخر إذْ كثيراً ما يحدث أن تلقي بتحية الصباح أو المساء إلى عاملة في الفندق أو نحوها فتسرع إلى السؤال عن الأحوال وعن استطلاع أخبار البلاد ثم لا تنسى أن تتحفك بما تظن أنه خاف عليك من أمرها أو أمر بلادها.

وكثيراً ما تكتب لك عنوانها وتطلب منك أن تراسلها وقد تتطلع هي إلى أن تتناول معك فنجانًا من القهوة أو نحوها في مشرب عام لا ترى هي في ذلك بأسًا ، ولا تجد في أن يراها الناس وهي كذلك حساسية .

وأما ما وراء ذلك من دعوة إلى مكان خاص فإن ذلك أمر ليست لنا به خبرة. ولكن ذوي الخبرة من المقيمين في البلاد أخبرونا أنهن لا يسرعن إلى ذلك وإنما تفعله قلة منهن يوجد أمثالها في أكثر البلدان على تفاوت بينها في

القلة والكثرة في ذلك.

ولو أحصيت الذين أعطوني عناوينهم لكان ذلك كثيراً وذلك لمجرد كوني عربياً من بلاد بعيدة يرغب الشخص من بلادهم في الاطلاع على أحوالها.

ومن الصعب على الشخص المجامل إذا أعطاه آخر عنوانه أن يرده إليه أو يقول لا أريده. ولكنه إذا لم يكن له فيه رغبة أخذه ثم مزقه، أو أهمله.

مغادرة بنما :

من تلك الأخلاق السهلة عندهم أن أهل الفندق الذي كنا نسكنه وهو فندق لوكس تجمعوا يودعوننا وداعاً حاراً رغم كوننا لم نقم عندهم إلا يومين.

وكان سائق سيارة الأجرة الودود (بابلو) قد جاء إلينا في الصباح محيياً وليعطينا علبة صغيرة نسيتها معه في السيارة أمس فطلبنا منه أن يحملنا إلى المطار.

ومن طريف صنعه أن رجلاً أمريكياً شاهدنا ونحن نستعد لمغادرة الفندق فقال: أتريدون الخروج للمطار؟ فقلنا نعم، فقال: إذًا أخرج معكم وأدفع نصيبي من الأجرة.

وكنا قد أخبرنا بابلو بأن يحملنا معه فلما وصلنا المطار أخذ من الأمريكي أجرته ٨ دولارات وحسمها من أجرة السيارة علينا وطلب منا أن ندفع ستة عشر دولاراً بدلاً من الأربعة والعشرين ولو كان غيره في أمكنة أخرى من العالم نعرفها نحن ونعرف أن بعض أهلها ينتمون إلى بني قومنا لكانت هذه فرصة للاستغلال، ولادعى أن الراكب الجديد وما دفعه من أجر من نصيبه وحده.

ومن الطريف أيضاً في موضوع هذا السائق أننا عندما انطلقنا إلى المطار

ظل يشرح لنا حال ما نمر به من أمكنة وكأننا كنا معه في جولة أمس التي ضمن لها خلالها أن يفعل ذلك.

فكان مما شرحه قوله: إن هذه الأبنية التي مررنا بها هي لجامعة حكومية لا تأخذ أجراً على الدراسة.

ومن المناظر اللطيفة في الطريق منظر تمثال لسلحفاة كبيرة تتوسط حديقة صغيرة وقد وضعوه هنا لأنه مستوحى من بيئتهم البحرية، ومنظر منزل على هيئة الدارة (الفيلا) ولكن صاحبه قد بناه على صفة سفينة جعل سقفه ذا مداخن وأبراج كما يكون للسفينة وذلك أيضاً نابع من تأثير بيئتهم البحرية عليهم.

ومن شواهد حسن معاملتهم للغريب أننا عندما انتهينا من مكاتب الترحيل في المطار وقبل الدخول إلى قاعة المغادرة رأينا عدة أشخاص يبحثون عنا ومعهم السائق بابلو وقالوا: إن الفندق اتصل بنا وذكر أنكم قد نسيتم فيه شيئاً وقال أحدهم: لقد نسيتم شيئاً هاماً ثم اتصلوا بمدير الفندق على الهاتف وطلب مني أن أكلمه فقال: إنك قد نسيت في غرفتك مفتاح حقيبتك وخشية من أن يسبب ذلك لك مشقة أو إزعاجاً أحببت الاتصال بك لإخبارك بذلك حتى تنتظر قبل الدخول إلى قاعة المغادرة ونرسله لك إلى المطار.

فشكرته كثيراً على ذلك وقلت له: إن معي مفتاحاً آخر بمثابة الاحتياط أستطيع استعماله.

وكنت أخرجت مفتاحاً زائداً للحقيبة القديمة التي تركتها في بوغوتا وأعطيتها كاتبة الفندق مع أحد مفتاحيها وأردت أن ألقي به لأنه لا حاجة بي إليه، ولكن خشيت أن يسبب وجوده ارتباكاً، وقد سبب ذلك الارتباك بالفعل إذْ نسيته فكان أن اضطرب أهل الفندق إذْ أحضرته خادمة الغرفة إلى مكتب الاستقبال فزعة فيما قالوا، وكنت قد منحتها حلواناً (بخشيشاً) مع كلمة

طيبة لها وقع المعروف عندهم ـ و«الكلمة الطيبة صدقة» كما في الحديث.

وكاتبة الاستقبال ذهبت به إلى المدير كلهم يبغون لي عدم الإزعاج ـ ولو كان في بعض البلاد التي نعرفها لما اهتموا بذلك ولقال أمثلهم طريقة: دعوه فذنبه على جنبه.

أما أنا فلم أشأ أن أقول لهم: إن هذا المفتاح ليس له قيمة وهم قد احتفلوا به هذا الاحتفال وإنما قلت وأنا صادق: إن معي لحقيبتي مفتاحاً آخر يكفي عنه.

وعند الدخول إلى قاعة السفر كان هناك ثلاثة موظفين فوق مكاتب قد صفت صفاً أولهم امرأة بيضاء وآخرهم رجل ملون مختلط وهم ينظر أحدهم إلى جواز المسافر ثم يلقي به إلى من بعده بعد أن يكتب فيه ما يخصه، وآخرهم يتسلم ضريبة المغادرة أو رسم مغادرة المطار وقدرها هنا عشرة دولارات أمريكية.

وكان الموظف الذي في مكتب الترحيل قد سألني عما إذا كنت أعمل في هذه البلاد؟ لأن الذي يحمل جواز سفر سياسياً ويعمل في بنما يعفى من الضريبة بخلاف غيره ممن يحملون جوازات سياسية فأخبرته بالحقيقة ونقدته عشرة دولارات أمريكية.

وأخذنا نتمشى في قاعة المغادرة وهي مستطيلة تغص بالبضائع المستوردة من جميع الأنواع وذلك لأن عملتهم لا تعاني من فتح باب الاستيراد لأنها مساوية للدولار الأمريكي ومرتبطة به وبوابات الخروج إلى الطائرات متعددة ومنظمة مثلما يكون في المطارات الكبيرة رغم صغر المطار صغراً نسبياً.

معلومات عامة عن بنما

جولة في ماضي بنما :

إذا ما خرجت للنزهة أو للمشتريات في مدينة بنما ودخلت إلى ممر سنترال أفينيو فستجد نفسك في منطقة سان فيليب المعروفة أيضاً باسم كاسكو فييجو حيث تعود بك المناظر إلى ثلاثة قرون مضت وهذا هو المكان الذي نشأت منه المدينة الحديثة التي تقع على مقدمة شبه جزيرة خليج بنما.

وهي مدينة بنما أو (بناستي) وكاسكوفييجو كانت المرحلة الثانية في تاريخ بنما بعد أن تم نقل مقر بنما القديمة إلى مقرها الحالي بعد أن دمرها كلية القرصان هنري مورجان عام ١٦٧١ م.

وإذا ما نظرت بتأمل فسترى التقدم الذي طرأ على البلد منذ أن كانت ولاية تابعة للتاج الإسباني في نويفا جرينادا أي جرينادا الجديدة ثم مقاطعة تابعة لجمهورية كولومبيا إلى أن انفصلت عنها عام ١٩٠٣ م وأصبحت بالتالي جمهورية مستقلة.

وكان الإسبانيون قد أقاموا المستوطنات الإسبانية في الخليج على شواطىء المحيط الأطلسي في كاستيلا دي أورو ونومبر دي ديوس وبورتو بيللو. وقد عبر فاسكو نوتزوي بالبوا هذا الخليج عام ١٥١٣ م وعندما وقف على هضبة في منطقة داريين رأى لأول مرة المحيط وأطلق عليه اسم بحر الجنوب. ثم أبحر في مياهه واعتبر جميع الأراضي التي تطل على البحر تابعة لملوك إسبانيا.

بعد ذلك بفترة وجيزة جاء بيدرو آرياس دي أفيلا المكتشف الإسباني واغتال بالبوا وأصبح الزعيم بلا منازع لكاستيلو دي أورو. وعُرف أيضاً باسم بدراریاس دافيلا وفكر في إنشاء مدينة على شاطىء المحيط الهادىء بميناء يصلح قاعدة للأراضي التي اعتزم غزوها وفي عام ١٥١٩ م (١٥ أغسطس)

تأسست أول مدينة بنمية وخلال القرن ونصف التالي أصبحت من أهم مدن العالم الجديد وبلغ عدد سكانها ١٠ ٠٠٠ نسمة ومن أهم المراكز التجارية الإسبانية وأطلق عليها اسم «مدينة الذهب».

ثم رأت السلطات تشييد مدينة جديدة أخرى خلال حكم الملكة ماريانا النمساوية بجوار هضبة انكون يحيط بها سور عظيم وأبراج للمدافع مطلة على البحر والأرض وقد نقلت المدينة إلى مقرها الجديد يوم ٢١ يناير ١٦٧٣ م.

شارع ضيق في القسم القديم
من مدينة بنما

تسميتها :

بعد دراسة عميقة عن أصلها توصل المثقفون إلى أن كلمة بنما كلمة هندية أمريكية. تعني «كثرة الأسماك» وأي سائح يمكنه ملاحظة ذلك من اطلاعه على قائمة طعام أي مطعم أو حتى من مشاهدة أسطول صيد الأسماك في خليجها الهلالي الشكل. كما تقدم المدينة خدماتها طيلة الـ ٢٤ ساعة يومياً.

السكان :

عرفت بنما بأنها خليط من الأجناس وتعيش منسجمة مع بعضها وإن كان كل منها يحتفظ بطابعه الخاص وتقاليده. ومن تلك الأجناس :

الكريول بمعنى المختلطين سلالة خليط من الإسبانيين والبنميين وهم فخورون بأصلهم تماماً مثل المستوطنين البريطانيين الذين يطلق عليهم اسم انكليز.

والميستيزيون وهم أيضاً خليط من الهنود الأمريكيين يعتبر أكبر المجموعات في أمريكا اللاتينية.

الزنوج : وهم الذين تعاقد اسلافهم مع الشركة البريطانية للهند الغربية لحفر القناة وقد جاؤا من جزائر الهند الغربية الواقعة في البحر الكاريبي.

وتجد في شارع تجاري مثل سنترال أفينيو الهنود الأمريكيين والزنوج من سلالة عبيد تحرروا أو من العبيد الهاربين من العبودية (سيمارون) كما توجد متاجر لأهل كوستاريكا، ومرشداً في قناة بنما، وهناك يابانيون من أصحاب البنوك، وتجار من أوروبا الوسطى والبعض منهم قد لجأ إلى بنما هرباً من ظلم النازية، وبحارة من فرنسا يرتدون قبعات تعلوها كرة صوفية حمراء اللون، وطواقم سفن بملابس قصيرة ورقيقة تلائم هذا الجو الإستوائي. وهذا الخليط من الجنسيات هو ما جعل بنما فريدة في نوعها.

بنما السياحية :

شيدت الفنادق والمباني والمنازل الخ ... وانتشرت بصورة تفوق الحركة العمرانية في بعض عواصم أمريكا اللاتينية التي تعد أضخم منها.

وفيها عدة جزر منها جزر اللؤلؤ، سان بلاس، تابوجا، كويبا، بوكاس ديل تورو وكل منها تختلف عن الأخرى جمالاً وسحراً.

ولو عاد كريستوفر كولومبس لوجد هذه الجزر كما كانت عليه يوم اكتشفها من حيث الطبيعة الخلابة.

ومدينة بنما يطلق عليها اسم «ملتقى طرق العالم» بسبب كثافة عدد الذين يمرون بها والذين ينتظرون بها مما يعطيها طابعاً دولياً فريداً في نوعه.

وعدد سكانها حوالي المليون نسمة.

المنـاخ :

يعتبر مناخ (بنما) مناخاً استوائياً على وجه العموم لأنها تقع غير بعيدة من خط الاستواء غير أن مناظر البلاد متعددة كمظاهر أهلها فمن الأدغال التي تغذيها الأمطار الغزيرة إلى الهضاب والأودية الناتجة عن براكين قد خمدت والقمم الجبلية التي قد يصل ارتفاع بعضها سبعة آلاف قدم.

وتبلغ (بنما) عرضاً يتراوح ما بين خمسين ومائة وعشرين ميلاً وتطل على ساحل البحر الكاريبي المتصل بالمحيط الأطلسي مسافة ٤٧٧ ميلاً وعلى المحيط الهادىء مسافة ٧٦٧ ميلاً.

والطقس حار ورطب في أغلب أيام السنة ويتحسن ليلاً أثناء فصل الجفاف الذي يكون في الفترة من ديسمبر إلى مايو، كما تتساقط الأمطار بنسبة كبيرة خلال الشهور الأخرى من السنة ومن النادر عدم ظهور الشمس يومياً.

أما العملة النقدية فهي البالبووا ولها نفس قيمة الدولار.

قناة بنما :

قناة بنما ذلك المرفق المائي الهام دخل مرحلة جديدة في تاريخه في أول أكتوبر ١٩٧٩ م عندما تقرر أن يعاد إلى جمهورية بنما بناء على معاهدات جديدة وقعها كل من الرئيس السابق للبلاد الجنرال عمر توريجوس هريرا

والرئيس الأمريكي جيمي كارتر .

والتعديلات المنتظرة للقناة تحتاج إلى عشرين سنة من العمل ومنتظر الانتهاء منها خلال عام ٢٠٠٠ م . وقناة بنما وقد بلغت من العمر ٧٥ عامًا تعتبر من عجائب العالم الهندسية . ومع المستوى الحضاري الحالي ترى سفينة تسير وسط صخور ضخمة ثم تمر بمستنقعات الأمطار . وإذا ما وضع في عين الإعتبار تكنولوجيا حفر القناة في أوائل هذا القرن فالأمر يعتبر عملاً باهرًا كما تقدم .

المسلمون في بنما

المسلمـون في بنمـــا :

تقع دولة بنما بين كولومبيا في الجنوب وكوستاريكا في الشمال ويحيط بها المحيطان الاطلسي من جهة الشرق والهاديء من الغرب .

وعاصمتها بنما سيتي أي مدينة بنما . وعدد سكانها نحو مليوني نسمة . والديانة السائدة فيها هي المسيحية ، والمسلمون في بنما يبلغ عددهم نحو مائتين وخمسين أسرة .. وينقسمون إلى قسمين رئيسيين :

١ ـ المسلمون من أهالي بنما .. وهم قليلون يقدرون بنحو من خمسين نسمة وأكثرهم يقيمون في مدينة كولون وقليل منهم في المدينة الحديثة .

٢ ـ المسلمون المهاجرون إلى بنما وهم مجموعة من التجار أكثرهم من أهل الهند ولبنان وهم يقدرون بنحو مائتي أسرة يسكن غالب الهنود منهم في العاصمة .. ويسكن اللبنانيون في مدينة كولون .

ولا يوجد من السفارات الإسلامية والعربية حسب علمنا إلا السفارة الليبية والسفارة المصرية .

والذي يلفت النظر أن التعاون بين المسلمين الهنود والمسلمين اللبنانيين منعدم بل إن الجالية الهندية منقسمة فيما بينها إلى قسمين .. وأما التعاون بين أهل البلاد وكلا الطائفتين فهو قليل .

ويقيم المسلمون الهنود صلاة الجماعة والجمعة والتراويح في رمضان وكذلك صلاة العيدين في غرفة في الدور الأول من بناء في وسط المدينة قرب السوق وهو يتوسط مساكن الجالية الهندية استأجرتها الجمعية ، وأعدتها لتكون

مسجدًا لها زودته بصنابير للوضوء كما أنه مكيف الهواء يتسع لنحو مائة وعشرين مصليًا . وإمام المسجد السيد/أحمد كاسو .

ومجلس إدارة الجمعية يتكون من خمسة أشخاص يرأسهم السيد/محمود بانا واسم الجمعية «الجمعية الإسلامية السنية» وهي امتداد لجمعية سابقة انشأها جماعة من التجار الهنود حوالي سنة ١٩٣٠ م وكان كل أعضائها من مسلمي البنغال الذين قدموا إلى بنما آنذاك للتجارة .

وبعد وفاة غالب المؤسسين لهذه الجمعية جددت الجمعية بالأسم السالف في عام ١٩٦٤ م وكل أعضائها من مسلمي الهند من منطقة كوجرات .

ولدى الجمعية تصريح رسمي لممارسة شعائرهم الدينية وأعضاؤها على مذهب الإمام أبي حنيفة ولهم صلة بجماعة التبليغ إذ أنهم عقب صلاة التراويح يقرأون في بعض كتبهم كدرس عام .

ومما يؤسف له أن المسلمين المنتسبين لهذه الجمعية قد جرى بينهم اختلاف أدى إلى تفرقهم وانقسامهم إلى قسمين ، وسبب الخلاف هو أنه كان يصلي بهم الحافظ إسماعيل صلاة التراويح في شهر رمضان وأن الجماعة كانوا قد طلبوا منه أن يختم القرآن بهم في الصلاة ليلة السابع والعشرين من رمضان .. لكنه ختمه في الليلة السادسة والعشرين فدار ثمة لغط استخف بعضهم إلى النيل من الإمام بل محاولة الاعتداء عليه بالضرب لتوهمهم بأن الذي لا يجوز غيره هو ختم القرآن ليلة السابع والعشرين .

وبناء على هذا انقسم الناس إلى قسمين طائفة انحازت إلى الإمام فأكملوا صلاة تلك الليلة وباقي أيام رمضان وأقاموا صلاة العيد في مكان آخر .

وقد قال رئيس الجماعة المنفصلة بأن هذا قد حدث فعلاً ، وانهم منذ أن شرعوا يقيمون صلاة التراويح وهم يختمون القران ليلة السابع والعشرين .. بل

إن هذا الحكم موجود في مؤلفات مشايخهم وهم تلقوه من معلميهم .

وهكذا اتسع الخلاف في هذه المسألة الفرعية الجزئية لأن صلاة التراويح هي من نافلة العبادة . والذي عليه العمل في هذه الأيام أن المصلين في الحرمين الشريفين يختمون القرآن ليلة التاسع والعشرين وليلة السابع والعشرين ، وهذا كله لم يخطر على بال أحدهم في التفكير في الاختلاف ، فضلاً عن أن يؤدي إلى التفرقة بين المسلمين . ثم بلغنا أنه بعد هذا الخلاف تسامح المسلمون واعتذروا إلى الإمام وزال الخلاف بينهم ولم يبق له أثر .

وقد انشأت الجمعية مدرسة لتعليم أبناء المسلمين المقيمين في بنما مبادىء الإسلام وتحفيظهم بعض سور القرآن الكريم والدراسة في هذه المدرسة باللغتين الأردوية والإسبانية .

أما في مجال الدعوة الإسلامية فهي تكاد تقتصر على أعضاء الجالية الهندية المنتمين للجمعية .. إذ الهدف الأول لديهم هو المحافظة على تمسك المسلمين بدينهم . وذلك لقصور إمكاناتهم العلمية والمالية عن دعوة غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام .

وأما عن مشاريع الجمعية . فقد قال رئيس الجمعية إنهم قائمون على بناء مسجد جامع ، فقد اشترت الجمعية قطعة أرض عام ١٩٧٦ م مساحتها ١٨٩ م^{٢} (١٣,٥×١٤م) بمبلغ ١٧ ألف دولار جمعت تبرعات منهم وتقع الأرض في وسط المدينة وهي قريبة من السوق إلا أنها تقع على شارع واحد عرضه نحو عشرة أمتار وقد قامت الجمعية باستخراج رخصة بناء لها وأعدت المخططات المطلوبة ومشروع البناء يتكون من ثلاث طوابق : الطابق الأرضي عبارة عن المدخل وأماكن للوضوء ولغسل الموتى ، والدور الأول خصص للمسجد ، أما الدور الثالث فقد خصص جزء منه لاقامة الإمام .

وقال رئيس الجمعية إن تكاليف المشروع تقدر بمائة وعشرين ألف دولار

أمريكي ، لم تتمكن الجمعية من جمع هذا المبلغ .

طلبات الجمعيـــة :

١ ـ مساعدة الجمعية لتتمكن من تحقيق إقامة مشروع المسجد الجامع والمرافق التابعة له .

٢ ـ تزويد الجمعية بمجموعة من الكتب الإسلامية والتعليمية باللغتين الأردية والإسبانية .

الجمعية الإسلامية في بنما :

هذا هو اسم الجمعية التي انفصلت عن الجمعية الأولى . وقد تأسست عقب الخلاف الذي أشير إليه فيما سبق بين الجالية الهندية في أواخر شهر رمضان عام ١٣٩٨ هـ وحصلت على ترخيص رسمي من الحكومة البنمية في ٢٨ مايو عام ١٩٧٩ م .. ولها مسجد هو قاعة بمرفقاتها تقع في الدور الأول من عمارة كبيرة في حي لا يبعد كثيرًا عن وسط المدينة .

حاجات المسلمين في بنمـا :

(أ) الكتب التي تعرِّف بالدين الإسلامي باللغتين الأردوية والإسبانية ، وكذلك احتياجهم إلى نسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإسبانية .

(ب) طلب إمام المسجد خاصة بعض الكتب المتعلقة بخطب الجمعة والخطب المنبرية باللغة العربية .

(جـ) وجود مقبرة خاصة بالمسلمين حيث لا توجد في مدينة بنما سيتي مقبرة تخص المسلمين وكانت الجمعية الإسلامية السنية قد اشترت مساحة صغيرة تتسع لعدد من القبور ضمن المقبرة العامة النصرانية وتفكر جادة في شراء أرض خاصة تجعلها مقبرة للمسلمين وإن الجمعية ترغب في اعانتها على هذا المشروع

من المملكة العربية السعودية ..

وهناك عدد من المسلمين اللبنانيين في منطقة كولون كما تقدم يبلغ عددهم نحو ٣٥ أسرة كلهم من أهل الجنوب السنيين .

أبرز الشخصيات :

١ ـ عبد الرشيد عبد الغفور وهو مسلم جديد كبير السن (حوالي ٦٠) ولكنه كثير الحركة وهو محترم بين الشعب وله انشطة إسلامية كثيرة جدًا .

٢ ـ علي عبد الله بيخو الهندي هاجر هناك مع عائلته منذ زمن قريب وله أنشطة إسلامية بين الشعب حيث أنه قد تعلم اللغة الإسبانية .

٣ ـ خليفة غاليمور وهو مسلم جديد في كولون وقد دعا أمه وأخته وأخويه إلى الإسلام واستجابوا جميعًا وله اخلاص بالغ .

ويحتاجون إلى مدرس وإمام يقوم بتعليم المسلمين وابنائهم أمور دينهم كما يساهم في تعليم العلوم الدينية في المدارس غير الإسلامية التي يلتحق بها أبناء المسلمين ويقـوم بإمامتهم في الصلوات وعقد انكحتهم ووعظهم وارشادهم وكل ما يتطلبه مجتمعهم مما لا يقوم به غير المتخصصين .

وارسال كتب دراسية لتعليم اللغة العربية للإستفادة منها في تعليم أبناء المسلمين اللبنانيين اللغة العربية .

وتوجد جماعة ممن يقيمون في مدينة كولون من أهل البلاد المسلمين منهم من دخلوا في الإسلام حديثًا عددهم يتزايد وهناك طلاب يدرسون في جامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض وجامعة الملك عبدالعزيز في جدة من مسلمي بنما يعطون دروسًا دينية للمسلمين في الإجازة الصيفية .

وهناك محاضرات عامة للجميع وندوات تطرح فيها اسئلة ومناقشات وقد كان لذلك أثر في دخول عدد لابأس به في الإسلام ، مثل عائلة مكونة من أربعة أفراد ـ أم وابنة وابنين ـ دخلوا في الإسلام .

إلى كوستاريكا

يوم الثلاثاء ١٤٠٢/٣/٢٤ هـ ١٩٨٢/١/١٨ م

من بنما إلى سان خوزيه :

ركبنا طائرة الخطوط الجوية الكوستاريكية المسماة اختصارًا (لاكسا) وهي من طراز بوينج ٧٢٧ كلها ذات درجة سياحية متقاربة المقاعد .

وذلك من باب دهليز متحرك في المطار يفضي إلى باب الطائرة .

وكان الركاب في أغلبهم من السمر الذين يشبهون أهل اللون العربي وبعضهم شديد السمرة إلى حد أن يشبه الهنود الآسويين وليس فيهم من ذوي اللون الأسود من سكان بنما أو جزر البحر الكاريبي المجاورة أحد .

وغادرت الطائرة مطار بنما في الساعة الثانية عشرة والثلث ظهرًا بعد أن أعلن مكبر الصوت فيها أن المسافة ستستغرق خمسا وخميس دقيقة . أي حوالي الساعة طبقًا لما قال موظف المكتب من أننا سنغادر بنما في الساعة الثانية عشرة ظهرًا ونصل إلى كوستاريكا في نفس الوقت وهو الثانية عشرة ظهرًا وذلك بأن الفرق في التوقيت بين المدينتين هو ساعة واحدة وهي مدة الطيران .

وعندما حلقت الطائرة في الجو كان المنظر تحتها منظر الأراضي الخضراء التي جزء منها مزروع ونهر يتلوى بينها حتى يصب في المحيط فتختلط مياهه بمياهه وتبدو في المياه البحرية الضحلة قرب الشاطيء ذي الرمال البيضاء حمراء اللون تفصل بين أرض خضراء ومياه محيط أزرق .

وقد تمتعت هذه المرة بمنظر القناة إذْ أبصرتها من يمين الطائرة بخلاف الوصول إلى بنما عندما لم أستطع رؤيتها .

بدت القناة من الجو أقل استقامة وأكثر متسعات مائية أو قل : بحيرات مائية شاهدت السفن تعبرها وقد غص ممراها بها .

وقرب البحر غابات ومستنقعات ربما كانت هي التي تسبب الأمراض ومنها حمى الملاريا . وبعدها صارت الطائرة فوق أرض أمريكا الوسطى قرب الساحل وقد اتخذت وضع الاتجاه الصحيح إلى مدينة سان خوزيه عاصمة كوستاريكا وهو جهة الشمال .

ثم غابت اليابسة عن الأنظار وأوغلت الطائرة في جواء المحيط الاطلسي .

وقد كان الوقت وقت غداء ولم نتناول شيئًا قبل الصعود إلى الطائرة فكنا بحاجة إلى غداء الطائرة إلا أنني كنت مشفقًا من أن يأتوا بالطعام مخلوطًا بلحم الخنزير كما يفعل سائر أهل أمريكا الجنوبية في طائراتهم حتى في غير وقت الإفطار .

ولما جاؤا بالطعام كان الطبق الرئيسي فيه من أعجب ضيافة رأيتها فلم يقدموا خبزًا ولا بطاطس ولا أرزًا أو بقولاً وإنما الطبق الرئيسي عدة طبقات أو عدة أشياء بعضها فوق بعض فأسفله شريحة حمراء من لحم الخنزير كأنها الجرح المنفتح في الجسم فوقها شريحة من جبن أصفر حسن المنظر إلا أن مجاورته للحم الخنزير قد أذهبت حسنه ، وفوق الجبن شريحة لحم بيضاء لا أدري ما هي إلا أن تكون من لحم دجاج أو ديك رومي قد عالجوه حتى صار يبدو كالشريحة وفوقه لحم آخر أظنه من سمك التونة وفوق ذلك كله فخذ دجاجة كبير سمين .

وقد تركته من أجل خلطه في الطبق بلحم الخنزير ولأن منظر لحم الخنزير في الطبق يعتبر صادًا لي عن الأكل ولو لم يختلط به .

وقبل الوصول بقليل مرت الطائرة من خلال قمم الجبال السوداء العالية التي قصر السحاب عن بلوغ قممها فذكرني منظرها بجبل كلمينجارو في شرق إفريقية في كونه يعجز السحاب عن بلوغ قمته وإن لم تبلغ مبلغه من الارتفاع .

وقد اشفقت على الطائرة وهي تمر فوق السحاب من بين تلك القمم لا تكاد ترتفع عنها إلا قليلاً .

وكان منظر قمم تلك الجبال يبدو أجرد ولما نزلت الطائرة إلى ما تحت السحاب بانت سفوحها وأسافلها خضرًا شديدة الخضرة وذلك أن المطر الذي يصيب أسافل تلك الجبال لا يستطيع أن يصل أعالي أعاليها .

وقد اضطربت الطائرة فوقها لفترة من الوقت .

ثم تجاوزناها إلى أرض خضراء مزروعة بزراعات حقلية منسقة وفيها محلات ، أو مجموعات صغيرة من البيوت شبه متصلة ذات سقوف حمر ، وأكثر تلك المنازل ما بني على طريق مزفلت مما يدل على أن المنطقة ريفية زراعية .

إلا أنها ليست في سهول متسعة منبسطة وإنما هي في تلال متطامنة قد زرعوا سفوحها وظهورها .

في مطار سان خوزيه :

بعد أن أمضت الطائرة ساعة وعشرين دقيقة حطت في مطار في ريف أخضر لم نرَ منه المدينة ولا شيئًا من ضواحيها .

وعندما اطلع ضابط الجوازات على جوازي أخذ يقلبه متعجبًا من كون أوله من اليمين وآخره إلى اليسار ووقف يضحك من صورتي في الجواز وعليّ الملابس العربية وجعل يريه موظفًا آخر بجانبه وهما يتبادلان العجب سألني عما إذا كان معي شيء من النقود السعودية الصغيرة من باب التذكار فاعتذرت عن ذلك فاعطاني جوازي مرحبًا .

وعند مفتشة الجمرك كان الأمر أسهل اذْ رأت ظهر الجواز سياسيًا فأذنت بالمرور دون تفتيش .

ومن طريف ما فعلوه أن ساحة تفتيش الحقائب في أسفل بناء المطار ولذلك لابد لمن ينتهي منها أن يركب مع امتعته درجًا كهربائيًا متحركًا يرفعه إلى الطابق الأرضي وهذا على ما فيه من احتمال المشقة في الصعود بالأمتعة فيما لو تعطل الدرج الكهربائي مفيد جدًا لأنه لا يستطيع أحد أن يهرب من ضباط التفتيش بسهولة .

مع أنك إذا أكملت صعود الدرج الكهربائي أو أكمل هو بك الصعود فإنك واجد رجلاً واقفًا يفتش على ايصالات الحقائب يتفقدها ليرى ما إذا كان أحد قد أخذ حقيبة ليست له . ومن هناك تغادر مبنى المطار .

والمطار بمكاتبه وممراته جميل منسق بل بديع لا يفرق بينه وبين المطارات الفاخرة العالمية إلا صغر مساحته .

وكنا قد حجزنا من مكتب للفنادق في المطار غرفتين في فندق أوروبا في قلب العاصمة أخبرنا المكتب أن الفندق من الدرجة الأولى وأن أجر الغرف فيه ما بين ثمانية وعشرين إلى ثمانية وثلاثين دولارًا حسب حال الغرفة .

فركبنا سيارة أجرة بخمسة دولارات أمريكية إلى الفندق مع أن المسافة بينهما تبلغ ستة عشر كيلاً وهذه الأجرة للسيارة كلها وليست للراكب الواحد لا سيما بعد سيارة الأجرة التي نقلتنا من مطار بنما إلى داخل المدينة بسبعة دولارات لكل راكب .

وقد تبين أن الرخص في الأسعار عام في كوستاريكا وليس خاصًا بأجر سيارات الأجرة .

انطلقت السيارة مع طريق ريفي جيد الزفلتة ، لا ترى في هذا الريف بيوتًا للسكنى أو أية منشآت أخرى . وإنما هي الخضرة البديعة التي يقل أن تجد لها نظيرًا .

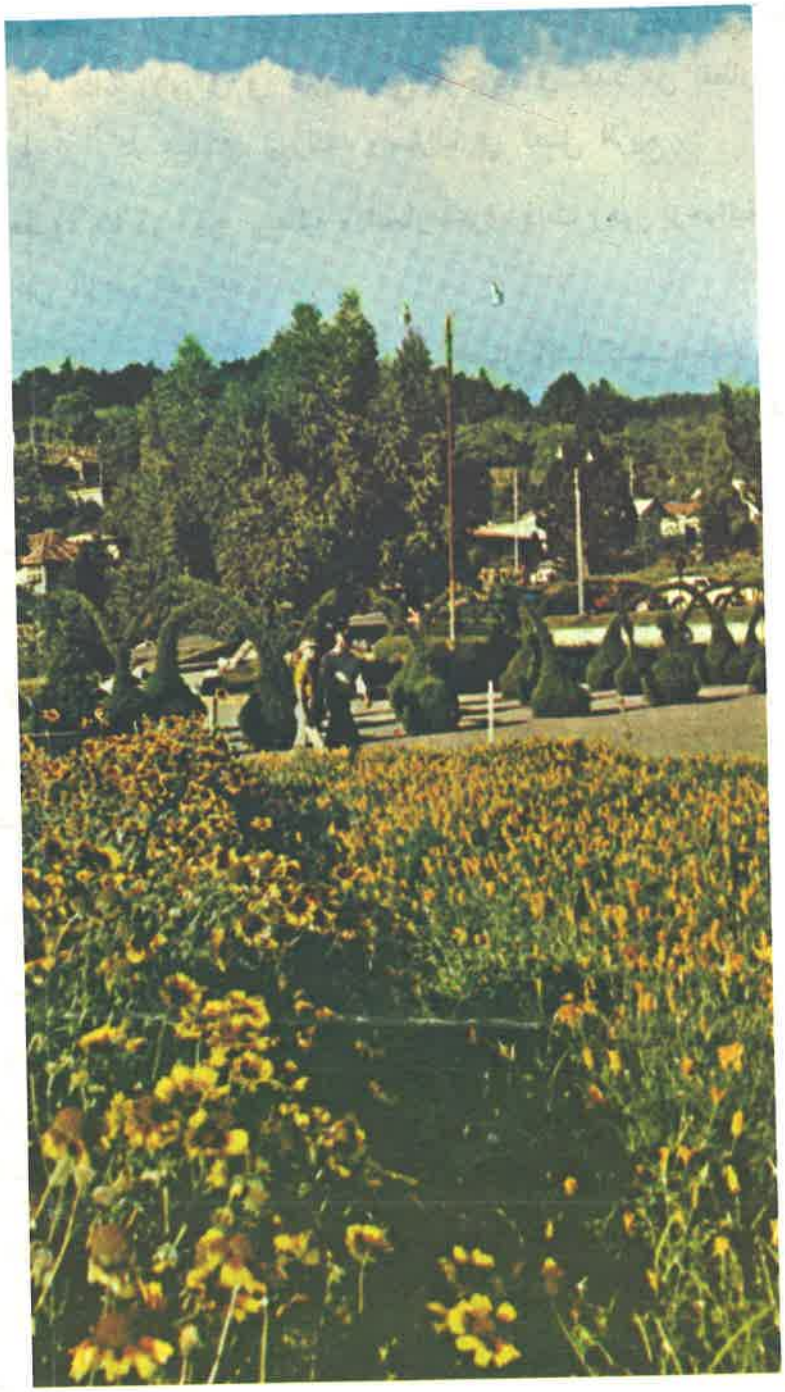

ریف کوستاریکـا

وقد وشحت الريف الجميل أشجار كبيرة من أشجار الزهور التي تكون الزهور فيها بمثابة الأوراق في غيرها وهي موجودة في عدد من أقطار العالم ولكني لم أَرَ أكثر منها في نيوزلندا واستراليا في فصل الربيع .

وبعضها هنا ذو زهور برتقالية وأشجار أخرى ذات زهور أرجوانية اللون فضلاً عن الزهور الوردية .

وتنتشر الربى غير العالية في هذا الريف الجميل وقد اكتست حلـلاً خضرًا قد رصعتها الزهور ، وتأتي بعدها أماكن متطامنة قليلاً فتتدرج الخضرة الجميلة فيها تدرجًا رائعًا .

أما الطريق فإنه قد اعترضه طريق آخر ولكنهم أقاموا عليه جسرًا للسيارات المعترضة .

ثم مررنا بمزارع فيها موز رغم أن الجو معتدل وليس بالحار .

ومر الطريق بمنطقة من الأعشاب والحشائش الكثيفة تعطي صورة لخصب الأرض ووفرة الأمطار والأندية فيها .

في مدينة سان خوزيه :

معنى اسمها (القديس يوسف) فسان هي سانت بمعنى قديس وخوزيه هو جوزيه انقلبت جيمه خاء في أفواه الإسبان ومن ينطقون بالإسبانية لأنهم ينطقون الجيم في مثل هذه الاسماء خاءً . وجوزيه هي جوزيف كما في بعض اللغات وهي التي أصلها الفصيح في لغتنا (يوسف) .

و(القديس يوسف) بهذا اللفظ العربي له أشياء منسوبة إليه مثل (جامعة القديس يوسف) في بيروت و(سان خوزيه) عاصمة دولة كوستاريكا هذه التي معنى اسمها بالإسبانية : الساحل الغني .

وعندما دخلنا المدينة لفت نظرنا أن أغلب أبنية المنازل فيها مطلي بالطلاء

الأبيض كان هذا في الجزء الذي دخلناه منها في أول الأمر .

والشارع الذي دخلنا منه اسمه (كولون) وهو يذكرنا بالأحياء القديمة التي تسمى كولون في عواصم امريكا الجنوبية وغالبًا ما تكون الأبنية في تلك الأحياء مطلية بالطلاء الأبيض .

ونزلنا في (فندق أوروبا) بثمانية وعشرين دولارًا للغرفة المخصصة للشخص الواحد .

واجهة فندق أوربا في سان خوزيه

ومستواه مستوى فنادق الدرجة الأولى غير الفاخرة . ويقع في قلب المدينة التجاري .

وصرفنا دولارات أمريكية كل دولار بواحد وأربعين كولونًا من عملتهم .

ولم أكد انتهي من وضع حقائبي في الغرفة حتى خرجت أطلق لقدمي المجال ولتفكيري العنان فالمقصود هو مجرد المشي والجولة فيما قرب من الفندق من هذه العاصمة النائية عن بلادنا .

وكانت أول فكرة طرأت على خاطري عندما شاهدت الناس والمدينة هي أننا قد رجعنا بالفعل إلى أمريكا الجنوبية بجوها وجمالها ونسائها ورجالها . وكأنما كنا في غربة عنها في بنما أو قل كأنما كنا في حلم نقلنا فيه إلى بلاد إستوائية في إفريقية أو في البحر الكاريبي ، فالسكان هنا لونهم الغالب هو لون العرب الشماليين وهو اللون الغالب على اللاتنيين المهاجرين إلى امريكا الجنوبية .

وفيهم قليل جدًا من السمر الذين سمرتهم مثل سمرة اليمانيين . وأما السود فإنهم غير موجودين إلا ما ندر منهم وهذا بعكس الأمر في بنما كما تقدم .

أما المدينة فإنها ليست بالغة الفخامة مثل (سان باولو) في البرازيل مثلاً أو بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين .

وإذا أردنا التمثيل بمدينة تقاربها في الحجم ذكرنا كيتو عاصمة الإكوادور وهي تكاد تماثلها في المظهر فالمرافق العامة فيها مما شاهدته اليوم جيدة ولكنها ليست بالغة الجودة .

والشيء الجيد فيها الذي عرفناه من قبل أنه لا يوجد فيها أماكن واطئة أو منخفضة المستوى كما يكون في بعض المدن الكبيرة .

وقد دخلت في وسط المدينة فرأيتهم استغربوا مظهري مع أن لوني ليس غريبًا في ألوانهم ولكن تبين أن مصدر الاستغراب هي لحيتي التي يقل مثيلها في وجوههم إلى جانب جهلي باللغة الإسبانية وجهلهم المطلق بالإنكليزية مما جعل التفاهم معهم على الغداء المطلوب صعبًا مع أنني احفظ من الإسبانية كلمات كافية للمطعم مثل الشوربة (سوبا) والشواء (ستيكا) والسلطة الخضراء (سالادا مكستا) غير أن هذه الأشياء كانت غير موجودة بسبب تأخر وقت الغداء والاستعاضة بغيرها أمر صعب بسبب الجهل باللغة .

ومع ذلك كان بعضهم يعصر ذهنه يحاول أن يجد فيه كلمات من الإنكليزية يساعدني بها .

والمأكولات عندهم مثل سائر الأشياء رخيصة ولم يكن في المطعم مراوح ولا مكيفات للهواء لأن الجو معتدل لا يشعر المرء بأنه يريد فيه زيادة في الدفء أو البرودة ، وهو خالٍ من الرطوبة الثقيلة الموجودة في بنما .

وهذا أمر طبيعي لأن (سان خوزيه) هذه بعيدة عن ساحل البحر وهي أيضًا مرتفعة ارتفاعًا مناسبًا يبلغ الفا ومائة متر عن سطح البحر .

وقد رأيت في هذا المطعم الذي هو من المطاعم الشعبية أشياء لا تكون في المطاعم الراقية . من ذلك أن ماسح الأحذية دخل المطعم وجعل يعرض عليَّ أن يمسح حذائي وأنا آكل . وقل مثل ذلك في بائع الصحف .

وأما باعة أوراق اليانصيب الذي عرضوا عليَّ بعض أوراقهم مع كلمات منهم بالإسبانية لا أدري معناها فإنهم كثر ، وبعضهم يلح في ذلك موضحًا بلغته أشياء لا أعرف منها شيئًا بطبيعة الحال ولا ينصرفون عني إلا بعد أن يتعب رأسي من الإيماء به يمينًا وشمالاً علامة النفي تساعده في ذلك يدي فإذا لم تكف يد واحدة انضمت إليها الأخرى تساعده على ايضاح إشارة النفي القاطع في الرغبة .

ومن أغرب ما حدث أن دخل صبي نظيف الثياب والمظهر فوقف على مائدتي وأنا آكل وطلب قطعة من اللحم فلما اعطيته إياها انحنى شاكرًا وذهب بها يأكلها خارج المطعم .

ولم يقل أهل المطعم شيئًا كما لم أَرَ لعمله مستنكرًا رغم أن القوم نظيفو الثياب صحيحو الأبدان جيدو التغذية فيما يظهر من حالهم . وبلادهم مستواها الاقتصادي بالنسبة لدول أمريكا الوسطى جيد .

جولة بعد العصر :

بعد الغداء عدت إلى الفندق ثم استأنفت الجولة على قدمي بعد العصر فعدت إلى السير في أسواق البيع والشراء .

ومن الأشياء الملفتة للنظر جدًا كثرة باعة أوراق (اليانصيب) عندهم بعضها يبيعه أناس قد اعتدنا على رؤيتهم يبيعونها في عدة بلدان مثل الصبيان والنساء وبعضها يبيعه رجال أشداء أقوياء يمكن أن يقوموا بأعمال أهم من بيع أوراق (اليانصيب) في البلدان الأخرى .

ولكن الشيء الذي شد انتباهي أن بعض الباعة كانوا من العميان وقد رأيت في منطقة صغيرة أربعة من العميان في أماكن متفرقة ومعهم أوراق (اليانصيب) يبيعونها . فهل يدل هذا على نسبة مرتفعة في عدد المكفوفين عندهم ؟ أم إنه يدل على امتهان المكفوفين هذه المهنة في هذه البلاد أكثر من سواهم في البلاد الأخرى .

وتصرفات الناس في الطرقات والأسواق مهذبة جدًا فهم في هذا الأمر أرقى من أهل الشرق الأوسط . ومن أمثلة ذلك انني رأيت صفًا طويلاً ينتظرون الحافلة فلما جاءت ركبوا بهدوء الأول فالأول لم يحاول أحد منهم أن يسبق الذي قبله .

وصلت في مشيي إلى حديقة من قلب المدينة التجاري اسمها : الحديقة المركزية (باركو سنترال) وليست واسعة إلا أن أهميتها تأتي في كونها في مكان يعج بالحركة من قلب المدينة التجاري .

وقد هيؤها لتكون لاستراحة الجمهور ومن ذلك أن وضعوا فيها مقاعد حجرية أو اسمنتية كثيرة خضراء اللون على لون الأشجار الباسقة فيها .

جلست قليلاً على أحد هذه المقاعد استريح من المشي واتفرج برؤية الناس الذين تسر رؤيتهم النظر لأنهم ما بين ذي مظهر نظيف أو وجه جميل ، أو طفل بريء ، وما من أحد منهم يؤذيك أو حتى ينظر إليك نظرات فضول لا تحبها اللهم إلا ماسح الأحذية فقد كدر صفو الجلسة بعض الوقت لأنه ظل يكرر عرضه مسح الحذاء وأكرر الرفض .

ركن من حديقة سنترال في سان خوزيه

ولكنه عندما انصرف عني وقد كدرني إلحاحه ، انطلق صبي نظيف في حدود الرابعة من عمره فترك أمه وهي امرأة شابة جميلة أنيقة اللباس كانت تستريح على أحد المقاعد مع طفلها فجاء إليَّ وكان ينظر إليَّ قبل ذلك .

وقد استقبلته استقبالاً يليق بطفولته من الابتسام ومسح الرأس والمجاملة ، فكان أن بقي لدي فترة وأمه تنظر وتبتسم إلا أنها خافت من أن أكون مللته فجاءت لتأخذه وهي تتمتم بكلمات من الاسبانية لا أعرفها ولو كنت أعرف لغتها لاخبرتها بأنني مسرور بوجود هذا الطفل وانه ذكرني بابنتي الصغيرة (مي) التي لا يزيد عمرها على عمره كثيرًا .

ثم ذهبت إلى ركن آخر فرأيت المقاعد غاصة بالجالسين وأكثرهم ممن اضناهم التسوق ، أو تعبوا من المشي . فجلسوا فيها طلبًا للراحة ومنهم رجال

ذووا مظهر حسن ونساء وأطفال .

ونساء هذه البلاد كنساء سائر أمريكا الجنوبية لا يستحين من الأجانب وعلى أكثرهن طلاوة . وفي وجوههن نضارة. وعلى ثغورهن ابتسامات كثيراً ما تكون حاضرة والابتسامات إذا كانت صادرة من قلوب غير معقدة صارت حلوة.

ومن العجب أن أكثرهن لم يؤثر فيهن هذا الجو الشبيه بالاستوائي من حيث الموقع. والسبب في ذلك هو ارتفاع المنطقة، وبعدها عن البحر مما يجعل هواءها جافاً وحتى إذا كان ندياً فإنه لا يكون ثقيلاً كثقل رطوبة هواء البحر .

وفي وسط هذه الحديقة قبة على شكل الخيمة التي ليس لها حيطان وهي مرتفعة عن أرض الحديقة يصعد إليها بدرج ولا كراسي فيها وإنما يجلس فيها أو على درجها من يعشقون الجلوس على الأرض.

وقد دارت مع دوران القبة لوحات كبيرة للإعلانات كانت فيها قوائم طويلة بأسماء الناخبين وأصواتهم وذلك بمناسبة انتخابات واسعة جرت في بلادهم قبل أيام قليلة.

رأيت الناس من رجال ونساء يقفون على تلك اللوحات يتفقدون فيها أسماءهم وما كتب عن أصواتهم حتى يطمئنوا إلى سلامة ذلك.

وينزل إلى طابق أسفل من القبة درج نزلت فيه للاستطلاع فرأيت فيه عجباً من عنايتهم. إذْ رأيت المكان واسعاً فيه موائد عديدة صغيرة، ومسرح ومكتبة مصورة وألعاب صغيرة للتسلية، فسألت موظفة فيه عما إذا كان هذا مقصفاً أو نحوه فأجابت بإنكليزية ضعيفة سبقتها ولحقتها ابتسامة لطيفة: إن هذا مكان لتسلية الأطفال خاص بهم: يأتي من يريد من الناس بأطفاله إلى هنا فيسلمه للمسئولة ويذهب لقضاء حاجته التي لا تحتاج إلى وقت طويل من السوق ثم يعود فيجد طفله مسروراً يلعب في جو من التسلية، والعناية من

المسئولة وهي امرأة.

ولا أدري ما إذا كان ذلك بنقود أم هو مجاني وظني أنه بنقود لأن عدد الأطفال فيه قليل جداً هذا إذا لم يكن السبب أنه مقفل لأمر من الأمور.

وتحيط بالحديقة أبنية جيدة ولكنها غير شاهقة. وكنيسة بيضاء الطلاء ذات طراز عربي أندلسي مطعم بشيء من الطراز الروماني وبناء أبيض ذو طراز عربي خالص يسمى (سنترال أمريكا) في أسفله حوانيت كبيرة ومكاتب لشركات الطيران ونحوها والحقيقة أنها مكان جيد جداً للاستراحة من التعب أكثر منها حديقة للنبات والأشجار وما أحوج مدننا إلى وجود أمثالها تكون في قلب المدينة التجاري المزدحم ملجأ للمتعبين، واستراحة للمنتظرين.

وأشجار الحديقة الباسقة بأشجار البلاد الحارة أشبه منها بأشجار البلاد المعتدلة مع أنه ليس عندهم فصول مختلفة كالتي تكون في بلادنا والبلاد البعيدة عن خط الاستواء ولا يأتي إليهم حر يشتكى منه في العاصمة والأماكن المرتفعة مثلها.

وكنت أتطلع في الوجوه أبحث عن الهنود هنا والمراد بهم الهنود الأمريكيون وأما الهنود الآسيويون فغير موجودين فوجدت أنهم هنا قلة ضئيلة مع أن المفروض أن المنطقة كانت منطقتهم قبل وصول الأوروبيين إليها.

والهندي الأمريكي الموجود في هذه المنطقة لا يخفي مظهره على المتأمل فهو قصير القامة قصير فقار الظهر بالنسبة إلى سائر الجسم قصير الرقبة ذو لون أسمر معتدل.

وللمختلطين ما بين الهنود الأمريكيين والأوروبيين هيئة أخرى طابعها الجمال والطلاوة مع امتلاء الأجسام وإشراق البشرة التي تكون في الغالب خمرية، وتتميز نساء هذه الفئة ببروز ظاهر في الصدور.

في مقهى كوستاريكي :

دخلت مع رفيقي الرائد عبدالله العريني مقصفاً قريباً من الحديقة على ناصية شارعين هامين في هذا الوسط التجاري.

فوجدناهم قد قصروا الخدمة فيه على فتيات جميلات قد ألبسوهن زياً خاصاً وحتى مظهرهن خاص، فالكحل الأسود العربي أو الشبيه بالعربي يزين العيون.

وجاءت إحداهن تسعى وهي تستفسر وقد طلبنا الحليب فلم يعجزنا أن نتذكر اسمه وإنما أعجزنا أن نذكر وصفه بأنه الحليب الحار.

وبعد لأي من التعبير ومحاولة التفسير. فهمت فجاءت به في كوب من الورق لا يستعمل إلا لمرة واحدة ومعه السكر في أكياس ورقية معتادة وطلبت قيمة ذلك كله أربعة كولونات أي : عُشر دولار أمريكي أو بالتعبير العامي ١٠ ٪ من الدولار ويساوي ذلك أقل من نصف ريال سعودي. ما أرخصه إذا الجلسة في هذا المقصف نفسها تستحق أكثر من ذلك.

وقد لاحظت بعد ذلك أن طائفة من نسائهم يضعن الكحل في أعينهن كما تفعل الأعرابيات.

وهم كباقي أقطار أمريكا الجنوبية في كثرة استخدام النساء وبخاصة في ميدان الخدمات العامة كالمطاعم والمتاجر وعلى ذكر متاجرهم أقول إنها مليئة بالسلع وأكثرها سلع جيدة أكثر جودة ـ على وجه العموم ـ من السلع التي رأيناها في متاجر العاصمة الكولومبية (بوغوتا) وذلك لكون البلاد غير يسارية والتجارة فيها حرة.

والرخص في الأسعار عام شامل.

والسيارات موجودة بكثرة في الشوارع مثل بنما وأكثر من بوغوتا. والمرور فيها منظم أكثر من بوغوتا فالناس يحترمون إشارات المرور، ولا يمرون إلا إذا كانت الإشارة تعطيهم ذلك وقد وضعوا إشارات عبور المشاة الملونة في أرض الشوارع وحتى الأزقة الضيقة كما في أكثر الدول الأوروبية لذلك لا يتضايق المرء من كثرة السيارات مادام أن المشرفين على المرور قد وضعوا في اعتبارهم حق الماشي في الطريق مثل ما وضعوا في اعتبارهم ذلك حق السيارة.

وأما حالة الأمن فإنها جيدة إذْ لا تسمح نصائح الاحتراس من الإنتهاب أو الاختلاس ولا ترى مظاهر التشديد على ذلك في الفنادق.

ولقد تمشينا هذه الليلة في الأسواق وتعشينا في مطعم بعيد نوعاً ما عن الفندق وجئنا نسير على أقدامنا فلم نلاحظ إلا الأمن.

وأما الطعام فإنه رخيص جداً ، إذ الوجبة الجيدة لا تزيد على مائة كولون التي تساوي دولارين ونصفا.

مع أن وجباتهم سخية وأطباقهم كبيرة ممتلئة مما لو وزعت وجبتهم ثلاث وجبات في بنما المجاورة لهم مما يقدم في المطاعم فيها لكفتها.

يوم الأربعاء ١٤٠٢/٣/٢٥ هـ ١٩٨٢/١/١٩م :

تناولنا طعام الإفطار في الفندق اليوم وكان كثير الكم، جيد النوع فيه عصير البرتقال والحليب الطازج الوفير والشاي إلى جانب الخبز والمربى والزبد بثمانية وعشرين كولوناً ويساوي ذلك أكثر قليلاً من نصف دولار أو ريالين سعوديين مع أنه في مطعم فاخر في فندق أوربا هذا .

وهذا مثال آخر على رخص الأسعار عندهم.

وقد رأينا الفواكه مع باعة على بعض الأرصفة البعيدة من الحركة وهي رخيصة جداً إضافة إلى كونها كثيرة متنوعة ويكفي أن تعرف أنني اشتريت البرتقالة الواحدة الكبيرة من بائعة جنته من شجره وجلبته ربما من سَحَره بكولونٍ واحد، والكولون أقل من القرشين، ولم أرد شراء أكثر من خمس برتقالات بخمس كولونات.

وعلى هذا يكون الدولار الأمريكي بإحدى وأربعين ثمرة من ثمار البرتقال وهي أقل قليلاً من ثلاثة ريالات سعودية ونصف، مع أنني أظن أن تلك لا يقل وزنها عن خمسة كيلات .

وقد مضى معظم الضحى من هذا اليوم في التردد على مكاتب شركات الطيران ووكالات السفر وبعضها قال: إنه لا يستطيع أن يحجز لنا إلا بإذن من الشركة الوطنية (لاكسا) وكنا نريد أن نسافر مع غيرها من باب التجربة، كما أن سفري ورفيقي الرائد عبدالله العريني سيكون مختلفاً إذْ سأسافر أنا من كوستاريكا إلى لوس أنجلوس في غرب الولايات المتحدة مروراً بمطار مكسيكو عاصمة

المكسيك ومن لوس أنجلوس إلى هونولولو فالفلبين فبانكوك عاصمة تايلاند .

وأما هو فإنه يريد أن يتوقف في المكسيك مدة قصيرة يسافر بعدها إلى هونولولو عن طريق لوس أنجلوس ثم إلى طوكيو فسيول فبانكوك وتواعدت معه على اللقاء هناك بعد عشرة أيام من الغد موعد سفرنا معاً من سان خوزيه.

سان خوزيه جنة السائح :

كان التردد على مكاتب شركات الطيران كله على الأقدام لأن قلب المدينة الذي فيه تلك المكاتب متقارب غير متباعد إضافة إلى أن مدينة سان خوزيه نفسها ليست كبيرة إذْ لا يزيد عدد السكان فيها على ستمائة ألف نسمة. أما سكان الدولة كلها فإن عددهم حوالي مليوني نسمة.

منظر من الجو لمدينة سان خوزيه

وهذا التردد أتاح لنا فرصة لأن نكون في أذهاننا فكرة عن هذه المدينة وأهلها.

فكانت الفكرة عن أهلها قد تقدم ذكر بعضها وتأخر ذكر بعضها إلى هنا وهي أنهم قوم مؤدبون مهذبون جيدو التعامل مع غيرهم.

وبلادهم جميلة إذا لم تر فيها منظراً جميلاً فإنك آمن من أن يصطدم بصرك بمنظر غير جميل سواء من الأناسي أو الأشياء الأخرى.

وإذا أعجزك أن تجد الجمال في الحدائق والأبنية ولن يعجزك ذلك فإنك واجده بدون شك في الوجوه الصبيحة.

وما دام الأمر في الحديث عن ذلك فلنذكر ملاحظة صغيرة لاحظها أحدنا على نساء هذه البلاد لأنه لم تطل إقامتنا لنعرف ما وراء المظاهر. وهي أن أكثرهن قد يكن من غير المتزوجات لأن أصابعهن تخلو من خاتم الزواج الذي يحرص كثير منهن كما في أكثر البلدان الغربية وغيرها على تثبيته في أصابع المتزوجين والمتزوجات .

وقلة الزواج في مجتمع مفتوح قد خرجت فيه المرأة عن التقاليد التي تحد من خروجها ودخولها ومحادثتها الرجال الأجانب أمر معقول، لأن جزءاً من رغبة الرجل في المرأة يمكنه أن يدركه بدون زواج إضافة إلى أن الثقة التي يثق بها الرجل في المرأة في البلاد ذات الحجاب مفقودة أيضاً فلماذا يكون الزواج عندهم؟.

ومن المظاهر الإنسانية عندهم أنهم قد خرموا أطراف الأرصفة عند مفارق الأزقة والشوارع أو عند التوائها وذلك حتى يتيحوا الفرصة للذي يتعبه النزول من الرصيف مباشرة لكي ينزل وهو مرتاح وكذلك للذي يجر معه شيئاً ثقيلاً أو يدفعه أمامه. ومن ذلك الأمهات اللائي يدفعن أطفالهن على عربات أمامهن.

والحاصل أن (كوستاريكا) تعتبر جنة للسائح لأنه يجد فيها الأمان والرخص وحسن المعاملة وجمال المناظر وجل ما يبتغيه السائح ذلك.

سياحة في مدينة سان خوزيه :

وكانت مع إحدى شركات الجولات السياحية بدأت في الثانية والنصف ظهراً حيث اخذنا من الفندق سائق شاب يعرف الانكليزية جيداً متمرن على إرشاد السياح إلى ما يريدون معرفته فحملنا في حافلة صغيرة تتسع لثمانية أشخاص، لم يكن فيها معنا أنا ورفيقي الرائد العريقي أحد. قال السائق من دون أن نسأله: اسمي (هنريكا) فقلنا: ليكن ذلك ولا مانع لدينا من أن يكون غير ذلك.

وكان بحق دليلاً جيداً ليس فيه من عيب إلّا محبته للإسراع في السياقة وان كان ذلك إسراع الماهر الخبير بالطرق والأزقة التي يسلكها.

وقد سألته عن أصله لأنه كان ذا مظهر أوروبي خالص فأجاب: إنه كوستاريكي، فقلت له: إنني أعرف ذلك ولكني أريد أن أعرف إلى أي جنس أو بلد كان ينتمي أجدادك قبل وصولهم إلى كوستاريكا. فأجاب. نحن لا نبالي بذلك أنا كوستاريكي فقط وهذا يكفي ـ إلا أنه قال: إن أكثر السكان أوربيو الأصول.

بدأت الجولة بغرب العاصمة. فكانت أولاً في حي شعبي يسمى (بتاجا) نظيف مسفلت الشوارع شوارعه الرئيسية والكبيرة مشجرة، وأكثر بيوته من طابق واحد أو طابقين حسنة المظهر رغم التنويه بأنه حي شعبي التي يراد بها أنه حي غير فاخر ولا يسكنه الأغنياء.

ومنه خرجنا إلى حي آخر ملاصق له من جهة الغرب اسمه (سافانا) من أهم معالمه حديقة واسعة جداً فيه قسم خاص للأطفال قد أعدوه لذلك.

وغرب تلك الحديقة مباشرة يقع الملعب الرياضي وهو ملعب ذو شهرة عالمية اكتسبها من قوة فريق كوستاريكا لكرة القدم، وهو مستدير الشكل لم ندخله.

ومن مظاهر ذلك أنه ستقام في هذا الملعب الليلة مباراة عالمية بين فريق تشيكوسلوفاكيا لكرة القدم وفريق كوستاريكا.

وقد رأيت بعد ذلك الناس حين نقل هذه المباراة من الإذاعة وهم يحملون أجهزة الاستماع الإذاعي يتابعون سير المباراة باهتمام ، والمعلق يعلق على اللعب بصوت مرتفع جدًا وبتأثر ظاهر.

حي الأغنيـاء :

ثم جال السائق في حي اسمه (روموسي) قال: إنه حي الأغنياء بيوته على هيئة دارات (فيلـلات) متوسطة الحجم ولكنها غارقة في الجنات التي تزينها أنواع مختلفة الألوان من الزهور يجمع بينها المنظر الأنيق، والتنسيق البهيج.

ويمتاز هذا الحي بالهدوء والتشجير المنسق في جميع شوارعه ونظافة الطلاء في بيوته.

وقال الدليل: إن متوسط قيمة الدارة (الفيلـلا) فيه هو خمسون ألف دولار أمريكي. وذلك مبلغ زهيد بالنسبة إلى البيوت فيه غير أن الرخص هو طابع الحياة في هذه المدينة كما تقدم.

وخلف هذا الحي الأنيق جبل أخضر صغير جميل المنظر أيضاً اسمه (لاتروز) يقع إلى الجنوب الغربي منه.

ومن الملفت للنظر أنه توجد في حدائق بعض البيوت في هذا الحي أشجار من أشجار البلاد الباردة وأخرى من أشجار البلاد المعتدلة. رغم كونها في منطقة استوائية والسبب في ذلك ارتفاع موقعها وبرودة جوها تبعاً لذلك.

ثم ركبنا مع طريق قال السائق: إن اسمه طريق الباسفيك لأنه ينطلق إلى المحيط الهاديء.

ومما يجدر ذكره أن كوستاريكا لها شواطىء على المحيطين الهاديء والأطلسي.

وكانت الشمس ساطعة في هذا اليوم وفي أشعتها حرارة نعرفها منها في المناطق الاستوائية والقريبة من خط الاستواء ولا يخفف من تلك الحرارة إلا ارتفاع الموقع أو كثرة هطول الأمطار. ومع ذلك كان الهواء بارداً بسبب الارتفاع.

وقد مررنا بضاحية في طرف المدينة من جهة الغرب فيها أماكن من الفراغ أكثرها مفروش بالحشائش والأعشاب الخضراء وقد وضعوا فيها الأراجيح للأطفال ليلعبوا ويتأرجحوا فيها ما شاؤوا.

ثم عدنا من غرب المدينة مخترقين قلبها فمررنا على متحف الفن الوطني ولم نقف عليه، وأشار الدليل إلى مدرسة بجانب المتحف قال: إنها مدرسة ثانوية وحرص على التنويه بذلك.

ثم دخل شارعاً رئيسياً من شوارع العاصمة اسمه (كولومبس بوليفارد) أي: شارع كولومبس والمراد به كريستوفر كولومبس مكتشف أمريكا. وأول رجل غربي وصل إلى هذه البلاد.

والشارع يشق أغلب المدينة وربما كان أكثر ما عليه المطاعم إذْ فيه مطاعم منسوبة لأمم مختلفة مثل المطعم الصيني والياباني الخ.

وعليه مستشفى حكومي كبير للأطفال جيد المظهر وعندما قرب الشارع من وسط المدينة كثرت المتاجر على جانبيه بعد أن كان أكثر ما عليه المنازل.

ثم مر بحديقة قال: إن اسمها حديقة (مرسي) بجانبها كنيسة كاثوليكية

قلب مدينة سان خوزيه التجاري

مشرفة.

ووقف السائق عند فندق كبير اسمه (قران هوتيل) أي: الفندق الكبير ونوه بقدمه وذلك ظاهر لنا من طرازه العربي الأندلسي ومن طلاءه الأبيض الذي هو الغالب على الأبنية ذات الطراز العربي الأندلسي في أمريكا الجنوبية.

ثم وقف بعد ذلك عند مكتب للسياحة تتبعه هذه السيارة وتقاضى أجرة الجولة وقدرها (٤٨٠) كولونا ويعادل ذلك اثني عشر دولاراً أمريكياً.

واستأنف الجولة على سيارة صغيرة من سيارات الركوب إذْ لا داعي للحافلة ما دمنا اثنين فسار مسرعاً بل طار أو كاد يطير بسيارته كأنما هو هارب من شيء أو طالب شيء يخاف فوته فجاس خلال حي هناك اسمه (لامن) وهو

حي معتاد ليس لبيوته طابع خاص وليس فيه ما يميزه عن غيره أو يجعله يستحق الزيارة. إلا أن طلاء بيوته في الأغلب هو البياض.

وكان الدليل السائق يواصل ثرثرته لأنه أحس أنني لا أكرهها بل أرغب في المزيد منها إلا أنه وصل فيها إلى الحديث عن أشياء لم نسأله عنها لأنها من الأشياء التي إن تبد لك تسوءك. ومنها قوله: إنه دليل سياحي بمعنى الكلمة فهو مستعد لأن يدل السياح على كل شيء.

وقال: إنني رجل متزوج ولي طفل ولذلك لا أعرف غير امرأتي غير أن ذلك لا يمنعني من تقديم الخدمات للسياح.

حي السفـارات :

ليست السفارات منحصرة في حي بعينه في هذه المدينة بل إن من أهمها السفارة الأمريكية وهي واقعة في الوسط التجاري في المدينة غير بعيدة من فندق أوروبا الذي نسكن فيه.

ولكننا مررنا بحي اسمه (جوسس) فيه بعض السفارات الأجنبية ومنها السفارة الإيطالية، وأكثر بيوت هذا الحي دارات متوسطة المستوى والحدائق فيها غير شاملة، إلا أنها إذا وجدت فيه حديقة فإنك لا بد أن ترى فيها بعض الزهور.

وقد وقف بنا عند متجر صغير للمجوهرات والأحجار الكريمة مثلما فعل زميل له أمريكي في بلاد أمريكية أخرى هي (سان باولو) أكبر مدينة في البرازيل.

وكان المقصود من الوقوف عرض المجوهرات والمصوغات من القلائد والأساور والأقراط وحتى الأحجار الكريمة الصغيرة وحدها التي لا يعرف جودتها إلا الخبراء.

ومَنْ أولى ـ في نظرهم ـ من أن تعرض عليه هذه الأشياء من سياح أجانب يفترض أنهم جاؤوا معهم بنقود كثيرة يريدون إنفاقها وأنهم سينفقون بعض تلك الأموال في شراء الهدايا للأقارب والأحباب؟.

لا سيما إذا كان أولئك السياح من العرب الذين اشتهروا عند الأجانب بكثرة المال وقلة الحكمة في تدبيره.

غير أننا خيبنا ظنهم في ذلك وخرجنا من هذا المحل سليمي الجيوب بعد أن عرفنا أن أكثر ما عرضوه يوجد مثيله أو أحسن منه في بلادنا بسعر مثله أو أحسن منه للمشتري ولله الحمد.

المسرح الوطني :

أوقف الدليل سيارته عند بناء لا يبدو كبيراً من الخارج غير أننا عندما دخلناه تغير رأينا في سعته.

قال: هذا هو المسرح الوطني وما كان بحاجة أن يقول لنا ذلك لأن اسمه مكتوب عليه بالأسبانية (تياترو نازونالا).

أما الذي كنا بحاجة إلى أن يقوله لنا فهو ما أضافه بأنه بني في عام ١٨٩٧م.

ودخلنا إليه فرأيناه ذا سقف عال مطلي بالذهب الحقيقي تدور على وسطه تحت السقف أربع طبقات من الشرفات الواسعة الفاخرة.

وهو على شكل مستدير قد أسرفوا في تزيين داخله باللوحات الفنية الثمنية وأشكال الرسوم البديعة .

وحلوا درجه ومداخله بتماثيل مرمرية متعددة من بينها تمثال على هيئة رجل معه عصا قد رفعها وفوق ذلك العصا شمعة تتقد قد صنعوها من الكهرباء

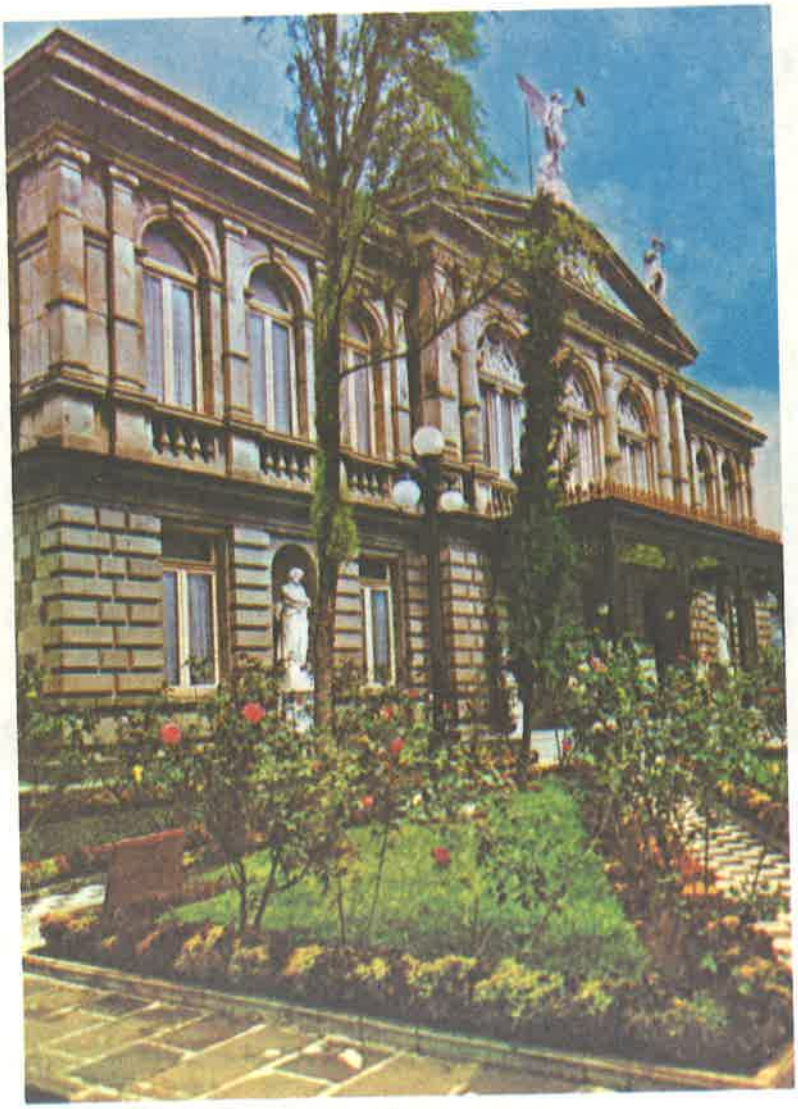

منظر خارجي للمسرح الوطني في سان خوزيه

ولكن بشكل يوحي للناظر إليها لأول وهلة أنها شمعة حقيقية مشتعلة.

وعندما كنا نتجول فيه ونطل من شرفاته على قاعة المتفرجين الرئيسية ونرفع رؤوسنا أحياناً إلى سقفه البديع كنت أشعر بجماله الأخاذ وأقول في نفسي: إن الجمال لا وطن له ولا مذهب يتمذهب به فنحن لا نرى التماثيل ولا نحفل بهذه

داخل المسرح الوطني في سان خوزيه

الرسو م الآدمية بل نكره منها ما كان يمثل العري وإبراز المفاتن الجسدية ولو كان ذلك لغرض إظهار المهارة الفنية أو لإشباع الحس الفني في النفوس الشاعرة. ومع ذلك بهرني جمال الصنعة فيه، ورونق الفن الذي أبرزوه.. والصنعة المتقنة في ذلك أمر معجب مطرب.

جامعة سان خوزيه :

خرج السائق بالسيارة جهة شرق المدينة وهي الجهة المعاكسة من حيث الاتجاه لبداية الجولة في غربها فمر بنا على جامعة سان خوزيه وأخذ يشير إلى كلياتها قائلاً: هذه كلية الميكانيكا وتلك كلية الهندسة وهذه كليات التربية والصيدلة والموسيقى والفنون الجميلة والطب والزراعة. وتتبع هذه الكلية

جامعة سان خوزيه

حديقة زراعية جيدة وكلية لطب الأسنان.

ويبلغ عدد طلاب الجامعة ٣٦ ألفاً وهي حكومية مجانية التعليم كما قال لنا.

ومظهر الجامعة جيد، في داخلها شوارع مسفلتة كما يكون في المدن لولا أنها غير واسعة، وقد شجرت شوارعها وباحاتها كلها بأشجار مهذبة.

والحقيقة أنها جامعة ذات مظهر مشرف بالنسبة إلى هذه الدولة الصغيرة من دول أمريكا الوسطى التي لا يعرفها كثير من الناس في البلاد العربية بل في العالم وهي صغيرة بحيث لا يزيد عدد سكانها على مليونين إلا قليلاً. إضافة إلى أن مواردها من الثروة محدودة.

حي دالوبي و(قواريا).

ومنها انطلقنا إلى حي شعبي اسمه (دالوبي) وهو حي غير جيد بيوته متوسطة المظهر من أهم معالمه حديقة اسمها (باركو دالوبي) أي حديقة دالوبي بجانبها كنيسة اسمها كنيسة دالوبي.

وسرنا مع شارعه العام متاجره صغيرة غير عامرة بالسلع، وسكانه نظيفو الثياب والأبدان، بيض الألوان إلا ما ندر من ذوي اللون الأسمر.

والأطفال الذين شاهدناهم فيه قليلو العدد إلا أنهم في غاية من النظافة وحسن المظهر، وبخاصة من الناحية الصحية.

ثم ذهبنا إلى حي (قواريا) أو (لاقواريا) بالتعريف وهو حي جميل ذو حدائق تزدان بالزهور البديعة الألوان.

بيوته كلها دارات (فيلات) نظيفة يغلب على لونها البياض إلا السقوف فإنها حمر، ورأيت في إحدى حدائق البيوت فيه نباتاً من نباتات الزينة يشبه شكله شكل نبات الذرة إلا أن أوراقه كلها حمر قانية الاحمرار.

وفي حدائق أخرى أشجار من الأشجار التي تنمو في العادة في البلاد الباردة.

وأخيراً أوقفنا السيارة عند محل كتب عليه أنه مصنع الجلود ويريدون به أنه لبيع المصنوعات اليدوية من الجلد.

عندما دخلناه وتفقدنا ما فيه عرفت أنني لم أر في أي بلد من البلدان التي زرتها أرخص منه إلا ما كان قبل عشر سنوات حين كانت الأسعار غير الأسعار الحالية.

ومن ذلك أنني اشتريت منه منفاخاً كان مما يستعمل مثله لإشعال النار في التدفئة وصنع القهوة عندنا في القديم، وعجبت من وجوده بارزاً هنا لا يختلف

عما كان يصنع ويستعمل في بلادنا بشيء ثم إبرازه في مكان ظاهر مما يدل على أن الذين يقصدون هذا المتجر يرغبون في شرائه مع أنهم ليس فيهم من البلاد العربية أحد كما أخبرونا.

وهو جيد الصنعة اشتريت منه واحداً بمائتين وأربعين كولوناً، أي: بستة دولارات أميركية كما اشتريت تحفة خشبية مما يعلق في الجدران وكنت قد جمعت في منزلي في الرياض عدة نماذج مثلها مختارة من أنحاء العالم بستين كولونا أي: دولار أمريكي ونصف أو: خمسة ريالات سعودية تقريباً.

وأما الرسوم ونحوها فإنها كثيرة ورخيصة ولذلك لم نستطع أنا ورفيقي الرائد عبدالله العريني مقاومة الرغبة في الشراء من هذه الأشياء الرخيصة الجميلة فاشترينا منها ما خف حمله بما خف على جيوبنا.

زخرفة العربات التي تجرها الأبقار مما يميز كوستاريكا عن غيرها

وقد أصبح هذا جزءاً من التراث الذي يحرصون على إبرازه في التحف القيمة التي تعلق على الحيطان

ما أكثر المدارس :

لقد أكثر السائق من التنويه بالمدارس التي كنا نمر بها، و إن لم تكن تلفت النظر ولكنه كان يريد من ذلك أن يظهر عناية الحكومة بتوفير المدارس للطلاب وأكثر مظهر المدارس التي أرانا إياها من النوع المعتاد ولكنها على وجه العموم أحسن من مظاهر المدارس في البلاد العربية غير النفطية.

وقال: إن التعليم هنا شامل للجميع وهو إجباري إلى مرحلة معينة.

وكما كانت المدارس هنا كثيرة كثرة ملفتة للنظر فإن الكنائس كثيرة وإن لم

تكن بكثرة المدارس بطبيعة الحال.

وعدنا إلى الفندق قبل غروب الشمس بقليل فمررنا بحديقة اسمها: الحديقة الوطنية ما أجمل ما وضعوا مقابلاً لها وهو المكتبة الوطنية فإن أردت العلم والثقافة وما في خزائن الكتب وجدت ذلك في المكتبة وإن أردت أن تريح فكرك ونظرك وجدت ذلك في هذه الحديقة التي تقابلها.

وإراحة النظر هنا في هذه المدينة وأمثالها تكون بمشاهدة الزهور والطيور، والحور، وفسرها بما شئت من أشجار ذات سوق وأوراق، أو أقمار ذات قدود وأحداق.

وكأنما أولع القوم في أمريكا الجنوبية بالحدائق ولعاً، إذْ لم نكد نفارق هذه الحديقة الوطنية المقابلة للمكتبة العلمية حتى وصلنا إلى حديقة أخرى اسمها «الحديقة الإسبانية» ثم إلى الحديقة الصينية.

ولم أَرَ حديقة عربية ربما كان ذلك لما في أذهانهم من اقتران اسم العرب والعروبة بالصحراء والجمل وبيوت الشعر، وما حولها من البعَر، وإذاً قد يمكن توجيه السؤال وجهة أخرى وهو: لماذا لم يجردوا منطقة من بلادهم تجريداً كاملاً من النبات ويسموها الصحراء أو الحديقة الصحراوية إن صح التعبير فالتغيير حتى في الشيء المحبوب قد يكون من الأمر المطلوب.

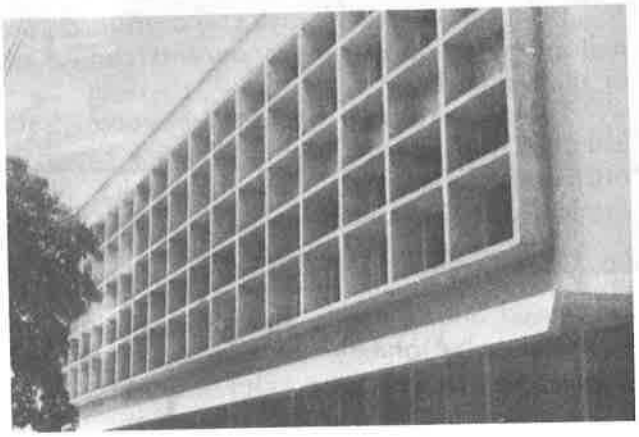

مدرسة في
سان خوزيه

الجـــو :

كانت الشمس تميل للغروب ونحن نعود إلى الفندق الجميل الذي زانه جمال اخلاق أهله أكثر مما زانه جمال شكله، وقد أحسسنا بالجو هنا وكأنما برد فجأة بعد أن كان يميل إلى الحرارة قليلاً ولا يتحمل المرء فيه أكثر من لباس قميص مع السروال.

والغريب أن الجو في الصباح يختلف عنه في الظهيرة اختلافاً كبيراً وكذلك في المساء المتأخر يختلف عنه في العصر.

ضاحية من ضواحي سان خوزيه

لذلك أحسسنا بالبرودة مع غروب الشمس في شيء يشبه تقلب الجو في بلادنا الصحراوية القارية. هذا مع أننا الآن في فصل الصيف عندهم والصيف عندهم هو الفصل الذي لا مطر فيه ويحس المرء فيه بالحرارة في وسط النهار أما الشتاء فإنه الفصل الممطر وهو أكثر برودة من الصيف قليلاً.

وهذان الفصلان هما كل الفصول في هذه البلاد فليس فيها فصول أربعة كما في البلاد المعتدلة البعيدة عن خط الاستواء أو في البلاد الذاهبة بعيداً إلى جهة الشمال أو جهة الجنوب.

وهذه السياحة بالسيارة لم تكفنا عن السير في الليل على الأقدام طلبًا للعشاء وتزجية الوقت حتى قاربت الساعة الحادية عشرة.

ولم نَرَ في هذه الساعة أية مظاهر للخوف بل العكس هو الصحيح فالحركة جيدة، ولا أحد يحذرك من عدم الأمن.

والمرأة كثيرًا ما تجدها تسير وحدها في هذا الوقت وهو أمر لا يكاد يحدث في بعض البلدان التي تسمى راقية في المدنية إذ المرأة تخاف أن تسير وحدها في الليل إلا إذا كانت عاهراً تبحث عمن يطمع فيها.

وعلى ذكر هذا الأمر أقول: إنني لم أَرَ مظاهر لهن كالتي في بوغوتا مثلاً وربما كانت المنطقة التي رأيتها ليست في هذا الأمر كمناطق أخرى والله أعلم.

ومن أهم ما استرعى انتباه الناس في هذه الليلة سير اللعب في مباراة كرة القدم بين فريق تشيكوسلوفاكيا وفريق كوستاريكا فأين ما ذهبت سمعت المعلق الرياضي يذيع في المذياع أخبارها ويتحمس في ذلك حتى يكاد ينسى نفسه، والناس ينصتون ولكن بأدب إلى النتائج.

يوم الخميس ١٤٠٢/٣/٢٦ هـ ١٩٨٢/١/٢٠ م :

وداعاً يا كوستاريكا :

غادرنا كوستاريكا على طائرة من طائرات شركتهم المسماة (لاكسا) من سان خوزيه إلى لوس أنجلوس في الولايات المتحدة الأمريكية ومن هناك سوف أواصل سفري إلى هونولولو في جزر هاواي في المحيط الهادىء ثم من هاواي إلى مانيلا عاصمة الفلبين ومنها إلى بانكوك في تايلاند فالرياض وهذه الرحلة التي بدأتها الآن ستكون طويلة مملة إلى هونولولو. لا سيما ورفيقي الرائد عبدالله العريني سيتوقف في مدينة مكسيكو لرؤية المدينة لأنه لم يرها من قبل.

وكانت مغادرة سان خوزيه في الساعة الحادية عشرة والنصف قبل الظهر على طائرة من طراز بوينج ٧٢٧.

وعندما فارقت الطائرة المطار كنت أنظر إلى كوستاريكا الجميلة أودعها وأنا في الحقيقة أودع أهلها الذين لم ألق منهم إلا المعاملة الطيبة .

وحالما حلقت الطائرة أخذت ذات اليمين لتتفادى جبالاً خضرًا يعممها السحاب بعمائم بيض وترصع سفوحها الخضر منازل بيض بهيجة.

ثم أوغلت في الجو فوق ريف معمور إلا ما كان من قمم الجبال فإن العمارة قد قصرت دونها.

وبعد أن تفادت تلك الجبال الخضر لم تستطع أن تتلافى الدخول في جبال

بيض من السحب اعترضت طريقها فاقتحمتها ثم أخذت تعوم فوقها في منظر بديع حتى تخلصت منها، وجعلت تطير فوق اليابسة وتحت شمس صاحية في أجواز الفضاء.

وكان أكثر ما في الأرض ظهوراً عند إطلالة لي من النافذة نهر يتلوى في المنخفضات بين الربى وكأنما كان يتألم من وجوده عند قوم لا يقدرون قدره لأن في الطائرة المحلقة فوقه الآن قومًا جاؤوا من بلاد يابسة يتمنون أن تصافح أعينهم صفحته كل يوم ليروه كيف يكون قدره عندهم .

وشيء آخر شارك هذا النهر التواءه في هذه الأرض الخضراء، وإن كان لا يشاركه شوقه إلى رؤية الصحراء المجدبة ألا وهي طرق ترابية زراعية ذات تربة حمراء جميلة.

وبينما كانت الطائرة تسعى لاهثة في الفضاء والنهر والطرق التي حوله تسعى لاهثة في الأرض كانت المضيفات الكوستاريكيات الجميلات يسعين في إعداد ضيافة طفيفة إن صح أنها ضيافة لأنها في رحلة خفيفة.

وأنا أقول سراً لنفسي وعلناً لصاحبي الذي سأودعه عندما تهبط هذه الطائرة في مطار مكسيكو عاصمة المكسيك : وداعًا يا كوستاريكا !

وستنزل الطائرة قبل مدينة المكسيك في السلفادور وهي من الدول التي منعني عدم استقرارها من زيارتها وإن كانت السلطة لاتزال بيد الحكومة غير الشيوعية فإن أخبار سقوط القتلى بالمئات من اليساريين وخصومهم رجال الحكومة لاتزال تتوالى وتحفل بها الصحف العالمية.

في مطار السلفادور :

تدنت الطائرة على ساحل المحيط الهادىء في أراضي السلفادور فرأينا الأرض مزروعة بزراعة حقلية وليس فيها غابات، وفيها نهر بجانبه مستنقعات

كثيرة مهملة.

ثم اتسعت الأرض في سهل بجانب البحر، وتحيط بها من جهة الشرق تلال خضر مجللة بأشجار الغابات.

وتروي هذا السهل ـ كما بدا لنا من الطائرة ـ قنوات تأتي من جهة الجبال غير أن التنسيق في هذه المزارع ليس جيداً، وتخطيطها يبدو من الطائرة وكأنه لم تراع فيه الناحية الفنية.

وقد ذكرت بهذه المناسبة تخطيط المزارع وتنسيقها كما ترى من الطائرة في فرنسا حيث تشاهد الأرض والمزارع فيها كأنها لوحة فنية رائعة.

وعند النزول مباشرة كان قرب المطار نهر صغير ومزارع منسقة. وقد حفت الأعشاب والحشائش الجافة برصيف المطار مما يدل على أن الفصل في هذه البلاد هو فصل الجفاف في هذه الأيام.

بدا المطار غير واسع ولكنه مزود بالدهاليز المتحركة التي تلصق بها الطائرة فالقموا طائرتنا باب أحدها، ولم يسمحوا لنا نحن الركاب العابرين بالنزول لقصر المدة التي ستقيمها الطائرة بالمطار وربما لداعٍ آخر من دواعي الأمن في هذه البلاد المضطربة.

وبقينا في الطائرة في المطار نصف ساعة.

وكانت المسافة من سان خوزيه إلى السلفادور قد استغرقت خمسين دقيقة. وقد كتبوا اسم المطار عليه (السلفادور) هكذا بإدخال (إل) التعريفية ودون أن يذكر اسم العاصمة مثلاً (سان سلفادور) أو أي اسم آخر على المطار غير ذلك.

ثم استأنفت الطائرة طيرانها إلى مدينة مكسيكو عاصمة المكسيك.

وعندما كانت الطائرة تغادر مطار السلفادور كنت أرى بعض الأعشاب والحشائش الجافة محترقة في مسافات واسعة، ولا أدري أقصدوا إحراقها أم أنه

نتيجة لحوادث مصادفة.

ورأيت بعض الطيور الكاسرة تحلق في الجو جهة الجبال قوية كثيرة فخيل إليّ أنها قد أصبحت كذلك لأنها عاشت على جثث الذين قتلوا في الاضطرابات والقلاقل التي انتشرت وماتزال في هذه البلاد.

كما أن الجبال التي خلف المطار تبدو خضرتها ليست بالغة كخضرة الجبال الإستوائية فجاء الخيال ليزعم أن وراء الأكمات ما وراءها وان هذه الجبال أو ما خلفها من هذه الأرض الأمريكية الوسطى قد شهدت مصارع أناس أبرياء وغير أبرياء، وأنها لاتزال تشهد ذلك.

وحمدت الله تعالى الذي نجانا من القوم الظالمين.

وقد أعلن مكبر الطائرة أن السفر إلى مدينة المكسيك سيكون لمدة ساعة وأربعين دقيقة واتجهت الطائرة جهة الشمال فأفضى السهل الذي فيه المطار إلى أكوام من التلال الجبلية ومن الجبال غير العالية ذات الخضرة غير الكثيفة.

ثم أخذت تطير على ساحل المحيط الهاديء فوق اليابسة.

وعندما حطت في مطار مدينة مكسيكو جددت به عهداً قريباً وإن لم أدخله لأنني في هذه المرة عابر من العابرين ولست قاراً فيها من القارين.

وفي الساعة الخامسة والنصف قامت الطائرة إلى مدينة لوس أنجلوس في ولاية كليفورنيا الأمريكية وأعلن المكبر منها أن السفر سيستغرق ثلاث ساعات وعشرين دقيقة.

وقد واصلت سفري بعد ذلك من لوس أنجلوس إلى (هونولولو) في حديث محله غير هذا الكتاب والله أعلم بالصواب.

أشياء عن كوستاريكا

تسميتها :

يعني اسمها (كوستاريكا): الساحل الغني فكوستا بالإسبانية. ساحل وريكا: غني باللغة نفسها، فهل (كوستاريكا) بالفعل بلد غني؟ الواقع أن الأمر ليس كذلك، بل ربما صنف هذا القطر مع قائمة الأقطار الفقيرة كما تعارف عليه الناس في الوقت الحاضر الذين لا يجعلون البلاد غنية إلا إذا كانت ذات موارد معدنية سهلة الاستخراج أو أن تكون ذات صناعة قوية لها القدرة على المنافسة في مجال التصدير.

وإنما كانت تسمية (كوستاريكا) بهذا الاسم الذي يدل على الغنى هي من باب الإسراع في الحكم على الأشياء دون التثبت من الأمر.

فقد سماها بهذا الاسم مكتشفها الأول وهو المكتشف الشهير (كريستوفر كولومبس) أول مكتشف للعالم الجديد.

وذلك في رحلته الرابعة والأخيرة إلى ذلك العالم الجديد في عام ١٥٠٢م عندما وصل إلى ساحل ما هو معروف الآن بأنه جزء من كوستاريكا فرأى الأهالي وهم من هنود الكاريبي من السكان الأصليين وقد جاءوا إلى الشاطىء لمشاهدة السفن الغريبة وركابها وكعاداتهم كانوا يضعون حول أعناقهم عقوداً من الذهب. فأخذ (كولومبس) في أول الأمر الذهب مقابل بعض السلع واعتقد بأن المنطقة مليئة بالذهب ومن هنا جاء اسم كوستاريكا أو الساحل الغني.

نبذة تاريخية :

كان الهنود الأمريكيون قد سكنوا المنطقة قبل كولومبس بزمن بعيد جاؤوها من جزر البحر الكاريبي . وقبيلة كوروتيجاس كانت ضمن مجموعات جنوب شرق مكسيكو وشمال وسط أمريكا . وآخرون جاءوا من كندا وكولومبيا .

وكانت الحروب بمثابة التسلية لهم. فالأسرى والشبان من القبائل كانوا يقدمون قرابين للآلهة حيث تنزع قلوبهم وتوضع أمام الهياكل. وقد كانوا من الشجاعة بمكان إذ أنهم كانوا بعد ذلك يفضلون الموت على الاستعباد الإسباني.

وعندما أعلنت المكسيك وجواتيمالا استقلالها عن إسبانيا عام ١٨٢١م تعجبت كوستاريكا من هذا الأمر أو على حد تعبير أحد المؤرخين فقد هبط عليها الاستقلال فجأة وبدون مقدمة وكان عدد سكانها آنذاك ٧٠٠٠٠ نسمة فقط.

وهكذا استقلت (كوستاريكا) عن إسبانيا في يوليو من عام ١٨٢٣م.

موقعهـا :

تحدها من الشمال نيكاراجوا ومن الجنوب الشرقي بنما ومن الشرق المحيط الأطلنطي ومن الغرب والجنوب الغربي المحيط الهادىء.

وتعتبر الدولة الثانية من ناحية الصغر في أمريكا الوسطى. مساحتها الكلية ١٩٦٥٣ ميلاً مربعاً. وعدد سكانها يزيد بقليل عن مليونين معظمهم يقيم في الوادي الأوسط حيث أغلبية المدن الكبيرة.

ومعظم أهالي كوستاريكا ينحدرون من أصل إسباني ومن الهنود الأمريكيين و٢٪ من السود المنحدرين من جامايكا. إلى جانب قلة من المنحدرين من أصول أوروبية أخرى. وأهم صادراتها البن والموز والبقر.

أهم المـدن :

سان خوزيه : العاصمة والقلب النابض بالحركة للدولة بأكملها وتقع على ارتفاع ٣٩٠٠ قدم من سطح البحر ومناخها معتدل على مدار السنة. وعدد سكانها ستمائة ألف نسمة.

كارتاجو : تقع على بعد ٣٠ دقيقة بالسيارة غرب سان خوزيه. دمرت في عامي ١٨٤١ و١٩١٠ بسبب الزلازل وتقع على ارتفاع ٤٧٠٠ قدم من سطح البحر في ظل بركان إيرازو الذي ثار للمرة الأخيرة عام ١٩٦٣ م وكست حممه الوادي لفترة تقرب من العامين.

بونتاريناس : تقع على لسان من الأرض في خليج نيكويا وهي ميناء كوستاريكا الرئيسي المطل على المحيط الهادىء وعلى مسافة ساعة ونصف بالسيارة من العاصمة سان خوزيه.

جواناكاست : ضمت من نيكاراجوا إلى كوستاريكا عام ١٩٢٤ حيث توجد أجمل شواطىء الدولة. مناخها حار وجاف.

المسلمون في كوستاريكا :

تخلو كوستاريكا كلها من أي مسجد حتى ولا جمعية إسلامية ويوجد في العاصمة (سان خوزيه) دكان لتاجر مسلم هندي الأصل اسمه علي ذكر أنه لا يوجد مسلم غيره في المدينة غير أنه ذكر أن هناك بعض المدن الأخرى تسكنها عائلات عربية ولكنها بعيدة لم يستطع التعرف عليها.

وقد ذكر الأخ علي الهندي أنه اعتاد على السفر إلى جمهورية بنما لأداء صلاة العيدين.

وقد بلغنا بأن هناك مسلمين جدداً من المواطنين الأصليين أسلموا في

الولايات المتحدة ولكننا لم نعرف أحداً منهم في العاصمة والمجال للدعوة مفتوح حيث أنه لا توجد قيود على الدعوة هناك.

ويمكن أن يبدأ العمل الإسلامي بإرسال داعية إسلامي يجيد اللغة الإسبانية يقيم في العاصمة بصفة دائمة لكي يبدأ بنشر الدعوة. ويتعاون مع المسلمين الموجودين بصفة دائمة، أو مؤقتة في هذا الأمر. ويقوم بتكليف باحثين لدراسة حال بقية المدن على حدة لإكمال صورة الإمكانات الموجودة.

الاقتصـاد :

إذا قسم دخل الدولة على السكان الذين يبلغ عددهم ٢ مليون نسمة يصبح نصيب كل فرد ٦٩١,٦ دولاراً في السنة. وهي وإن كانت نسبة بسيطة لدخل الفرد في الولايات المتحدة (٢٠٠٠ دولار) فإنها تعتبر أفضل من الدخل في أمريكا الوسطى. والدخل الناتج عن القهوة والموز والكاكاو يعتبر ٧٠ ٪ من دخل الدولة من التصدير.

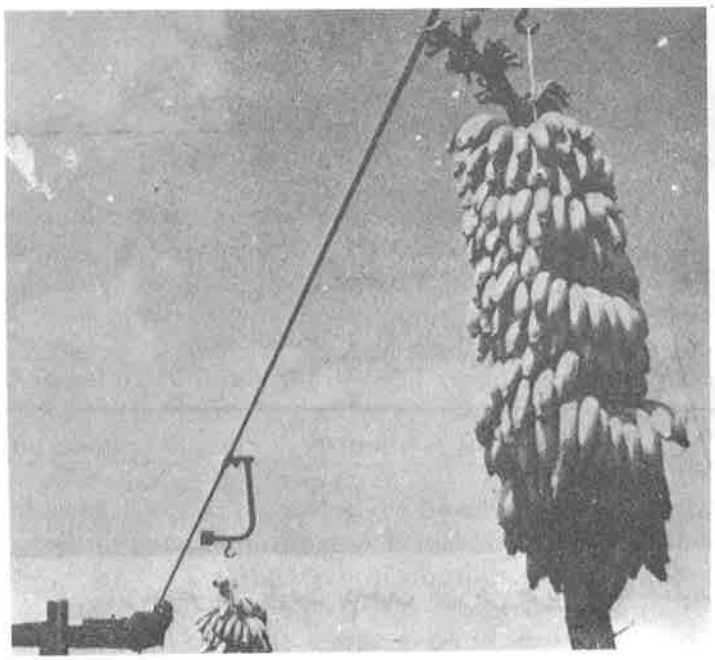

الموز في كوستاريكا

أهم منتجات التصدير عن عام ١٩٧٣ م

القهوة	٩٤,٠٠٠,٠٠٠	دولار أمريكي
الموز	٩٠,٠٠٠,٠٠٠	دولار أمريكي
البقر	٣١,٠٠٠,٠٠٠	دولار أمريكي
السكر	٢٠,٥٠٠,٠٠٠	دولار أمريكي
الكاكاو	٤,٤٠٠,٠٠٠	دولار أمريكي
متنوعات	١٠٤٤٠٠,٠٠٠	دولار أمريكي
المجموع	٣٤٥,٥٠٠,٠٠٠	دولار أمريكي

ومن بين كبار المستوردين لمنتجات كوستاريكا توجد الولايات المتحدة وألمانيا.

مزارعو البن يقومون بتجفيف البن عن طريق تقليبه عدة مرات

وتعتبر كوستاريكا دولة زراعية إلا أنه لاتزال بها الآلاف من الأفدنة غير مستصلحة. ولكن ينتظر أنه في القريب ستقوم صناعة كبيرة للأخشاب نظراً لوفرة الأشجار كما وأن تصنيع الألبان يسير بخطوات كبيرة وجمعية دوس بينوس التعاونية دليل على ذلك أذ أن اليونيسيف قد قدم الآلات اللازمة منذ عام ١٩٥٢ م.

الجيش :

لا يوجد جيش في كوستاريكا فقد سرحت جنودها قبل مائة وأربعين سنة واقتصرت على قوة من رجال الشرطة.

وهي مع ذلك تفخر بأن عدد المدرسين فيها أكثر من جنود الشرطة. هذا كان منذ القديم. أما الآن فإنه لا شك في أن بعض المسئولين في (كوستاريكا) قد طرحوا إعادة النظر في ذلك القرار القديم القاضي بعدم إيجاد جيش محارب في البلاد وذلك على ضوء الواقع المؤلم الموجود الآن في منطقة أمريكا الوسطى والبحر الكاريبي والاضطراب الحاصل في بعض أقطار المنطقة المجاورة لكوستاريكا مثل (السلفادور) و(نيكاراجوا) و(قواتيمالا) فضلاً عن هندوراس وكوبا.

وبخاصة بعد أن أخذت القوى العالمية الغريبة من شرقية وغربية تتدخل بالأسلحة والأموال في تلك الاضطرابات والمستقبل كشاف، كما يقولون.

الديانة في كوستاريكا :

المذهب الكاثوليكي هو السائد ويوجد راهب لكل ٦٠٠٠ مسيحي أي ٣٥٠ راهبًا للكل وتساند الحكومة الكنيسة بتبرع سنوي ينفق بالطريقة التي تراها الكنيسة . لأن الحكومة أيضًا كاثوليكية .

أما البروتستانتية فرغم قلة أفرادها إلا أنها صاحبة نفوذ قوي وقد قويت

بسبب جهود جمعية (أندبرج) البروتستانتية. وقد ارتفع عدد البروتستانتيين بسبب كثرة الكنائس والمدارس والمستشفيات لهذا المذهب.

والخلاصة أن الديانة المسيحية هي المتبعة من الجميع في هذه الدولة.

أما الإسلام فإن وجوده لا يكاد يذكر في (كوستاريكا) في الوقت الحاضر غير أن هناك آمالاً كباراً في نجاح الدعوة الإسلامية فيها إذا قامت دعوة إسلامية قوية لأن المعوقات قليلة وحرية المعتقد هي السائدة هناك، والمذهب الكاثوليكي ـ كما هو معروف ـ مذهب مسيحي متشدد إلى درجة تنفير بعض الأتباع وبخاصة من ذوي التفكير الحر وقد عرفنا أن هناك أفراداً من أهالي (كوستاريكا) قد اعتنقوا الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، وأنهم يعتزمون القيام بدعوة إسلامية منظمة ونسأل الله تعالى لكم التوفيق والسداد إلى سبيل الرشاد.

السياسة :

كما قلنا في الديانة إنها ليست بذات إسلام يصح أن نقول عن السياسة في هذه البلاد بأنها ليست بذات عروبة.

إذْ تكاد الدولة اليهودية أن تتفرد بالتصرف بعد التعرف بأمر توجيه السياسة في هذه الدولة الأمريكية الوسطى القصية، وتكاد تخلو (كوستاريكا) أو هي قد خلت بالفعل من ممثلية عربية فضلاً عن سفارة للعرب قوية. ولذلك صارت كوستاريكا هي الدولة المتميزة بأن سفارتها لدى دولة اليهود في فلسطين موجودة في القدس، وليست في تل أبيب التي فيها بقيت السفارات.

وذلك إلى جانب انحيازها انحيازاً كبيراً إلى ذلك الجانب البعيد الذي لم يضره بعده لأنه قد قربه غناه من كوستاريكا وأمثالها وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

فكوستاريكا دولة ديمقراطية تسير على النظام الغربي وذات اقتصاد حر مثلما عليه الأمر في أكثر البلدان التي تعشق الحرية، وسياسة أكثر قادتها سياسة أمريكية، أو هي تدور في فلك السياسة الأمريكية.

ولا ينبغي أن نلقي باللوم كله عليها. أو على الولايات المتحدة الأمريكية لأنه بالنسبة إليها ـ أي كوستاريكا ـ فإن العرب لم يقوموا بما ينبغي أن يقوموا به من العمل فيها وفي أمثالها من الدول الصغيرة التي تنظر إلى السياسة الدولية على أنها ميدان لكسب المغانم العاجلة، وليست مظهراً من مظاهر إعلان السياسة أو الكياسة.

وأما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فإن العرب لو يكون اللوم وحده ينفع لكانوا عند تلك الدولة من المحظيين لأنهم على لسان قادتهم وشعوبهم لاموا الولايات المتحدة الأمريكية على ما فعلته في بلادهم من تأييد أعدائهم اليهود عليهم بكافة أنواع التأييد التي لاتزال تزيد وتزيد كلما غالى العدو في نهب أرضهم لانتهاك عرضهم.

والله أعلم متى يفيقون من هذا السبات، وهل سيكون ذلك أم يكون السبات إلى ممات؟

العلم عند رب السموات!..

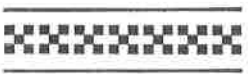

فهرس

	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
خريطة أمريكا الوسطى	٩
القدوم إلى ميامي	١١
مدينة المطار	١٢
السفر إلى المكسيك	١٤
إلى المكسيك	١٥
في مطار مريدا	١٦
إلى مدينة مكسيكو	١٦
أكبر مدينة في العالم	١٧
في مطار مدينة مكسيكو	١٧
في مدينة مكسيكو	١٩
تغيير الفندق	٢٠
أول انطباع	٢١
الجنس العجيب	٢٥
في السفارة الأمريكية	٢٦
الرحلة الليلية	٢٨
رقصة الهياكل العظمية	٢٨
الفن الشعبي	٣٠
فن آخر	٣١
لا يعرفون عن العرب شيئاً	٣٣
هل القوم ساذجون؟	٣٥
اللغة	٣٥
الأمن في المدينة	٣٦
المرأة المكسيكية	٣٧
المطاعم والمشارب	٣٨
جولة في مدينة مكسيكو	٤١
في حديقة تشابل تابك	٤٢
المتحف الوطني التاريخي	٤٣
قاعة الإستقلال	٤٥
منزل الإمبراطور	٤٨
قصر فرساي في مكسيكو	٤٩
ميدان الاستقلال	٥١
ميدان كريستوفر كولومبس	٥١
ساحة الدستور	٥١
في القصر الوطني	٥٣
الأهرام المكسيكية	٥٦
مركز المصنوعات الوطنية	٥٨
وداعاً يا مكسيكو	٦٠
نبذة عن المكسيك	٦٢
السكان	٦٤
التمثيل العربي الإسلامي	٦٥
اقتراحات	٦٧
من كيتو إلى بوغوتا	٧١
في مطار بوغوتا	٧٥
في مدينة بوغوتا	٧٨
وماذا عن النساء	٨٤
الخنزير الممسوخ	٨٦

	الصفحة
الأمن	٨٧
تاريخ بوغوتا	٩٠
مناخ بوغوتا	٩١
معالم بوغوتا	٩٢
ميدان بوليفار	٩٣
هل بوغوتا آمنة؟	٩٤
السكان القدماء	٩٦
جولة في مدينة بوغوتا	٩٧
في المدينة الاستعمارية	٩٨
رئيس كولومبيا عربي	٩٩
ميدان سيمون بوليفار	١٠٠
متحف الذهب	١٠٤
هل بينهم وبين الفراعنة علاقة؟	١٠٥
الآت من الذهب	١٠٦
الجنود يرافقون المتفرجين	١٠٧
القبائل الهندية والذهب	١٠٨
وقبيلة مويسكا	١٠٨
وقبيلة سينو	١١٠
الكنز	١١٠
في بيت الزعيم	١١١
إلى قمة القمة	١١٥
المعبد على رأس القمة	١١٩
تمثيلة	١٢١
اللبن بسعر الماء	١٢٢
السكان	١٢٣
الحقيبة التي دفنتها في بوغوتا	١٢٥
وجولة الأقدام في الليل	١٢٦
مغادرة كولومبيا	١٢٨
شيء عن كولومبيا	١٣٠
المسلمون في كولومبيا	١٣٢
نشاط المسلمين في ميكاو	١٣٣

	الصفحة
من بوغوتا إلى مدينة بنما	١٣٥
في مطار بنما	١٣٩
في مدينة بنما	١٤١
الطلاء الغريب	١٤٢
تمثيلة في مدينة بنما	١٤٣
بنما وأمريكا الجنوبية	١٤٥
على شاطىء البحر	١٤٦
كثرة المستشفيات	١٤٩
والأمن؟	١٤٩
الشباب والشيب بين بنما والإكوادور	١٥٢
وفرق آخر	١٥٣
إلى قناة بنما	١٥٣
معسكرات الجيش الأمريكي	١٥٥
في قناة بنما	١٥٥
برج الأشراف	١٥٨
عمل هندسي رائع	١٦٥
مستقبل قناة بنما	١٧٢
الجسر الذي يصل ما قطعته القناة	١٧٣
إلى المدينة القديمة	١٧٤
ثم مدينة كولون	١٧٦
مكتب الرئاسة	١٧٧
سوق الخضراوات	١٧٩
في المدينة الجديدة	١٨١
حي نارجيل البحر	١٨٢
عن البنيميين	١٨٥
مغادرة بنما	١٨٦
جولة في ماضي بنما	١٨٩
تسميتها	١٩٠
السكان	١٩١
بنما السياحية	١٩١
المناخ	١٩٢

	الصفحة
قناة بنما	١٩٢
المسلمون في بنما	١٩٥
طلبات الجميعة	٢٠٠
الجمعية الإسلامية في بنما	٢٠٠
حاجات المسلمين في بنما	٢٠٠
أبرز الشخصيات	٢٠١
إلى كوستاريكا	٢٠٣
من بنما إلى سان خوزيه	٢٠٥
في مطار سان خوزيه	٢٠٧
في مدينة سان خوزيه	٢١٠
جولة بعد العصر	٢١٣
في مقهى كوستاريكي	٢١٨
سان خوزيه جنة السائح	٢٢١
سياحة في مدينة سان خوزيه	٢٢٣
حي الأغنياء	٢٢٤
حي السفارات	٢٢٧
المسرح الوطني	٢٢٨
جامعة سان خوزيه	٢٣٠
حي دالوبي و(قواريا)	٢٣٢
ما أكثر المدارس!	٢٣٤
الجـو	٢٣٦
وداعاً يا كوستاريكا	٢٣٨
في مطار السلفادور	٢٣٩
أشياء عن كوستاريكا	
تسميتها	٢٤٢
نبذة تاريخية	٢٤٣
موقعها	٢٤٣
أهم المدن	٢٤٤
المسلمون في كوستاريكا	٢٤٤
الاقتصاد	٢٤٥
الجيش	٢٤٧
الديانة في كوستاريكا	٢٤٧
السياسة	٢٤٨
فهرس	٢٥١

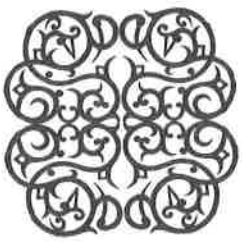

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض - ص.ب ٢٩٥٧

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

كتبٌ في الرحـــلات للمؤلف

أولاً: كتب مطبوعة:

١) «في إفريقية الخضراء» طبع أكثر من مرة، وترجم إلى عدة لغات.

٢) «مدغشقر: بلاد المسلمين الضائعين» نشره النادي الأدبي في الرياض.

٣) «جولة في جزائر البحر الزنجي» طبع المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠٢هـ.

٤) «في نيبال، بلاد الجبال» طبع مطابع نجد في الرياض.

٥) «رحلة إلى جزر مالديف» طبع ٣ مرات ونشرته العلوم في الرياض.

٦) «رحلة إلى سيلان» نشرته الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة.

٧) «صلة الحديث عن إفريقية» نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٤هـ.

٨) «مشاهدات في بلاد العنصرين» نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة.

٩) «شهر في غرب إفريقية» طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.

١٠) «زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية» طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.

١١) «رحلات في أمريكا الوسطى» طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.

١٢) «إطلالة على نهاية العالم الجنوبي» نشره النادي الأدبي في مكة المكرمة.

١٣) «إلى جنوب الجنوب الأمريكي» نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

١٤) «سياحة في كشمير» نشر دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض.

ثانياً: كتب تحت الطبع:

١٥) «جولة في جزائر جنوب المحيط الـ

١٦) «جولة في جزائر البحر الكاريبي».

١٧) «بقية الحديث عن إفريقية».

١٨) «بورما كما رأيتها».

ثالثاً: كتب مخطوطة:

١٩) «بقية البقية، من حديث إفريقية».

٢٠) «قصة سفر في نيجيريا».

٢١) «في ربوع السودان الغربي».

٢٢) «وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأميركية» مجلدان.

٢٣) «رحلات في أمريكا الجنوبية» مجلدان.

٢٤) «على قمم جبال الأنديز.

٢٥) «وراء العمل الإسلامي في القارة الاسترالية» مجلدان.

٢٦) «وراء المشرقين» رحلة حول العالم وحديث في شئون المسلمين.

٢٧) «في بلاد الهند والسند».

٢٨) «في أندونيسيا: أكبر بلاد المسلمين».

٢٩) «الرحلات الهندية» مجلدان.

٣٠) «مشاهدات في تايلند».

٣١) «رحلات في بلاد الملايو».

٣٢) «نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية وخاصة».

٣٣) «الإشراف على أطراف من المغرب العربي».

٣٤) «رحلات في القارة الأوروبية».

٣٥) «ذكريات من أركان العالم».

٣٦) «الحل والرحيل، في بلاد البرازيل».

٣٧) «داخل أسوار الصين».

Dar Altholothia
9789960270791
SR 18.00

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض ١١٤٦١ - ص.ب ٢٩٥٧ تلفون ٤٠٢٧٥٤٦